٢- كتاب آداب الطعام

١٠٠- باب التسمية في أوله والحمد في آخره

الحديث رقم (٧٢٨)

٧٢٨- وعن عُمَرَ بنِ أبي سَلمة رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عمر بن أبي سلمة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩٩).

الشرح الأدبي

لم يدع الإسلام كبيرة، ولا صغيرة في حياة الإنسان إلا وضع لها منهجاً معتدلاً يحكمها وما ترك رسول الله عملاً يقرب من الله إلا علّمنا إياه، والمؤمن إذا تتبع أوامر الله وسنن نبيه وجد نفسه يحيا في معية الله كل حركة بذكر، وكل ذكر بنية لله تعالى فيصير - دون عناء - في عبادة لله في كل أحواله.

وتوجيهات الرسول ﷺ في هذا الحديث من تلك النوعية التي تحوّل العادة إلى عبادة، وقد بدأ بالأمر (سم الله) أي اذكر اسم الله، وهو أمر توجيه وإرشاد يحقق البركة في الزاد، ويردُّ الفضل إلى صاحبه، ويصير المؤمن به شاكراً لربه متبعاً لرسوله ﷺ، وقوله (وكل بيمينك) هو كسابقه توجيه، وإرشاد إلى ما يرضى ربه، ويعجب رسوله، ويؤجر باتباعه، والباء للاستعانة أي مستعيناً بيمينك، وقوله (وكل مما يليك) وهو أدب اجتماعي يراعي حال جميع الآكلين، وهو سلوك قد يبدو بسيطاً، ولكنه في الحقيقة ترسيخ لمبدء الإلتزام في جميع الحقوق، والواجبات، ويربي المؤمن على عدم التجاوز، وتخطي الحدود لاسيما إن كان المأمور صغير السن.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢/١٠٨) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (٢٩٩).

فقه الحديث

هذه الأحاديث[١] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- التسمية في أوله: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يستحب التسمية قبل الأكل، فيقول (بسم الله) وهو أقلها، فإن قال (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أكمل وأحسن. كما يستحب أن يجهر بالتسمية ليسمع غيره وينبهه عليها، ولو ترك التسمية في أول الطعام لعارض ما (عامداً أو ناسياً أو جاهلاً أو مكرهاً أو عاجزاً) ثم زال ذلك العارض، وتمكن أثناء أكله، يستحب أن يسمي ويقول: "بسم الله أوله وآخره".

بينما ذهب ابن حزم إلى أنها فرض على كل آكل عند ابتداء أكله[٢].

٢- الأكل باليمين: يسن الأكل باليمين، وصرّح الشافعية والحنابلة بأنه يكره الأكل أو الشرب بالشمال، إلا من ضرورة، أو عذر، كمرض، أو جراحة، فإن كان فلا كراهة[٣].

٣- الأكل مما يليه: اتفق الفقهاء على أنه من السنة أن يأكل الإنسان مما يليه في الطعام مباشرة، ولا تمتد يده إلى ما يلي الآخرين، ولا إلى وسط الطعام، لأن أكل المرء من موضع صاحبه سوء عشرة وترك مروءة، فقد يتقذره صاحبه، لا سيما في الأمراق وما شابهها، ويستثنى من ذلك، ما إذا اختلفت الأنواع، أو كان نحو

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) الاختيار ٣٤/٤، ورد المحتار ٣٠١/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/٩، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٥٥/١٣، والمحلى، ابن حزم ١٠٣/٦.

(٣) الاختيار ٣٤/٤، والقوانين الفقهية ٤٧٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٤/٥، والمحلى، ابن حزم ١٠٣/٦.

الفاكهة، والتمر، مما يتنقل به، فيأخذ من أي جانب شاء[١].

٤- الحمد في آخره: اتفق الفقهاء على أنه يسن للآكل أن يحمد الله عقب الفراغ من الطعام، فإن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها.

وقد وردت صيغ كثيرة للحمد والدعاء، بعد الفراغ من الطعام، ولا يتعين شيء منها، فبأيها ختم طعامه أصاب السنة[٢].

المضامين الدعوية[٣]

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٩/٢٢، والقوانين الفقهية ٤٧٧، ومغني المحتاج ٢٥٠/٣، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٦٧/٩، ٦٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٥/٥، ١٩٧. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٥/١٣/٧.

(٢) الاختيار ٣٤/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/٩، والمحلى، ابن حزم ١١٨/٦.

(٣) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٩٩).

الحديث رقم (٧٢٩)

٧٢٩- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تَعَالَى، فإنْ نَسِيَ أنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى فِي أوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بسم اللهِ أوَّلَهُ وَآخِرَهُ)) رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبيِّن، ويؤكد أهمية التسمية قبل تناول الطعام حتى أنه ﷺ أمر من نسيها قبل الطعام أن يتداركها في أثناء الطعام، وهو ما روته عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد بدأته بأسلوب خبري مؤكد تعظيماً له، وقد صاغ الرسول ﷺ المعنى في ثوب الشرط الذي يجعل البسملة مقرونة بالأكل لا يجب أن تنفك عنه، ومعنى قوله (إذا أكل) أي إذا أراد أن يأكل، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وقوله (فليذكر) الفاء واقعة في جواب الشرط، وتنادي بالسرعة، وعدم تأخير ذكر الله، ثم إن الجملة الدعائية المعترضة (تعالى) بعد لفظ الجلالة فيها تنزيه، وتقديس يورث الهيبة ويرغِّبُ في الذكر، وقد استخدم (إذا) للدلالة على تحقق وقوع التسمية، واستخدم (إن) الشرطية للدلالة على الشك في تحقق الوقوع أي: وقوع النسيان، وهذا من حسن الظن بالمسلمين، وأنهم قلَّما ينسون التسمية، وفيه إشارة أنه لا ينبغي للمسلم أن ينسى ذلك، وبين قوله: (يذكر، ونسي، وبين أوله، وآخره) طباق يوضح مضمون الحديث بين ذكر الله أولاً، أو نسيانه، وتداركه آخراً.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧) واللفظ له، والترمذي (١٨٥٨). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٢١٤)، وقال الحاكم (١٠٨/٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢١).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: آداب التسمية عند الأكل.

ثالثاً: من واجبات الداعية: تعليم المدعوين الآداب الإسلامية في الأكل.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل التسمية على الأكل.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "فليذكر اسم الله تعالى" وقوله "فليقل بسم الله أوله وآخره" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من توجيه المدعو إلى الخير وحمله عليه، وقد جاء في القرآن الأمر بأمر الإنسان لمن له ولاية عليه فقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾[1].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: آداب التسمية عند الأكل:

ذكر النبي ﷺ في الحديث أدب التسمية عند الأكل فقال "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره" والمقصود عود البركة عليه، ومنع الشيطان من الطعام، فليتقيأ ما أكله قبلها لما أتى به بعدها[2] فإن التسمية من الآداب البارزة للطعام، وهي أول ما يبدأ به كما قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن عباس "يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك" وقد أجمع العلماء على استحباب التسمية على الطعام في أوله[3] وذلك حفاظاً على بركة الطعام فإن الإنسان إذا لم يسم نزعت البركة من طعامه[4].

وصيغة التسمية أن يقول: "بسم الله، ولو زاد الرحمن الرحيم كان حسناً؛ فإنه أكمل

---

(١) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٠٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤٣٢/٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٥٥/٢.

لأنها بركة الطعام، فيكفي القليل بها وبدونها لا يكفي"[١].

ثالثاً - من واجبات الداعية: تعليم المدعوين الآداب الإسلامية في الأكل:

إن الداعية تحمل مهمة التبليغ للدين، وتعليمه الناس بكل أسسه ودعائمه وإرشاداته، وذلك انطلاقاً للداعية من شعوره بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، من تبليغ الناس آداب الدين وتعاليمه[٢] حتى ولو كان في نظر الناس شيئاً هيناً كآداب الطعام والشراب، ولذا لم نجد النبي ﷺ يهمل شيئاً، وإنما أطلع الأمة على الآداب كبيرها وصغيرها، ومنها ما ورد في الحديث من أدب التسمية على الطعام "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى". وذلك من الآداب النبوية الكريمة التي ينبغي مراعاتها عند تناول الطعام لما فيها من تذكر نعمة الله تعالى، وطلب بركة الطعام وحفظه عن الشياطين، فيسمى الآكل في أول طعامه، ويأكل بيمينه وطلب الاستفادة من الطعام بالتقوّي على فعل الخير به، وعدم الانهماك في تناوله إلى درجة فقد الشعور، ومن فوائد هذا الحديث: أنه يستحب أن يجهر بالبسملة لينبه غيره، وليسمع الشيطان ذكر الله فيهرب، لكن أقل ذلك أن يُسمع نفسه حيث لا مانع، لأن العلماء قالوا: يستحب في الأذكار الواردة التلفظ بها بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع[٣]، وفي الحديث بيان أن عمل المؤمن كله حتى العادي كالطعام والشراب، بالله ولله[٤].

رابعاً - من موضوعات الدعوة: فضل التسمية على الأكل:

إن من آثار وفضل التسمية على الطعام حصول البركة فيه، ولذا جاء في الحديث إرشاد النبي ﷺ إلى التسمية على الطعام فقال "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى"، كما أنه كان من هديه ﷺ وسيرته في الطعام ذكر الله، فكان يسمي الله تعالى على أول طعامه ويحمده في آخره[٥]. وذلك سبب لحلول البركة في الطعام، يقول

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، السفاريني، ١٠٢/٢.

(٢) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٥٤.

(٣) إذا الألباب في شرح منظومة الآداب ١٠٢/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٣٨.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٤٨/١.

الإمام ابن مفلح المقدسي: (والتسمية بركة الطعام يكفي القليل بها، وبدونها لا يكفي كما دلت عليه الأحاديث، ومنها ما روي عن أبي أيوب الأنصاري ((كنا عند النبي ﷺ يوماً، فقرب طعاماً، فلم أر طعاماً كان أعظم بركة منه أول ما أكلنا، ولا أقل بركة في آخره، قلنا: كيف هذا يا رسول الله؟ قال: لأنا ذكرنا اسم الله عزَّ وجلَّ حين أكلنا، ثم قعد بعد ذلك من أكل ولم يسمِّ فأكل معه الشيطان))[1][2].

ويشهد لذلك أيضًا ما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ))[3].

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/٣٠٩، ٣١٠.

(٢) أخرجه أحمد ٥/٤١٦، رقم ٢٣٥٢٢، وقال محققو المسند: حديث حسن أخرجه أحمد بسند ضعيف، ويشهد له حديث حذيفة عند مسلم "وإن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه" ٣٨/٥٠٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠١٧.

الحديث رقم (٧٣٠)

٧٣٠- وعن جابر رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقولُ: ((إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ (لأَصْحَابِهِ) [١]: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أدْرَكْتُمُ المَبِيتَ؛ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أدْرَكْتُم المَبيتَ وَالعَشَاءَ)) رواه مسلم [٢].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الحديث السابق نفسه ويقرر أهمية التسمية عند كل عمل حتى عند الدخول، والخروج، وهي أمور إذا حافظ عليها المؤمن أصبح يتقلب في ذكر دائم لله، وفي معيته، ومن كان في معية الله لم يصحبه شيطان، وهذا ما يؤكده نص هذا الحديث الذي بني على الشرط المكون من أداة الشرط (إذا) الدالة على تحقق ما بعدها، والفعل الماضي (دخل) يفيد تحقق والوقوع، وقوله (فذكر الله) معطوف على (دخل) والفاء تلغي الزمن بين الدخول، والذكر، وقوله (عند دخوله) يؤكد هذا، ويحدد للذكر وقتاً مخصوصاً تتحقق به الغاية، ويفوت بتركه الغرض، وكذلك قوله (وعند طعامه) أي عند إرادة الطعام، وحكاية قول الشيطان في قوله: (قَالَ الشَّيْطَانُ لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ) تصوير للأثر المترتب على التسمية من خيبة أمل الشيطان، وحزنه على فوت الفرصة للتغلل في حياة المؤمن لإفسادها أو انتقاصها.

ولذلك جاءت الصورة المقابلة (وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ...) لتحكي الأثر المترتب على عدم التسمية، وهو استيلاء الشيطان، وأعوانه على طعام المؤمن، واحتلال بيته، وليس هناك أقبح من بيت سكانه من الشياطين.

---

(١) هذا التفسير من المؤلف رحمه الله.

(٢) برقم (٢٠١٨/١٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام.

ثانياً: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ عند دخول البيت وعند الطعام.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

رابعاً: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام:

بين النبي ﷺ في الحديث أنه من فضل ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام حلول البركة، وعدم مشاركة الشيطان للإنسان في المبيت والطعام، فقال ﷺ: "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء"، والهدف من ذلك قصر البركة في الطعام والمبيت، ومنع الشيطان منهما[1].

وذلك من أسباب الهناء بالطعام والشراب والمبيت وما شابه ذلك، قال ابن القيم: وللتسمية في أول الطعام والشراب، وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه ودفع مضرته، قال الإمام أحمد: إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل: إذا ذكر اسم الله في أوله، وحُمِدَ الله في آخره، وكثرت عليه الأيدي، وكان من حل[2].

ثانياً - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ عند دخول البيت وعند الطعام:

إنه مما ينبغي مراعاته على المدعو اتباعه هديه ﷺ عند دخول البيت وعند الطعام، استجابة لأقواله ﷺ ومنها ((إذَا أكَلَ أحَدُكُم فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله تعالى))[3] مبيناً العلة من ذلك في الحديث "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء" وإن اتباع هديه ﷺ والتأسي به من الأمور الواجبة، فقد ألزم الله سبحانه وتعالى الناس على اختلاف مستوياتهم وأجناسهم

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٠٧.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٢/٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٧٦٧، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٠٢).

أن يتخذوا من رسوله ﷺ القدوة الطيبة والأسوة الحسنة في جميع الأمور، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(١) وأهمية القدوة الحسنة التي امتاز بها رسول الله ﷺ عامة ليست خاصة بالاقتداء به في العبادات، بل تشمل الاقتداء به في سائر الأمور إلا ما كان من خصائصه ﷺ(٢).

واتباع هديه ﷺ في المطعم والمشرب ونحوهما لون من ألوان الدعوة فكما أن الدعوة بالكلمة، فإنها تكون أيضاً بالفعل الجميل، والتفاعل مع ما جاء في الإسلام من إرشادات(٣).

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

ورد أسلوب الترغيب والترهيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في ذكر الله عند الدخول للمنزل وعند الطعام بحلول البركة فيهما وحرمان الشيطان منهما، والترهيب بعكس ذلك فقال "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لأصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله، قال الشيطان أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء" وأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيهما من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق، والثبات عليه، والتحذير من نقيض ذلك.

رابعاً - من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم:

إن من أبرز صفات الداعية إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم وما فيه صلاحهم وتحذيرهم مما يضرهم، وغايته في ذلك صلاح المعاش والمعاد، والفوز بسعادة الدارين، وإن اضطلاع الداعية بالإرشاد شرف ورفعة في المنزلة، إذ أنّه وظيفة الأنبياء والمرسلين ومَنْ على سَنَنِهم من العلماء العاملين، والهداة الراشدين، والعظماء المجاهدين، فإنهم

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد محمد هادي مدخلي ص ١٦.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

إنما بعثوا لهداية العالم وسن طريق السعادة للناس في الدارين، بتعليمهم عند الجهالة، وإيقاظهم من الغفلة، ووقفهم عند حدود الأدب، ولقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في إرشاد الناس حتى في آداب طعامهم ودخولهم منازلهم كما في الحديث "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء..."[1].

(١) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢، ٧٣.

الحديث رقم (٧٣١)

٧٣١- وعن حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ طَعَاماً، لَمْ نَضَعْ أيدينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَاماً، فَجَاءتْ جَارِيَةٌ كَأنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أعْرَابِيٌّ كَأنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أنْ لا يُذْكَرَ اسمُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَإنَّهُ جَاءَ بهذِهِ الجارية لِيَسْتَحِلَّ بهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بهذا الأعرَابيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخذْتُ بِيَدِهِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهِمَا[(١)])) [(٢)].

[(٣)] ثُمَّ ذَكَرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى وَأكَلَ. رواه مسلم[(٤)].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

تُدْفَعُ: أي لشدة سرعتها[(٥)].

---

(١) لفظ مسلم: (يدها) قال النووي في المنهاج (١): هكذا في معظم الأصول: (يدها) وفي بعضها: (يدهما) فهذا ظاهر، والتثنية تعود إلى الجارية والأعرابيّ، ومعناه: أن يدي في يد الشيطان مع يد الجارية والأعرابيّ، وأما على رواية: (يدها) بالإفراد، فيعود الضمير على الجارية، وقد حكى القاضي أن الوجه التثنية، والظاهرُ أن رواية الإفراد أيضًا مستقيمة، فإنَّ إثبات: (يدها) لا ينفي يدَ الأعرابيّ، وإذا صحّت الرواية بالإفراد وجب قبولها وتأويلها على ما ذكرناه.

(٢) برقم (٢٠١٧/١٠٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٥).

(٣) قال الحميدي في جمعه (٢٩٣/١، رقم ٤٢٣): زاد عيسى بن يونس، ثمَّ ذكره، ورواية عيسى بن يونس أخرجها مسلم بعد حديث (٢٠١٧/١٠٢)، والنووي أدرج اللفظين مع بعض مما يوهم القارئ أن جميعه حديث واحد، ولم ينتبه أحدٌ ممن اشتغل في هذا الكتاب على ذلك. ولم يذكر المنذري في ترغيبه اللفظ الأخير.

(٤) بعد حديث (٢٠١٧/١٠٢).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧٩.

يَسْتَحلُّ: يتمكن من أكله، والمعنى أن الشيطان يتمكن من أكل الطعام إذا شرع فيه إنسان بغير ذكر الله[١].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر ما مرَّ في الحديث السابق من أن ترك التسمية عند دخول البيت يفتح بابه للشيطان، وكذا تركها عند الطعام يدعو إليه الشيطان، وهذه الواقعة التي يرويها الراوي تكشف عن حيلة من حيل الشيطان يستحل بها ما للإنسان، وهي إغراء الصغار، والغافلين بأخذه دون تسمية، وقد صوّرَ ذلك الصحابي بعدة أساليب منها: رصد الحركة في الصورة مع تتابعها السريع، وذلك عن طريق استخدام الفاء العاطفة دون غيرها من أدوات العطف لأنها تفيد سرعة الأحداث مع تتابعها في ترتيب السبب على المسبب (فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا).

ومنها: التشبيه: الذي يجسِّد الحركة الخاصة في الأخذ (فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ) ووجه الشبه قوة الاندفاع وشدة الهجمة، واستخدام (كأن) أداةً للتشبيه يؤكد قوة الشبه، وقد أصاب الحقيقة لأنها كانت مدفوعة من قِبَل شيطان، وهذا التشبيه يؤكد على ضرورة التسمية، وقوله (فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا) كناية عن منعها حتى لا يستغلها الشيطان وقد كشف الرسول ﷺ سر هذا الاندفاع كما كشف عن سر منعه للجارية والأعرابي عن الطعام بقوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) وقد أكَّد كلامه بأكثر من مؤكد لغرابة الخبر لأنه ﷺ يرى ما لا يرون وقوله (يستحل) معناه يطلب حلَّه، ويشير هذا المعنى إلى أن الشيطان ممنوع بقوة الله عن ما يخص الإنسان، وأن التسمية هي المانع له، وأنه يبحث عن سبب يأخذ به.

وقول الرسول ﷺ (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا) طبيعة هذا القسم توحي بالرهبة، والجلال المشعرة بحساسية الموقف، وهو في إطلاقه ابتداءً دون مواجهة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧٩.

بالتكذيب يوحي بأهمية ما بعده وهو قوله: (إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا) لأن القبض على يد شيطان والإمساك به خبر غير معهود يحتاج إلى كثافة المؤكدات وهذه خصيصة للنبي ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أدب الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ.

ثانياً: من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل والصلاح والعلم.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: التعليم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: القسم.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان أدب الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ.

لقد ضرب الصحابة ﷺ أروع الأمثلة في التأدب وحسن التعامل مع رسول الله ﷺ، وقد ورد في الحديث صورة من صور أدب الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ في قول حذيفة ﷺ: "كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده" وذلك التوقير إنما هو امتثال لما افترضه الله تعالى من توقير للنبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[1] فقوله: وتعزروه وتوقروه، أي تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أي تعظموه وتجلّوه، وتقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم"[2].

ويتفرع على توقيره ﷺ تعظيم أمره ووجوبه طاعته، وقد تضافرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في ذلك، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ

(١) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٣٦.

ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1] ثم توضح آيات القرآن أن الإيمان ليس مجرد عقيدة باهتة، بل من مقتضى الإيمان الالتزام والاتباع، إنه الاتباع الكامل لمنهج الله تعالى، هذه هي الصورة الحقيقة لهذا الدين[2]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[3].

ثانياً - من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل والصلاح والعلم:

إنَّ من الآداب التي ينبغي التحلي بها احترام وتقدير أهل الصلاح والفضل، وفي تعامل الصحابة لرسول الله ﷺ مَثَلٌ أعلى في ذلك كما جاء في الحديث "كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده" قال النووي: (فيه بيان هذا الأدب، وهو أن يبدأ الكبير والفاضل في غسل اليد للطعام وفي الأكل)[4]. وفي ذلك تربية وتدريب على احترام أهل العلم والفضل، وكذا احترام الصغير للكبير، ومعرفة أقدار الناس[5].

ثالثاً - من وسائل الدعوة: التعليم:

اشتمل الحديث على وسيلة التعليم من خلال تعليم النبي ﷺ آداب الأكل من تسمية وذكر الله تعالى وذلك بالطريقة القولية "إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله تعالى عليه" وبالطريقة العملية بمنع الجارية والأعرابي من الأكل بغير ذكر الله تعالى "فأخذ رسول الله ﷺ بيدها" ثم تطبيقه ﷺ عملياً للذكر قبل الأكل "ثم ذكر اسم الله تعالى، وأكل" والتعليم من وسائل الدعوة المفيدة لما فيه من

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٢) أدب المؤمن، أحمد حمزة عبدالباقي ص ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧٩.

(٥) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨٣، ٢٨٤.

إيجاد نهضة فكرية وتعليمية، وهو سر نجاح الأمم ونقلها من الظلمات إلى النور[١]. ولقد كانت أول آيات القرآن نزولاً قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢] فهذه الآيات تبرز حقيقة التعليم، وتبين أهمية التفقه، وتعطي الأولية للتعلم[٣].

رابعاً - من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ "والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديها" وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية المؤثرة، لما فيه من التأكيد والتعظيم وجمع الانتباه[٤]، وإيقاع الدعوة في قلب المدعو موقع القبول والتسليم. ولقد استخدم القرآن أسلوب القسم في تقرير كثير من القضايا والأحكام، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٥] وقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٦].

خامساً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام:

إن لذكر الله تعالى عند الطعام فضلاً لا ينكر ومنه ما بينه النبي ﷺ في الحديث من منع الشيطان وحرمانه منه، وإحلال البركة فيه، فنهى ﷺ في الحديث عن الأكل بغير ذكر الله عملاً وقولاً "فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ "إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يُذكر اسم الله تعالى عليه" يقول ابن القيم: (والحكمة في التسمية حرمان الشيطان من مشاركة الآكل المسمى في طعامه)[٧].

---

(١) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٤٧.

(٢) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٣) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي ص ٣٦٣.

(٤) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٢٧.

(٥) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٦) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٧) الأذكار، النووي ص ٤٢٧.

وليس هناك من يرضى أن يشاركه الشيطان في طعامه ويمنعه من بركته، قال ابن عثيمين: (والتسمية على الأكل واجبة، إذا تركها الإنسان فإنه يأثم، ويشاركه الشيطان في أكله، ولا أحد يرضى أن يشاركه عدوه في أكله، فإذا لم تقل: بسم الله، فإن الشيطان يشاركك فيه)[1].

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٥١.

الحديث رقم (٧٣٢)

٧٣٢- وعن أُمَيَّةَ بن مَخْشِيٍّ الصحابيِّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ جَالِساً، وَرَجُلٌ يَأكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ اللهَ[١] حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إلاَّ لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ، قَالَ: بِسْمِ اللهِ أوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبيّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: ((**مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسمَ اللهِ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ**)) رواه أَبُو داود والنسائيُّ[٢].

ترجمة الراوي:

امية بن مخشي: هو أمية بن مخشي الخزاعي.

صحب النبي ﷺ، ثم سكن البصرة.

روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً في التسمية عند الأكل، رواه عنه: ابن أخيه، وقيل ابن ابنه المُثنَّى بن عبدالرحمن[٣].

غريب الألفاظ:

استقاء: أخرج ما في جوفه قيئاً[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل خبراً طريفاً وموقفاً يراه النبي ﷺ بما كشف له من الغيب يرى شيطاناً يأكل مع إنسان لم يسم الله تعالى وهو ما يبين سر الجمع بينهما، وهو عدم

---

(١) لفظهما: (فلم يسمِّ).

(٢) أخرجه أبو داود ٣٧٦٨ واللفظ له، والنسائي في الكبرى ٦٧٢٥، و١٠٤٤. وقال الحاكم ١٠٩/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٤).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٢/٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٨٤/١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٩، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٨٦/١)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٨٨/١-١٨٩.

(٤) انظر: ل في (ق ي أ).

ذكر الله تعالى مما يكشف عن أهميتها، وقد صاغ الصحابي المعنى في أسلوب خبري يناسب أسلوب القص، والحكاية، والفعل المضارع في قوله (وَرَجُل يَأْكُل فَلَمْ يُسَمِّ الله) يصوِّر الحدث وقوله: (فلم يسم الله) تحدد موضع الخطأ وقوله: (حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة) أسلوب قصر بطريق النفي والاستثناء يؤكد انتهاء طعامه إلا لقمة سيكون عندها نقطة التحول، ويدرك بها ما فاته وقوله قال: (قال بسم الله أوله وآخره) الباء للاستعانة أي أستعين بالله، أو للابتداء أي: أبدأ بسم الله، وقوله (أوله وآخره) طباق يقرر المعني، ويحيط بذكر الله طعامه فيحفظه من الشياطين، ولا يترك للشيطان مدخلاً إلا أن يقيء ما أكل، وهو ما أضحك الرسول ﷺ على خيبة الشيطان من جهة، وعلى تذكر الرجل، وإدراكه ما فاته بذكر الله من جهة، وقوله (ما زال) يقرر استمرار الشيطان في الأكل مع هذا الغافل حتى ذكر الله، والفعل المضارع (يأكل) يستحضر الصورة، والظرف (معه) يؤكد المشاركة، وقوله (استقاء) فيها معنى طلب القيء، وكأن الشيطان لما سمع ذكر الرجل لله اشتعل ما أكل في بطنه ناراً فأراد الخلاص منه، وهذه القصة تؤكد قيمة البسملة وأثرها في حفظ الإنسان، وأثرها في طرد الشيطان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أهمية ذكر الله عند الطعام.

ثانياً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين، وإرشادهم إلى ما ينفعهم.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان أهمية ذكر الله عند الطعام:

لقد تضافرت الأحاديث النبوية على بيان أهمية ذكر الله عند الطعام جلباً للبركة فيه وحرماناً للشيطان من مشاركة الآكل فيه[1]. وكما جاء في الحديث تأثير التسمية في بركة الطعام أو حرمان الشيطان "كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة واحدة فلما رفعها إلى فيه قال بسم الله أوله

(۱) انظر: الأذكار، النووي ص ٤٢٧.

وآخره، فضحك النبي ﷺ ثم قال: "ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه" قال ابن القيم: (وللتسمية في أول الطعام والشراب وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه، ودفع مضرته، وقال الإمام أحمد: إذا جمع الطعام أربعاً، فقد كمل: إذا ذكر اسم الله في أوله، وحُمِد الله في آخره، وكثرت عليه الأيدي، وكان من حِلٍّ)(١).

ولما بدا لذكر الله على الطعام من أهمية بالغة، كان من الأهمية بمكان أنه ينبغي على الداعية أن يولي تعليم الناس الأدعية والأذكار اهتمامًا خاصاً لما فيها من إظهار العبودية لله تعالى، واستحضار ذكر الله تعالى واستصحابه، وصَبغ حياة الإنسان به، فحياة الإنسان كلها لله وبالله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢).

ثانياً - من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وإرشادهم إلى ما ينفعهم:

إن من أبرز واجبات الداعية الواجب التحلي بها: بيان الحقائق للمدعوين حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣) وإرشادهم إلى ما فيه صلاح المعاش والمعاد والفوز بسعادة الدارين(٤). وقد جاء في الحديث ما يشير إلى ما ينبغي أن يكون عليه الداعي من بيان الحقائق وذلك في قوله ﷺ "ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه".

وفي ذلك تبيين من الرسول ﷺ لحلول البركة في الطعام وحفظه من الشيطان إذا ذكر اسم الله عليه، وفقدان ذلك كله إذا لم يذكر اسم الله عليه، وفي ذلك إرشاد

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٢/٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢.

وتحذير وتلك مهمة الدعاة والعلماء قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١].

ثالثاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في التسمية وذكر الله على الطعام، حتى يُبارك في الطعام، ويُحرم الشيطان من المشاركة في الأكل، فقال ﷺ عن ذلك الرجل الذي تذكر وذكر اسم الله عند آخر لقمة، مما يرغّب في ذكر الله تعالى، فقال ﷺ: "ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه" وأسلوب الترغيب من آكد أساليب الدعوة استخداماً وتأثيراً لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[٢]، وبما فيه الصلاح في الأولى والآخرة. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣].

وأسلوب الترغيب يولد عند المدعو الرغبة في نيل ما وُعد به، فلا يبقى من الجهد مبذولاً، ولا يدع للهمة ذبولاً، ولا يترك غير القصد مأمولاً، فرغبته لا تدع من مجهوده مقدوراً له إلا بذله، ولا تدع لهمته وعزيمته فتوراً ولا خموداً، وعزيمته في مزيد لا تترك في قلبه نصيباً لغير مقصوده[٤].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٠٧.

الحديث رقم (٧٣٣)

٧٣٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَأكُلُ طَعَاماً فِي سِتَّةٍ مِنْ أصْحَابِهِ، فَجَاءَ أعْرَابِيٌّ، فَأكَلَهُ بلُقْمَتَيْنِ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**أما إنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

لكفاكم: لأغناكم واستغنيتم به عن غيره[2].

الشرح الأدبي

الحديث السابق أشار إلى أثر التسمية على الشيطان، وصوَّر ذلك بأسلوب القصة، وهذا الحديث يبيِّن أثر التسمية على بركة الطعام، والحديث يبدأ بأسلوب خبري يسرد الأحداث في تسلسل حيث استحضرت الصورة بالفعل المضارع (يأكل) والذي يوحي بالاستمرارية، وتنكير (طعاماً) للتقليل، وقولها (في ستة) تشير إلى أن البركة كانت

---

(١) بعد حديث (١٨٥٨، بدون رقم). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٢١٤)، وقال الحاكم (١٠٨/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢١).

تنبيه: هذا الحديث تقدم برقم (٧٣٤) أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢١) بهذا اللفظ برقم (٧٣٨) وعزاه إلى أبي داود والترمذي، وقال: حديث حسنٌ صحيحٌ، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وزاد: (فإذا أكل أحدكم طعامه، فليذكر اسم الله عليه، فإن نسي في أوله، فليقل: بسم الله أوله وآخره) وقال المنذريُّ: وهذه الزيادة عند أبي داود، وابن ماجه مفردة.

فرّق النووي بين اللفظين عن عائشة، فأورده برقم (٧٣٤) وعزاه إلى أبي داود، والترمذي وهو كما قال. ثمَّ أورده عن عائشة رضي الله عنها برقم (٧٣٨) وعزاه إلى الترمذي وهو كما قال. والحديث جمعه بين اللفظين في حديث واحد ابن ماجه (٣٢٦٤)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ٥٢١٤)، ولم يورد أبي داود، والحاكم إلا بلفظ الأول، وفرقهما الترمذي في جامعه.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ف ا).

حاصلة في الطعام بذكر الآكلين لله مع كثرتهم، وقولها (فجاء أعرابي فأكله بلقمتين) تتابع الفاءات في العبارة يوحي بالسرعة التي تؤكد النَّهم في الأكل ،ويؤكده قولها (فأكله بلقمتين)، وقول الرسول ﷺ (أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ) تركيب العبارة، وكثافة المؤكدات فيها تؤكد قوة أثر التسمية في بركة الطعام؛ لأنه صدَّرها بأما الاستفتاحية تلاها حرف التوكيد (إن) المتصلة بضمير الشأن المشعر بالتعظيم، وحرف الامتناع لامتناع (لو) الذي يمثل نقطة التقصير، وسبب محق البركة، وهو امتناع التسمية، ثم لام التوكيد المتصلة بالفعل الماضي الدال على تحقق الكفاية، والمتصل بميم الجمع الذي يؤكد أثر التسمية على الطعام مع كثرة العدد.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من صفات النبي ﷺ: التواضع.

ثالثاً: من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما يحقق لهم الراحة والكفاية.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديث، حيث أخبر النبي ﷺ أن التسمية على الطعام سبب للبركة فيه وبتركها تنزع البركة منه[1] فقال ﷺ عن الأعرابي الذي أكل من غير أن يسم "أما إنه لو سمى لكفاكم" وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية النافعة، لما فيه من إيقاف المدعوين على الحقائق وإرشادهم إليها.

ثانياً - من صفات النبي ﷺ: التواضع:

يبدو ذلك واضحاً جلياً في الحديث في قوله "كان رسول الله ﷺ يأكل طعاماً في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين" وذلك من جم تواضعه ﷺ أنه كان لا يستنكف عن مجالس الأصحاب والأعراب، وتواضعه ﷺ يدل على علو منصبه

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ١٠٠٩.

ورفعة مرتبته، فكان أشد الناس تواضعاً وأعدمهم كبراً، وحسبك أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً، قال: ((بَلْ عَبْداً رَسُولاً))[1] فكان ﷺ يركب الحمار ويردف خلفه، ويعود المساكين ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، حيث ما انتهى به المجلس جلس، إلى غير ذلك من الآثار التي تدل على انتهاء رسول الله ﷺ في كمال الأخلاق، واعتدال غايتها[2].

وذلك يبين لنا ما كان عليه ﷺ من حسن الخلق وجميل التعامل، لذا فينبغي على الدعاة إلى الله تعالى وعلى كل محب لرسول الله ﷺ التحلي بأخلاقه ﷺ والتي من أبرزها خلق التواضع، والذي جعله الله من أكبر وأظهر سمات عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[3].

ثالثاً - من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما يحقق لهم الراحة والكفاية:

إن من أبرز المهام التي ينبغي أن يضطلع بها الداعية توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم ويحقق لهم الكفاية والراحة، كما هو واضح في أحاديث آداب الطعام والشراب، حيث وجّه النبي ﷺ المؤمنين إلى ما يحافظ على بركة الطعام ويُمَكّن من استمرائه ففي الحديث جاء قول رسول الله ﷺ "أما إنه لو سمى لكفاكم" أي بورك لكم في الطعام[4] وذلك من أسباب الراحة والكفاية. قال ابن القيم: (وللتسمية في أول الطعام والشراب، وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه ودفع مضرته)[5].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٣١/٢، رقم ٧١٦٠، وقال محققو المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين ٧٧/١٢.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧٣، ١٧٨.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٩٢/٢.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٢/٤.

رابعاً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام:

لقد تضافرت الأحاديث النبوية على بيان فضل ذكر الله عند الطعام وبيان أوجهه والتي منها حلول البركة في الطعام، وحرمان الشيطان من المشاركة فيه[١] وجاء في الحديث ما يدل على ذلك، وذلك في قوله ﷺ عن الأعرابي الذي أكل من غير أن يسم "أما إنه لو سمى لكفاكم" وذلك يدل على أن التسمية مطلوبة عند وضع اليد في الطعام أول الأكل[٢] رجاء حصول البركة فيه وحرمان الشيطان من الإصابة منه[٣]؛ إذ أن الإنسان إذا لم يسم نزعت البركة من طعامه، لأن الشيطان يأكل معه، فيكون الطعام الذي يظن أنه يكفيه لا يكفيه، لأن البركة تنزع منه[٤].

---

(١) انظر: الأذكار، النووي ص ٤٢٧.

(٢) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد ص ١٢١.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٥٣.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٥٥/٢.

الحديث رقم (٧٣٤)

٧٣٤- وعن أَبي أُمَامَة ﵁ : أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ، قَالَ: ((الْحَمْدُ للهِ حَمداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَاركاً فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلاَ مُوَدَّعٍ، وَلاَ مُسْتَغْنَىً عَنْهُ رَبَّنَا)) رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

ابو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

غير مكفيٍّ: غير مردود عليه إنعامه[(٢)].

مُودَّع: متروك[(٣)].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من جملة الأحاديث التي تربط العادة بالعبادة، وهي نوع من الآداب التي تربط المؤمن بربه، وتجعله - دائماً - نزيل رحمته، ورفيق معيته.

وقول الراوي (إذا رفع مائدته) كناية عن انتهائه من طعامه، ولم يكن له ﷺ مائدة بالمعنى المعروف إلا إذا أريد بالمائدة الطعام نفسه أو بقاياه، وقول الرسول ﷺ (الحمد لله) اللام في الحمد للجنس أي جنس المحامد كلها لله والجملة فيها قصر بتعريف الطرفين يقصر الحمد - على الحقيقة - عليه وحده دون من سواه، ووصفه بأنه (كثيراً طيباً) لأن حمد الله نعمة تستحق الحمد وهكذا تتوالى سلسلة المحامد والتكثير من باب التسديد والمقاربة، ولن يؤدي عبد حقَّ الله في الحمد وقوله (غير مكفي) (يَحْتَمِل أَنْ يَكُون مِنْ كَفَأْت الإِنَاء، فَالْمَعْنَى: غَيْر مَرْدُود عَلَيْهِ إِنْعَامه.

---

(١) برقم (٥٤٥٨).

(٢) فتح الباري ٤٩٣/٩. وهناك أقوال أخرى في تفسيره انظرها في الفتح.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٤/٩.

وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون مِنْ الْكِفَايَة أَيْ إِنَّ اللَّه غَيْر مَكْفِيّ رِزْق عِبَاده، لأَنَّهُ لا يَكْفِيهِمْ أَحَدٌ غَيْره. وَقَالَ اِبْن التِّين: أَيْ غَيْر مُحْتَاج إِلَى أَحَد، لَكِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُطْعِم عِبَاده وَيَكْفِيهِمْ، وَهَذَا قَوْل الْخَطَّابِيّ. وَقَالَ الْقَزَّاز: مَعْنَاهُ أَنَا غَيْر مُكْتَفٍ بِنَفْسِي عَنْ كِفَايَته[1].

وقوله (ربنا) أي يا ربنا وتخصيص الرب بالنداء لأنها تستلزم الرعاية والتربية والحفظ فناسب أن يختم بما فيه مدد النعمة من الطعام ومن الحمد عليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ إذا رفع مائدته.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى عند الفراغ من الطعام والشراب.

ثالثاً: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ إذا رفع مائدته:

جاء في الحديث هدي النبي ﷺ إذا رفع مائدته، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا رفع مائدته، قال: "الحمد لله حمدًا كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفيٍّ ولا مستغنى عنه ربنا" أي أحمد الله كثيراً طيباً منزهاً عن سائر ما ينقصه من رياء أو سمعة أو إخلال بإجلال[2] غير مكفيٍ، قال القزاز معناه: أنا غير مكتفٍ بنفسي عن كفايته.

وقال الداودي: معناه: لم أكتف من فضل الله ونعمه[3] ولا مستغنى عنه أي عن الطعام وفضل الله، لذا كان من السنة بدء الطعام بالتسمية وختامه بالحمد، قال ابن البناء: (وتحقيق الفقه أن التسمية على الأكل والحمد كلاهما مسنون)[4]. ومن آداب الأكل أيضاً أن يدعو الآكل لمن أكل عنده بدعاء رسول الله ﷺ ((اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني حديث (٥٠٢٧).

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠١٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٤٩٣/٩، ٤٩٤.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢١٢/٣.

أَطْعَمَنِي. وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي))[(١)].

قال النووي: (وفي ذلك الدعاء للمحسن والخادم ولمن سيفعل خيراً، وفيه ما كان عليه الصلاة والسلام من الأخلاق المرضية والمحاسن المرضية)[(٢)].

وهناك آداب ليس عليها بخصوصها أدلة من الكتاب والسنة، ولكنها توافق روح الشريعة، والعرف العام الذي يعتبر به في مثل هذه المواطن، فمن ذلك: أن يأكل بلا تكلف، وأن لا ينظر إلى رفاقه بعين المراقبة، فإن ذلك يخجلهم، وأن لا يفعل ما يستقذره الناس في الغالب، كنفض اليد في الإناء والأكل والفم مملوء بالطعام، وكذا الكلام وفي فمه طعام، أو مجرد فتح فمه والتجشؤ، وغير ذلك من الآداب التي تناسب الذوق السليم[(٣)].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى عند الفراغ من الطعام والشراب:

لقد تفضل الله على عباده بعظيم الفضل على حمده بعد الفراغ من الطعام والشراب ومن ذلك الفضل رضا الله تعالى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ اللّه لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا. أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[(٤)] [(٥)].

وقد بين القرآن أن حمد الله وشكره على نعمه مُؤْذن بالمزيد[(٦)]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[(٧)] كما أن حمد الله على الطعام والشراب سبب لغفران الذنوب والآثام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ أَكَلَ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٣٤.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠١.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٥٥.

(٥) كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب ص ١٥٤، ١٥٥.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/ ٥٧٢.

(٧) سورة إبراهيم، آية: ٧.

طَعاماً فقالَ الْحَمدُ لله الّذي أطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي ولاَ قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[1]. لهذه الأسباب وغيرها كان حرص النبي ﷺ تعليم أمته حمد الله بعد الطعام، كما هو ظاهر في الحديث "كان إذا رفع ما ئدته قال الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفي ولا مودّع ولا مستغنىً عنه ربنا".

ثالثاً - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

إن ما ينبغي على المسلم سواء كان داعية أو مدعواً التأسي برسول الله ﷺ في شؤونه وأحواله كلها إلا ما كان خاصاً به ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2] والأسوة اسم لما يؤتسى به أي يقتدى به ويعمل مثل عمله، وفي الآية جعل الله متعلق الائتساء ذات رسول الله ﷺ دون وصفٍ خاصٍ، ليشمل الائتساء به في أقواله وأفعاله اجتناب نواهيه وامتثال أوامره[3] والتأسي برسول الله ﷺ في شؤونه كلها، حتى في آداب الطعام والشراب وغيرها مظهر من مظاهر المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ[4] وفي الحديث جانب من الجوانب التي يتأسى فيها برسول الله ﷺ وهو حمد الله بعد الطعام والشراب "وكان إذا رفع مائدته قال: "الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفيٍّ ولاموَّدع ولا مستغنى عنه ربنا".

وذلك يفيد أن الحمد الخالص من الرياء والتظاهر، وغير ذلك من الشرور، ليس إلا لله تعالى الذي يكفي غيره احتياجاته ولا يحتاج لأحد، المستغني عن كل ما سواه، والمفتقر إليه كل ما عداه، وما ذاك إلا ليستحضر الإنسان نعم الله عليه في كل ما يتصل به ليرعى حقوق الله تعالى، ويبتعد عما نهي عنه[5].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٥٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٥١).

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٨/٢١/٣٠٢، ٣٠٣.

(٤) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٤٠.

الحديث رقم (٧٣٥)

٧٣٥- وعن معاذ بن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ أكَلَ طَعَاماً، فَقالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

معاذ بن أنس الجُهَني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٧).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في الحمد وبيان فضله جاء في أسلوب خبري خال من المؤكدات لأن الخطاب فيه لخالي الذهن، وقد بني على أسلوب الشرط غير الجازم الذي يربط الفعل بالجزاء ترغيباً فيه، وهوأسلوب شائع في البيان النبوي، وفعل الشرط هو (أكل طعاماً) وما عطف عليه وجوابه جملة (غفر له ما تقدم من ذنبه).

والدعاء الذي ذكره الرسول ﷺ له خصوصية توفر له عناصر القبول، وتحقيق الغاية بمغفرة الذنوب مع آداء شكر النعمة، وطلب المزيد، وهذه العناصر أولها: الثناء على الله (الحمد لله) أي هو المخصوص بالحمد، وثانيها: النَّص على النعمة؛ لأنه أكمل في الثناء على المنعم من حيث أن القلب يكون أكثر إحساساً بها حال حضورها (الذي أطعمني هذا) وثالثها: الاعتراف للمنعم بنعمته (ورزقنيه) ورابعها: الاعتراف بالعجز، والمسكنة (مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ) ولذلك كان الجزاء مغفرة الذنوب لأنه استجمع أسباب القبول.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨) واللفظ في هذا الحديث للترمذي، أما أبو داود فقد زاد: "غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" زيادة في أبي داود. وقال الحاكم (١٩٢/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩٤).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانياً: من مهام الداعية: بيان آداب الطعام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى بعد الطعام.

رابعاً: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ بعد الطعام.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ظاهراً واضحاً، حيث رغب النبي ﷺ في حمد الله على الطعام بمغفرة الذنوب، فقال ﷺ: "من أكل طعاماً فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه" فجاء في الحديث الترغيب بمغفرة الذنوب بقول تلك الكلمات بعد الفراغ من الطعام التي لا تكلف الإنسان نفقة ولا تعييه نصباً.

وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية وأعظمها تأثيراً، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه، وقد تكرر أسلوب الترغيب كثيراً في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قِبَلِ الداعي المسلم[1].

ثانياً - من مهام الداعية: بيان آداب الطعام:

إن في بيان رسول الله ﷺ لما ينبغي على الإنسان فعله بعد الفراغ من الطعام ما يؤكد مهمة الداعية في توضيح آداب الطعام، حيث قال ﷺ: "من أكل طعاماً فقال الحمد الله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه" وفي توضيح الداعي للناس الأحكام والآداب، قيام بأمانة التبليغ، وهي أن يبين للناس ما وجب عليه تبليغه، وأن ذلك مما يجعل المحبة للداعية قوية، والثقة به عظيمة، وتأثيره في الناس بالغاً مداه[2].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) انظر: أخلاقية الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٢٤-٢٦.

وذلك مما يسهل على الداعية الارتقاع بهمم من يقوم بدعوتهم، وتنبيههم إلى المراتب العالية، وحثهم على التنافس على فعل الخير وخير العمل.

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى بعد الطعام:

ذكر لنا النبي ﷺ جانباً من جوانب فضل حمد الله تعالى بعد الطعام، بأنه سبب للغفران فقال: "من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذي رزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه" فحمد الله بعد الطعام أداء شكر المنعم، وطلب زيادة النعمة لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] إذ الشكر من دواعي الزيادة واستمرار النعم، فمن شكر أعطى ومن كفر حُرم[2] وفي الحديث حث على ختم الطعام بالحمد لأن المدار على حسن الخاتمة، مع ما فيه من الإشارة إلى كمال الانقياد في الأكل والشرب وغيرهما، قدراً ووصفاً ووقتاً، احتياجاً واستغناءً بحسب ما قدره وقضاه[3].

رابعاً - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ بعد الطعام:

إن مما يحسن ويجمل بالمسلم اتباع هدي النبي ﷺ بعد الطعام من حمد لله وشكره على ما أسبغ من نعم، كما جاء في الحديث ترغيب وبيان لأثر حمد الله بعد الطعام، فقال ﷺ: "من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من به" وإن اتباع رسول الله ﷺ أكبر دليل وأقوى شاهد على صدق المحبة لرسول الله ﷺ إذ أن موافقة المحب لمحبوبه دليل على صدق المحبة، وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة، وأكبر دليل على صدق الحب لرسول الله ﷺ هو طاعته واتباعه[4] وفي نفس الوقت دليل على محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٢) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٦٢/١٣/٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٦٢/٢.

(٤) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(فهذه الآية هي الميزان التي يعرف بها من أحب الله حقيقة ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه طريقاً إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة الله وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة، وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما. فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه، وستر عليه عيوبه)[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٠٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الأصل في النعم أن تذكر بالله وتجلب الشكر للمنعم، ومن هذه النعم نعمة الطعام والشراب، وقد حرص الرسول ﷺ على تربية أصحابه على هذا الخلق في الأكل وإن كان من كسب اليد أو يد الآخر إلا أن تناوله يتطلب ذكر الله عن طريق البسملة، فإذا كان الفراغ من الأكل كان شكر الله على نعمة التناول مع نعمة الإسلام. ومثل ذلك الشرب، البدء بالبسملة والفراغ منه بالحمد شكراً للمنعم على نعمة الماء العذب الفرات الذي ساقه وسقانا منه برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا.

وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على التسمية في أول الطعام والحمد في آخره:

إن من الآداب التي ينبغي غرسها في نفوس المتربين آداب الطعام، ومن أهم آداب الطعام التسمية في أوله والحمد في آخره، ومن أحاديث الباب التي تدلل على هذا المعنى حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: «سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يَلِيك»، وحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ...»، وحديث جابر رضي الله عنهما: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ لأَصْحَابِه: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ ...».

وحديث أبي أمامة رضي الله عنه «أن النبيَّ ﷺ كان إذا رَفَعَ مائدته قال: الحمدُ لله كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه، غير مَكفِيّ ولا مُوَدَّع ولا مُستَغنىً عنه ربّنا».

وجملة هذه الأحاديث تشير إلى أنه من آداب الطعام التسمية في أوله والحمد في آخره.

"لقد اهتم الإسلام بمراعاة الآداب الاجتماعية العامة، وتتضمن الآداب الاجتماعية أمور الحياة العادية التي تقوم عليها حياة الإنسان في المجتمع، ومن هذه الآداب أدب الطعام والشراب، ومن آدابه التي حرص الإسلام عليها، وعلى تعليمها للمنتسبين إليه تسمية الله والأكل باليمين والأكل من أمام الشخص كما يستحب التحدث على

الطعام، ومن آداب الشرب: استحباب التسمية في أول الشرب والحمد في آخر الشرب"[١].

"ومن الآداب الاجتماعية التي يجب أن يحرص المربي على غرسها وتعميقها أدب الطعام والشراب، وذلك لأن للطعام والشراب آدابًا على المربي أن يعلمها الولد ويرشده إليها، ويلاحظه في تطبيقها، ومن ذلك التسمية في أول الطعام والحمد في آخره"[٢].

ثانيًا- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية التي ينبغي على المربين أن يسلكوها في العملية التربوية التربية بالمواقف والأحداث حيث يستغل المربي الحدث أو الموقف في التعليم والتوجيه والتربية، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث حذيفة ﵁ قال: «كنا إذا حضرنا مع رسول الله طعامًا، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا، فجاءت جارية كأنها تُدفع، ...، فقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ الشَّيْطانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعامَ أنْ لا يُذْكَرَ اسمُ اللهِ تعالى عَلَيْهِ، وإنَّهُ جاءَ بِهَذِهِ الجَارِيةِ ...»، وكذلك حديث أمية بن مخشى الصحابي ﵁ قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ فلَمْ يُسَمِّ الله حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إلاَّ لُقْمَةٌ، فلَمَّا رَفَعَهَا إلَى فِيهِ قال بِسْمِ اللهِ أوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبيُّ ﷺ ثُمَّ قال: مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللهِ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ». وكذلك حديث عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل طعامًا في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنَّهُ لوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ».

فمن خلال هذه الأحاديث يتضح أن النبي ﷺ بين ووضح من خلال الموقف والحدث أهمية التسمية على الطعام.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١٦١.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٤٣٢/١.

الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها للمسلمين. وهكذا كان رسول الله ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة"[1].

إن المربي الناجح هو الذي يستغل الحدث والموقف في حينه ليعطي توجيهاته وإرشاداته فيكون ذلك أكثر استقرارًا في العقل والقلب "إن من طرق التربية الفعّالة التربية بالأحداث أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين، وميزة هذا التوجيه، وهذا التغير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغيير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر، والمربي البارع لا يترك الأحداث -تلقائية كانت أم مخططة- تذهب سدى بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب"[2].

ثالثًا- التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية حيث يلمس المتربي التطبيق العملي للفعل المأمور به، ومما ورد في أحاديث الباب يدلل على ذلك حديث حذيفة رضي الله عنه، وجاء فيه «.... والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديهما ثم ذكر اسم الله تعالى وأكل»، وكذلك حديث أبي أمامة رضي الله عنه «أن النبيَّ ﷺ كان إذا رَفَعَ مائدته قال: الحمدُ لله كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه، غير مَكفِيّ ولا مُودَّع ولا مُستَغنىً عنه ربّنا».

والتربية بالممارسة العملية تقنع المتربي، وتحفزه إلى التطبيق والتنفيذ.

"إن أسلوب التدريب والممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل، ويدرك الفرد العلاقة بين القول والعمل والنظرية والتطبيق والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب التدريب والممارسة العملية، وتؤمن

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٧.

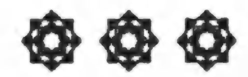
(٢) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٤٦.

أن الممارسة العملية هي الترجمة الحقة لآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك؛ لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه"[1].

رابعًا- التربية بالترغيب:

إن التربية بالترغيب من الأساليب التربوية المهمة حيث يطمع المتربي في الأجر والمثوبة فيدفعه ذلك إلى العمل، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ لأصْحَابه: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ......». ففي هذا ترغيب في ذكر الله عند دخول البيت، وعند الطعام، لأن ذلك يطرد الشيطان، فلا يجتمع مع أهل البيت في مبيت ولا طعام، ومن الترغيب أيضًا حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعامًا فقَالَ: الحَمْدُ لله الّذي أَطْعَمَنِي هذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

"والترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل شيء ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويمكن أن نقول: إن الترغيب وعد بالثواب، والمكافأة على عمل حسن قولاً كان أو فعلاً، ويمتاز الترغيب في التربية الإسلامية أنه يعتمد على النصوص القرآنية والنبوية وعمل الصحابة رضي الله عنهم في إقناع المربي والأولاد في الأخذ به وبيان أن الترغيب مرتبط بالإيمان الصحيح والعقيدة السليمة"[2].



---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٦، ٨٧.

(٢) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢١٨.

١٠١- باب لا يَعيبُ الطّعام واستحباب مَدحه

الحديث رقم (٧٣٦)

٧٣٦- عن أَبي هُريرة رضي الله عنه ، قَالَ: مَا عَابَ رسولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إن اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قلب الرسول ﷺ أطهر القلوب وأرضاها بنعمة الله ولم يكن غذاء البطن غاية يسعى إليها يوماً وإنما كان الطعام وسيلة للتقوي على القيام بأوامر الله يقتصر منه على ما يؤدي الغرض دون النظر إلى مسماه، أو ماهيته، بل إنه كانت تمرُّ عليه الشهور ولا يُوقد في بيته نار، وأتت عليه أيام قضاها دون طعام، أفضل خلق الله يربط على بطنه حجراً من شدة الجوع.

وهذا الحديث يؤكد ذلك، وقد رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، وهو من أكثر الصحابة ملازمة لرسول الله ﷺ ومعرفة بما يحب ويكره، وقد بدأه بأسلوب خبري تصدَّرته (ما) النافية الداخلة على الفعل الماضي الذي يفيد تحقق نفي الفعل، وتنكيره لـ (طعاماً) يفيد العموم أي: ما عاب قليلاً ولا كثيراً ولفظ (قط) يؤكد ذلك وينفي وَهْم المبالغة، وقوله: (إنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ) فيه طباق بين اشتهاه، وكرهه، وبين أكله، وتركه، وهذا الطباق يوضح كيفية تعامله مع ما يقدم إليه من غير إزدراء لنعمة الله، ولا تجريح لمن أعده.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٠٩) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٤/١٨٧).

فقه الحديث

عدم ذم الطعام: ذهب الفقهاء إلى أنه يستحب للآكل مدح الطعام، ويكره له ذمه، أو تعييبه، فالنبي ﷺ ما عاب طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه، وهكذا ينبغي أن يكون حال المسلم.

يقول النووي: من آداب الطعام المتأكدة ألا يعاب كقوله: مالح، حامض، قليل الملح، غليظ، رقيق، غير ناضج، ونحو ذلك[(١)].

قال ابن بطال: هذا من حسن الأداب، لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره، وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: كمال خلق النبي ﷺ.

ثانيًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

ثالثًا: من صفات الداعية: التواضع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: كمال خلق النبي ﷺ:

لقد بلغ النبي ﷺ منزلة عالية في كمال الخلق وحسن الأدب، يتضح ذلك من الحديث: (ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط)، قال النووي: "هذا من آداب الطعام المتأكدة وعيب الطعام كقوله: مالح قليل الملح، حامض رقيق غليظ، غير ناضج ونحو ذلك وأما حديث ترك أكل الضب فليس هو من عيب الطعام إنما هو إخبار بأن هذا الطعام الخاص لا أشتهيه"[(٣)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦/١٤/٧ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/٩ وما بعدها، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٨/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٥٧/١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٦.

وقال ابن حجر: "ما عاب النبي ﷺ طعامًا، أي: مباحًا أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه، وذهب بعضهم إلى أن العيب إن كان من جهة الخلقة كره، وإن كان من جهة الصنعة لم يكره، قال: لأن صنعة الله لا تعاب، وصنعة الآدميين تعاب، قلت: والذي يظهر التعميم فإن فيه كسر قلب الصانع، قال ابن بطال: هذا من حسن الأدب لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب"[١].

وكل ذلك إنما يدل على كمال خلق النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان أحد أحسن خُلُقًا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه رضي الله عنهم ولا من أهل بيته إلا قال لَبَّيْك، وعن عطية العوفي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾). أي: على أدب القرآن[٣].

وقد جعل النبي ﷺ صاحب الخلق الحسن من خيار الناس، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا))[٤]، قال النووي: "وفيه الحث على حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه، وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه، قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه. قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبشر، والتودد لهم والإشفاق عليهم واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظ والغضب والمؤاخذة. قال: وحكى الطبري خلافًا للسلف في حسن الخلق هل هو غريزة أم مكتسب؟ قال القاضي: والصحيح أن منه ما هو غريزة ومنه ما يكتسب بالتخلق والاقتداء بغيره"[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٨/٩ - ٤٥٩.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٢٢/١٤.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٥٩، ومسلم ٢٣٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٣٠.

وقال أبو الشيخ الأصبهاني: "وأما حسن خلقه ﷺ فلقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وقيل لزيد بن ثابت رضي الله عنه: أخبرنا عن أخلاق رسول الله ﷺ؟ فقال: عن أي أخلاقه أخبركم؟ كنت جاره فإذا أنزل عليه الوحي بعث إلي فأكتبه، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإن أخذنا بحديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنان فكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ. وعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل بعض بيوته، فامتلأ البيت، ودخل جرير فقعد خارج البيت، فأبصره النبي ﷺ فأخذ ثوبه فلفه ورمى به إليه، وقال: اجلس على هذا، فأخذه جرير، ووضعه على وجهه وقبّله"[1].

لقد بلغ النبي ﷺ مبلغًا كبيرًا في حسن الخلق، "وأحسن البشرية أخلاقًا على الإطلاق سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ ولحسن خلقه وكمال أدبه، فهو محمود عند الله، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه المرسلين، ومحمود عند أهل الأرض كلهم، وما فيه من صفات الكمال محمود عند كل عاقل، وهو أحمد الخلق لربه وهو محمود بما يملأ به الأرض من الهدى والإيمان، والعلم النافع، والعمل الصالح، فتح الله به القلوب وكشف به الظلمة، أغاث الله به البلاد والعباد، وأحيا به الخليقة بعد الموت فمحمد ﷺ أعلم الخلق، وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثًا وأجودهم وأسخاهم وأصبرهم، وأعظمهم عفوًا ومغفرة ورحمة، وأعظم الخلق نفعًا للعباد في دينهم ودنياهم وأشدهم تواضعًا، وأعظمهم إيثارًا على نفسه، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، ولما كانت هذه صفاته وهذه أخلاقه، أمرنا الله عز وجل أن نقتدي به"[2].

ثانيًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

إن النبي ﷺ بلغ الغاية والكمال في حسن الأدب والخلق، ولذا كان من آداب المدعو التأسي بالنبي ﷺ، ويتضح هذا من سياق الحديث ومورده، وإذا كان هدي النبي ﷺ أنه لا يعيب طعامًا قط، فالواجب التأسي بهدي النبي ﷺ في ذلك، لأنه

---

(١) أخلاق النبي ﷺ وآدابه ١٩ - ٢٢.

(٢) موسوعة فقه القلوب، د. محمد بن إبراهيم التويجري ٢٦٤١/٣ - ٢٦٤٢.

الأسوة والقدوة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

قال ابن علان: "وفي الحديث استحباب عدم إعابة الطعام لأن إعابة الطعام تكون من الترفه والرعونة، وليس منها قوله ﷺ في الضب: (إني أعافه)، لأنه إخبار عن طبعه لا إعابة للطعام، وكان من هديه أنه ما عاب طعامًا قط في زمن من الأزمنة، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه من جهة الطبع تركه من غير ذم"[2]، وقال ابن عثيمين: "والذي ينبغي للإنسان إذا قدم له الطعام أن يعرف قدر نعمة الله بتيسيره، وأن يشكره على ذلك، وألا يعيبه ولا يتكلم فيه بقدح أو بعيب"[3].

وقد جعل الله تعالى اتباع النبي ﷺ والتأسي به دليل محبة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على هدى النبي ﷺ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع الإسلامي، ويسير على منهج النبي ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وأحواله فباتباعه يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ إنما الشأن أن تُحَبَّ، ثم قال تعالى: (ويغفر لكم ذنوبكم) أي باتباعكم للرسول ﷺ يحصل لكم هذا كله ببركة سفارته"[5].

إن المسلم الذي يتأسى بالنبي ﷺ ويتبعه إنما يحقق السعادة لنفسه في الدنيا

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ١٠١١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٥٦/٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢.

والآخرة، "فالمسلم الذي رضي بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً ولم يلتفت إلى غير هديه، ولم يعول في سلوكه على غير سنته، وحكّمه وحاكم إليه، وقبل حكمه وانقاد له وتابعه واتبعه، ورضي بكل ما جاء به من عند ربه، فيسكن قلبه لذلك، وتطمئن نفسه، وينشرح صدره، ويرى نعمة الله عليه وعلى الخلق بهذا النبي ﷺ وبدينه أيما نعمة فيفرح بفضل ربه عليه ورحمته له بذلك، حيث جعله من أتباع خير المرسلين وحزبه المفلحين"[١].

ثالثًا - من صفات الداعية: التواضع:

يتضح هذا من الحديث: (ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط)، وهذا يدل على تواضع النبي ﷺ، وقد جاء في الحديث: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ))[٢]، ومن تواضعه ما جاء عن أنس ﷺ قال: (كانتِ الأمَةُ من إماء أهلِ المدينة لَتَأْخُذُ بيد رسولِ اللَّه ﷺ فتنطَلِقُ به حيث شاءت)[٣]، والدعاة إلى الله من أحوج الناس إلى صفة التواضع "إن التواضع من خير الخلال، وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود، والتواضع يمكن الدعاة إلى الله من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس، فيستمعون إليهم، ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع مع جميع الناس، مع الكبير والصغير، والغني والفقير، وكل أصناف المجتمع"[٤].

قال الشيخ علي محفوظ: "إن التواضع ومجانبة العجب بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم؛ لأن التواضع عطوف والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح، وبالمرشدين أقبح لأن الناس بهم يقتدون، وكثيرًا ما يداخلهم الإعجاب لتميزهم بفضيلة العلم، ولو أنهم

---

(١) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني، مقال بمجلة البيان، العدد: ٩١ ربيع الأول ١٤١٦هـ/ أغسطس ١٩٩٥م ص ١٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٧.

نظروا حق النظر، وعملوا بموجب العلم، لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أحرى، لأن العجب نقص ينافي الفضل، قال بعض السلف: من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به، وقال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تُعلمَه أنه ليس لك عليه بدنياك فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا، حتى تُعلمَه أن ليس له بدنياه عليك فضل"[1].

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ١٠٤ - ١٠٥.

الحديث رقم (٧٣٧)

٧٣٧- وعن جابر رضي الله عنه : أنَّ النَّبيَّ ﷺ سَأَلَ أهْلَهُ الأُدْمَ، فقالوا: مَا عِنْدَنَا إلاَّ خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ، فَجَعَلَ يَأكُلُ، ويقول: ((نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ، نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الأُدْم: ما يؤكل به الخبز بما يطيبه سواء كان مرقًا أم لا[2].

الخَلُّ: ما حمض من عصير العنب وغيره[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث مؤكد لمعنى سابقه، وهو أن الرسول ﷺ لا يعيب طعاماً قط، إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه، وهو من كمال أخلاقه ﷺ، وقد بدأ الراوي بأسلوب خبري خال من المؤكدات؛ لأنه خطاب لخالي الذهن، وقوله (سأل أهله الأدم) طلب من زوجاته ما يؤتدم به، وقد جاءت إجابتهن له بأسلوب القصر الذي ينفي وجود أي أدم غير الخل، وقوله (فدعا به فجعل يأكل به) الفاء تدل على سرعة استجابته بطلبه، والفاء الثانية تدل على سرعة إقباله عليه فعلاً بالأكل، وفي هذا دلالة عملية على منتهى الرضى بما وجد من فضل الله، يدل على ذلك أسلوب المدح في قوله (نِعْمَ الأُدُم الْخَلّ) بالإضافة إلى التكرار الذي يدل على منتهى الرضي مع الشكر على النعمة؛ لأن الرضى بالنعمة، وقبولها من مظاهر شكر المنعم.

---

(١) برقم (٢٠٥٢/١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٤٢).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٧/٩، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٠.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (خ ل ل).

فقه الحديث

استحباب الحديث على الأكل تأنيسًا للآكلين[1]، وقد بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب استحباب الكلام على الطعام[2]، ثم قال: (قال الإمام أبو حامد الغزالي في "الإحياء": من آداب الطعام أن يتحدثوا في حال أكله بالمعروف، ويتحدثوا بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان بساطة العيش في بيوت النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة تزكية النبي ﷺ لطعام الخل.

ثالثًا: من صفات النبي ﷺ: التواضع.

رابعًا: من آداب المدعو: مدح الطعام ولو كان بسيطًا والاقتصاد في العيش.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان بساطة العيش في بيوت النبي ﷺ:

لقد امتلك النبي ﷺ الدنيا فزهد فيها وقنع ورضي بالقليل، ورغب في بساطة العيش هو وأهل بيته، يتضح هذا مما جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندنا إلا خل)، وهذا يدل على بساطة عيش النبي ﷺ وأهل بيته.

قال محمد الخضري: "ونبينا ﷺ أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد، وأحلت له

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص /٧/١٤، وانظر: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الشيخ مصطفى السيوطي ٢٤٤/٥، وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية ١٠٧/٤، وأسنى المطالب في صلة الأقارب، أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق: د. حسن عبدالحميد حسن ٢٢٧/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٧٦/٥-١٨٠ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٠/٣٥).

(٢) كما بوّب عليه: مدح الآكل الطعام الذي يأكل منه، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٦٢، الحديث ٥٨٣.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٦٤.

الغنائم وفتحت عليه في حياته البلاد، فما استأثر بشيء منه، ولا أمسك منه درهمًا، بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره، وقوى به المسلمين، واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه، وزهد فيما سواه، فأنت ترى رسول الله ﷺ حاز فضيلة المال بالزهد فيه، وإنفاقه على مستحقيه[1].

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: ((لم يمتلىء جوفُ رسول الله ﷺ شِبَعًا قطّ، ولم يَبُثّ شكوى إلى أحد، وكانت الفاقةُ أحبَّ إليهِ من الغِنى. وإنْ كان ليظلُّ جائعًا يلتوي طولَ ليلته من الجُوع؛ فلا يمنعه صيامُ يومه، ولو شاءَ سأل ربّه كنوزَ الأرض وثمارها ورغد عيشها. ولقد كنتُ أبكي له رحمةً مّا أرى به، وأمسحُ بيدي على بطنهِ ممّا أرى به من الجُوع، وأقول: نفسي لك الفداء، لو تبلّغتَ من الدُّنيا بما يقوتُكَ فيقول: يا عائشة ما لي وللدنيا؟ إخواني من أولي العَزم من الرُّسل صَبروا على ما هو أشدّ من هذا فمضَوا على حالهم، فقَدِمُوا عَلى ربّهم، فأكرم مآبهم وأجْزل ثوابهم؛ فأجدني أستحيي إن ترفّهتُ في معيشتي أن يُقصِّر بي غدًا دونهم، وما مِن شيءٍ هو أحبّ إليّ مِن اللّحوق بإخواني وأخلاّئي قالت: فما أقام بعدُ إلا شهرًا حتى توفي صلواتُ الله عليه وسلامه))[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها أيضًا: (مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا، مِنْ خُبْزِ بُرٍّ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ)[3]، وعنها رضي الله عنها قالت: (إِنْ كُنَّا، آلَ مُحَمَّدٍ، لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ. إِنْ هُوَ إِلاَّ التَّمْرُ وَالْمَاءُ)[4]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ دِينَارًا، وَلاَ دِرْهَمًا، وَلاَ شَاةً، وَلاَ بَعِيرًا)[5]، وقالت: (تُوفِّيَ النبيُّ ﷺ وما في بيتي شيء

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٢٧.

(٢) أخرجه السيوطي في مناهل الصفا ص ٨٣، وقال: الحديث بطوله لم أقف عليه، ولكن أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره... فذكر بعضه بنحوٍ منه، انظر: تعليق محمد أنس مصطفى الخن على نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٨٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٤١٦، ومسلم ٢٩٧٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٥٨، ومسلم ٢٩٧٢.

(٥) أخرجه البخاري ٢٧٣٩، ومسلم ١٦٣٥.

يأكله ذو كبد، إلاَّ شَطرُ شعيرٍ في رَفٍّ لي)[١].

وما من شك أن كل هذه الأمثلة تبين مدى بساطة عيش النبي ﷺ، "لقد اختار ﷺ لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف، لا عجزًا عن حياة المتاع، فقد عاش حتى فتحت له الأرض، وكثرت غنائمها، وعمَّ فيؤها، وأغنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد، ومع هذا كان يمضي الشهر، ولا توقد في بيوته نارٌ مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا، وتوفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله. ولقد ضرب النبي ﷺ بذلك المثل الأعلى، وكان فيه القدوة الحسنة لكل من زهد في الدنيا من أتباعه من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم"[٢].

ومن هذا يتضح أن بساطة عيش النبي ﷺ إنما كانت عن زهد في الدنيا، رغم امتلاكه لها، "لقد كان رسول الله ﷺ تنصب بين يديه أموال الجزيرة العربية، وتأتيه أخماس الغنائم، وتؤول إليه فدك وغيرها فيئًا خالصًا له من دون المسلمين، فما وقف قلبه على شيء من هذا، بل كان يصرفه لفوره إلى وجوه البر، والمصالح العامة وربما ربط الحجر على بطنه، يثبت به قلق معدته الجائعة، فما كان جوعه عليه السلام من إقلال، بل عن غنى زهدت فيه نفسه"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تزكية النبي ﷺ لطعام الخل:

إن النبي ﷺ زكّى الخل، وجعله نعم الأدم، فقد جاء في الحديث: (نعم الأدم الخل) وما من طعام زكاه رسول الله ﷺ إلا وفيه خير وبركة ونفع للمسلمين.

قال د. الحسيني هاشم: "ومعنى الحديث: ائتدموا وكلوا بالخبز الخلّ وما في معناه مما تخف مؤونته، ولا تتنافسوا في الشهوات، وفيه مدحٌ للخل نفسه"[٤].

ولقد أثبت التقدم العلمي أن للخل فوائد عديدة، ومزايا كثيرة للإنسان، قال د.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٥١، ومسلم ٢٩٧٣.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٣) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ١٩٤.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤٤١.

زغلول النجار: "إن الدراسات العلمية أثبتت أن الخل مضاد حيوي جيد يمنع تسوس الأسنان، ويطهر الجهاز الهضمي، ويقضي على ما به من جراثيم وطفيليات، وينشط عمليات الهضم في الجسم، ويعين على محاربة السمنة المفرطة، وفي علاج كل من أمراض الربو والحساسية، وحالات الإسهال الحاد لاحتوائه على عدد من المواد القابضة كما يعين في علاج آلام المفاصل، وتلطيف آثار لدغات النحل، ولدغات غيره من الحشرات والحيوانات البحرية.

ولقد وصف النبي ﷺ الخل بأنه (إدام) والإدام هو ما يؤتدم به، أي ما يتغذى به وما يطيب به الطعام ، والخل حامض من الأحماض الدهنية البسيطة المكونة للزيوت والدهون، التي هي من المكونات الأساسية للطعام لقيمتها الحرارية العالية، وإن كان الإفراط في تناول الدهون قد يكون ضارًا بالصحة، ومن هنا فإن تركيز حمض الخليك في الخل بنسب تتراوح بين ٤ و٥٪ يوحي بأنه غذاء مناسب لصحة الإنسان، ووصف رسول الله ﷺ الخل بأنه (إدام) وبأنه (نعم الإدام) يعتبر سبقًا علميًا مبهرًا؛ لأنه لم يكن لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، إدراك لقيمة الخل الغذائية"[١].

وقال د. صالح بن أحمد رضا: "يقول د. سيريل سكوت، وموريس هانس عن فوائد خل التفاح: "إنه يمنع الإسهال لاحتوائه على مادة قابضة، ويمنع تنخر الأسنان، وينشط عملية الهضم والاستقلاب في الجسم، ويقول: إن الخل ليس دواء لكل داء إلا إنه ينشط العمليات الحيوية في الجسم، ويمكن أن يفيد في الوقاية من السمنة، والتهابات الأنف والحنجرة والحساسية، ويقوم الخل بفعل مطهر للأمعاء، وبعض الناس ينصح باستعماله لغرغرة الفم والحلق، فيطهر جوف الفم من الجراثيم، والخل يفيد في علاج الإسهال إلى أن قال: إن الخل يفتح فصلاً رائعًا في الحياة"[٢].

ومن خلال هذا يتضح أن ما من شيء يحبه أو يمدحه رسول الله ﷺ إلا ويكون فيه خير كثير لمن تبعه بذلك.

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٦٦/٢ - ٦٧.

(٢) المرجع السابق ٣٠٥/١ - ٣٠٦.

ثالثًا – من صفات النبي ﷺ: التواضع:

إن النبي ﷺ بلغ الكمال في أخلاقه فهو فيها لا يباري ولا يجاري، ومن جملة أخلاقه الطيبة خلق التواضع، ويتضح هذا من سياق الحديث، ولقد كان ﷺ على أعلى درجات التواضع، فعن أنس رضي الله عنه قال: إن كان النبيُّ ﷺ ليخالِطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: ((ياأبا عُمَير، ما فَعلَ النغَير))[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((ما بَعثَ اللهُ نبيًّا إلاَّ رَعَى الغَنَمَ. فقال أصحابهُ: وأنتَ؟ فقال: نعم، كنتُ أرعاها على قَراريطَ لأهلِ مكةَ))[2]، ولا شك "أن التواضع من أحب الخصال إلى الله، ولقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في التواضع، وبلغ من تواضعه أنه كان في بيته في مهنة أهله، يخدم نفسه ويخدمهم، وكان يجيب دعوة الحر والعبد، وكان يصافح أصحابه رضي الله عنهم وهم جلوس، وكان إذا مرّ على صبيان سلّم عليهم، وكان يكره أن يتمايز على أصحابه رضي الله عنهم بشيء، ولما كان كذلك رفع الله قدره في القلوب، وطيب ذكره في الأفواه، ورفع درجته في الآخرة"[3].

قال ابن القيم: "ولقد كان ﷺ من تواضعه يبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء، وكان ﷺ هين المؤنة، لين الخلق كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بسامًا، متواضعًا من غير ذلة، جوادًا من غير سرف، رقيق القلب رحيمًا بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم"[4]، ولقد مدح الله نبيه ﷺ في القرآن، أنه كان متواضعًا لين الجانب، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ومسلم ٢١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٢٢٦٢.

(٣) دعوة الإسلام، السيد سابق ص ١٩٧.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١١٢/٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

رابعًا - من آداب المدعو: مدح الطعام ولو كان بسيطًا والاقتصاد في العيش:

يتضح هذا من الحديث: (نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل)، قال ابن عثيمين: "ولما جيء إليه ﷺ بالخل جعل يأتدم به، يعني: يغط فيه الخبز ويأكله ويقول: نعم الأدم الخل، وهذا ثناء على الطعام، لأن الخل وإن كان شرابًا يشرب، لكن الشراب يسمى طعامًا، قال تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾[1]، وإنما سمي طعامًا، لأن له طعمًا يطعم، وهذا من هدي النبي ﷺ أنه إذا أعجبه الطعام أثنى عليه"[2]، وأما الاقتصاد فلا يتحقق إلا بالقناعة والرضا، ومما يعين عليه: "أن يتحقق المرء بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه، وأن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء، وما في الحرص والطمع من الذل والمداهنة، وأن يتأمل في أحوال الأنبياء عليهم السلام ويطالع أحوالهم، ليتطلع لأن يكون على مشابهة الأبرار، فيهون عليه الصبر على القليل، والقناعة باليسير"[3].

قال الشيخ على محفوظ: "إن الاقتصاد في عرف الناس ادخار جزء من المال ينفع صاحبه عند الحاجة إليه، وهو وسط بين طرفين، كلاهما ذميم وقبيح عند الله والملائكة والناس أجمعين: إسراف وتبذير، وشح وتقتير، فالإسراف كالسرف مجاوزة الحد، وهو نتيجة الجهل بمقادير الحقوق، والتبذير تفريق المال كما يفرق البذر كيفما كان من غير تعمد لمواقعه، فهو نتيجة الجهل بمواقع الحقوق، والإسراف والتبذير في نظر الدين معناهما واحد، لأن مآلهما واحد، وهو إنفاق المال في غير مواضعه.

ولذا قال الشافعي: "التبذير إنفاق المال في غير حقه، ولا تبذير في عمل الخير، أما الشح والتقتير فهو إمساك المال والضن به عن الواجبات التي لا بد منها، والبخل به على

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٥٧.

(٣) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ٢٦٣.

نفسه وعياله، وهو أيضًا ذميم قبيح، وتفريط مهين مشين، فتحصل من هذا البيان أن الاقتصاد الحسن الجميل، وقع وسطًا بين جارين، كلاهما قبيح وذميم عند الله والملائكة والناس أجمعين، وهما الإسراف والتقتير»[1].

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ٣٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الطعام نعمة وهبة إليهة، والتأمل فيه يبعث على الشكر لا على الكفر، ومن عافت نفسه شيئاً منه ما كان له أن يزدريه، بل يعرض عنه، في غير إنكار ولا جحود، ندرك ذلك من هدي الرسول ﷺ، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الناجعة التربية بالقدوة حيث يكون المربي قدوة صالحة أمام المتربي فيما يأمر به، مما يزيد في إقناعه، ومما جاء في حديثي الباب يشير إلى هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَا عَابَ رَسُولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إنِ اشْتَهَاهُ أكَلَهُ، وَإنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ». وكذلك أيضًا حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الأُدُمَ. فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إلاَّ خَلٌّ. فَدَعَا بِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ: «نِعْمَ الأدمُ، الْخَلُّ. نِعْمَ الأُدمُ الْخَلُّ».

ففي هذين الحديثين يتضح كيف كان النبي ﷺ قدوة في عدم عيب الطعام ومدحه ليكون أسوة في ذلك لغيره من المسلمين.

"إن القدوة هي أفضل وسائل التربية على الإطلاق وأقربها إلى النجاح، فمن السهل تصميم منهج أو تأليف كتاب في التربية لكن هذا المنهج يظل حبرًا على ورق ما لم يتحول إلى حقيقة تتحرك في واقع الأرض، وإلى بَشَرٍ يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ هذا المنهج ومعانيه، ولذلك فعندما أراد الله تعالى لمنهجه أن يسود الأرض، ملأ به قلب إنسان وعقله كي يحوله إلى حقيقة في واقع الأرض، فكان أن بعث الله محمداً ﷺ ليكون قدوة للناس في تطبيق هذا المنهج ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]. هكذا أرسل

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الله محمدًا ﷺ ليكون قدوة للناس في تطبيق منهج الله تعالى في واقع الأرض فكان ﷺ هاديًا مربيًا بسلوكه الشخصي وليس فقط بالكلام به قرآنًا أو حديثًا، وهكذا يرى الإسلام أن القدوة هي أعظم طرق التربية ويقيم منهجه التربوي على هذا الأساس"[١].

ثانيًا- التربية على شكر النعمة:

من الأهداف الخلقية للتربية الإسلامية الحث على شكر النعمة، وعدم البطر، ونعم الله عز وجل كثيرة لا تحصى، ومنها نعمة الطعام والشراب، فلا يليق بالمسلم أن يعيب طعامًا أو يذمه، وحديثا الباب يشيران إلى شكر النعمة على الطعام، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: مَا عَابَ رَسُولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إن اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ». وفي حديث جابر رضي الله عنه: لما سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَهْلَهُ الأُدُمَ. فما وجد إلا خلاً فمدحه وقال: «نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ. نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ».

والنعمة تزيد بالشكر، وتُمْحَق بالبطر والكفر.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إِنَّ النِعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ وَالشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَزِيد، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، فَلَنْ يَنْقَطِعَ المَزِيدُ مِنَ اللهِ حَتَّىٰ يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ».

وعن ابن أعْبُد قال: «قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا ابن أعبُدٍ هل تدري ما حق الطعام؟، قلت: وما حقه يا بن أبي طالب قال: تقول بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، قال: وتدري ما شكره إذا فرغت؟ قال: قلت وما شكره؟ قال: تقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ...»[٢].

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْرَبُ الْمَاءَ الْقُرَاحَ، فَيَدْخُلُ بِغَيْرِ أَذًى، وَيَخْرُجُ بِغَيْرِ أَذًى إِلاَّ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ». وقال الحسن البصري: إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء فاذا لم يشكر عليها قلبها عذابًا ولهذا كانوا يسمون الشكر "الحافظ" لأنه يحفظ النعم الموجودة، "والجالب" لأنه يجلب النعم المفقودة[٣].

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٢٩، ٤٣٠.

(٢) أخرجه أحمد ١٥٣/١ رقم ١٣١٢، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٤٣٥/٢.

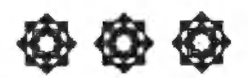
(٣) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، الإمام ابن القيم الجوزية، ص١٢٢، ١٢٣، نقلًا عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٢٤١٥/٦.

ثالثًا- الحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية الحوار والمناقشة، ومما جاء في حديثي الباب يدلل على هذا حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الأُدُمَ. فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلاَّ خَلٌّ. فَدَعَا بِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ: «نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ. نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ».

ففي هذا الحديث كان الحوار والمناقشة بين النبي ﷺ وأهله حول الأدم، ولاشك أن أسلوب الحوار والمناقشة له أثره التربوي الفريد.

"وأسلوب الحوار والمناقشة من أهم الأساليب التربوية فالحوار أحد أركان الفهم والاقتناع، والاقتناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك والقرآن الكريم مليء بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل وترسيخ العقيدة، ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار. ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج مَنْ نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى إدراكهم، وقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ هذا الأسلوب في عديد من المواقف لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته"[1].



(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٥، ٨٦.

١٠٢- باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر

الحديث رقم (٧٣٨)

٧٣٨- عن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إِذَا دُعِيَ أحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ)) رواه مسلم[1].

قال العلماء: معنى: "فَلْيُصَلِّ" فيدع، ومعنى "فَلْيَطْعَم": فليأكل.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث دعوة اجتماعية للتواصل بين المسلمين ومشاركة في الخير المباح تنزع الأحقاد وتقوي الروابط، لذلك وجَّه الرسول ﷺ إلى ضرورة إجابة الدعوة، وقد جاء المعنى في أسلوب خبري تصدَّره أسلوب الشرط الذي يعلق الإجابة على الدعوة وقد رتبها عليها بالفاء، وقوله (فإن كان صائما فليصل) شرط ثان وضعه الرسول ﷺ لأمر محتمل وهذا من فطنته ﷺ أنه كان يفترض أموراً محتملة قد تقع مستقبلاً، ويضع لها حلولاً حتى إذا صادفت فرداً من أمته وجد حلها معها ثم إن الصائم الذي وجهت له الدعوة مأمور بأن يُصلِّ أي يدعو، أو ينشغل بالصلاة حتى يقوِّيه أما المفطر فليطعم تطييباً لنفس صاحبها ومشاركة ترضي الله تعالى.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى:

حكم من دعي إلى طعام، وكان صائمًا تطوعًا: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن من دعي إلى طعام، فإن كان مفطرًا فإنه يستحب له الأكل، وفي قول عند بعض المالكية، يجب.

---

(١) برقم (١٠٦/١٤٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨٥).

وإن كان صائمًا تطوعًا، فذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه يستحب له الأكل، لأن في الأكل إجابة أخيه المسلم وإدخال السرور على قلبه، وجبر خاطر الداعي أفضل من إمساكه ولو آخر النهار، وذهب الحنفية والمالكية إلى أن الصائم يكتفي بالدعاء لصاحب الطعام[١]، ولا يفطر بل يمتنع ويقول: إني صائم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة.

ثالثًا: من آداب المدعو: التواضع وتطييب نفوس إخوانه.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على التواصل والتلاحم بين المسلمين.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط والأمر:

١- **الشرط:** حيث جاء في الحديث: (إذا دعي أحدكم) ومما لا شك فيه أن أسلوب الشرط من اساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين، وتشدهم إلى معرفة الجواب، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[٣].

٢- **الأمر:** حيث جاء في الحديث: (فليجب)، (فليصل)، (فليطعم)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المأمور به، وضرورة الاستجابة والتنفيذ،

---

(١) المبسوط ٢٢١/١١، مجمع الأنهر، داماد افندي ٢٠٢/٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣١/١١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٠٤/١٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٠/٧، والفروع، ابن مفلح ٣٢٦/٩.

(٢) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٧.

ومن صور استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله جلّ شأنه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[2]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة:

إن المسلم يشارك إخوانه، ويؤدي ما عليه من واجبات تجاههم، ومن ذلك إجابة الدعوة، حيث جاء في الحديث: (إذا دعي أحدكم فليجب)، ومما لا شك فيه أن إجابة الدعوة، من موضوعات الدعوة المهمة، قال النووي: "وفي الحديث الأمر بحضور الدعوة ولا خلاف في أنه مأمور به، والاختلاف في كونه، هل هو أمر إيجاب أو ندب؟ وأما الأعذار التي يسقط بها وجوب إجابة الدعوة أو ندبها، فمنها أن يكون في الطعام شبهة، أو يخص بها الأغنياء، أو يكون هناك من يتأذى بحضوره معه، أو لا تليق به مجالسته أو يدعوه لخوف شره، أو لطمع في جاهه، أو ليعاونه على باطل، وأن يكون هناك منكر من خمر أو لهو، فكل هذه أعذار في ترك الإجابة"[4].

"ومن معاني الدعوة: الدعوة إلى الطعام، وهي ما دعوت إليه من طعام وشراب، ومن آداب الداعي أن يعين من يدعوه، وأن لا يلح بالفطر على من كان صائمًا، وأن يخص بدعوته أهل الصلاح والتقوى، ومن آداب المدعو أن ينوي بإجابة الدعوة تكريم الداعي وأن لا يمتنع من الطعام إلا إذا كان صائمًا، وأن يدعو لصاحب الطعام بعد الفراغ، وأن لا يدخل بيت الداعي إلا بإذنه، وإجابة الدعوة في الأصل واجبة إن كانت إلى وليمة عرس، وأما ما عداها فقد اختلف في الإجابة إليها"[5].

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٩٤.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٣٣٥.

إن إجابة الدعوة من حق المسلم على أخيه المسلم، وهي تدعم الترابط بين أفراد المجتمع، "وإجابة الدعوة تزيد الألفة والمحبة بين المسلمين، وتزيد في الوصال والتقارب، وتطهر القلوب من الغل والظنون السيئة، وتصفي النفوس من أكدارها، ولذا حثّ الشارع عليها، ورغّب فيها، وجعلها حقًا للمسلم على أخيه المسلم بأن يلبي دعوته، ويفرح معه في مناسبته، قريبًا كان أو جارًا أو صديقًا، فمشاركة المسلم لأخيه المسلم أفراحه تدخل السرور على قلبه، وتزيد في التآلف والتآخي، ويضاعف الله سبحانه الأجر والمثوبة، ومما ينبغي أن يُعلم في إجابة الدعوة، أن لا يمنعه من الإجابة كون الداعي بعيدًا عن منزله، أو أن يكون صائمًا فعليه الإجابة، ولو لم يأكل، ومن ناحية أخرى فإن إجابة الدعوة تقتضي من الداعي - الذي أجيبت دعوته - أن يقدر هذه الإجابة قدرها، ويرحب بالمدعوين، ويستقبلهم بالبشر والترحاب، ويشعرهم بفرحه وسروره، وغبطته بحضورهم، فعلى المسلم الصادق أن يبادر إلى القيام بهذا الحق، متى ما دعاه أخوه، إحياءً لسنة النبي ﷺ"[1].

ثالثًا - من آداب المدعو: التواضع وتطييب نفوس إخوانه:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن هذا من آداب المدعو المهمة إذ يجب أن يلين الإنسان جانبه للناس ولا يترفع عليهم، قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2]، ومما قال لقمان لابنه يوصيه، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾[3].

ولقد كان من هدي النبي ﷺ إجابة دعوة الداعي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لو دُعيتُ إلى كُراعٍ[4] لأجَبتُ، ولو أُهْديَ إلي كراع

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٤) الكُراع: هو مستدق الساق من الرجل ومن حد الرسغ من اليد، وقيل هو ما دون الكعب من الدواب، وقال ابن فارس: كراع كل شيء طرفه. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٩.

لَقَبِلْتُ))[1]، قال ابن حجر: "وفي الحديث المبالغة في الإجابة مع حقارة الشيء، وفيه دليل على حسن خلقه ﷺ وتواضعه، وجبره لقلوب الناس، وعلى قبول الهدية، وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل"[2].

ولقد كان النبي ﷺ يطيب نفوس أصحابه، حتى إنه كان يدع فضل طعامه مواساة لهم وتطييبًا لقلوبهم، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ، أَكَلَ مِنْهُ وَبَعَثَ بِفَضْلِهِ إِلَيَّ. وَإِنَّهُ بَعَثَ إِلَيَّ يَوْمًا بِفَضْلَةٍ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا. لأَنَّ فِيهَا ثُومًا. فَسَأَلْتُهُ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ قَالَ: ((لاَ. وَلَـٰكِنِّي أَكْرَهُهُ مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ))[3].

قال النووي: "قال العلماء في هذا: إنه يستحب للآكل والشارب أن يفضل مما يأكل ويشرب فضلة، ليواسي بها من بعده، لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته، وكذا إذا كان في الطعام قلة ولهم إليه حاجة، ويتأكد هذا في حق الضيف، لا سيما إن كانت عادة أهل الطعام أن يخرجوا كل ما عندهم، وتنتظر عيالهم الفضلة، كما يفعله كثير من الناس، ونقلوا أن السلف كانوا يستحبون إفضال هذه الفضلة المذكورة، وهذا الحديث أصل ذلك كله"[4].

رابعًا – من أهداف الدعوة: الحث على التواصل والتلاحم بين المسلمين:

يتضح هذا من سياق الحديث، ففي إجابة الدعوة تحقيق لمعاني الأخوة الإسلامية، جاء في الموسوعة الفقهية: "لا ينبغي أن يكون فقر الداعي، أو خفة شأنه، أو قلة الطعام مانعًا من إجابة الدعوة، فإن ذلك من الكبر، والدعوة مشروعة لإحياء المودة بين المسلمين ومزيد من التآلف"[5]، وعن نافع قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٧٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٥٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٩٩.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢٨/٢٠.

الله ﷺ: ((أجيبوا هذه الدعوةَ إذا دُعيتم لها» قال: كان عبدُ الله يأتي الدعوة في العُرْس وغير العُرس وهو صائمٌ))[١]، قال ابن حجر: "قال المهلب: لا يبعث على الدعوة إلى الطعام إلا صدق المحبة، وسرور الداعي بأكل المدعو من طعامه، والتحبب إليه بالمؤاكلة، وتوكيد الذمام معه بها، فلذلك حض ﷺ على الإجابة ولو نزر[٢] المدعو إليه، وفيه الحض على المواصلة والتحاب والتآلف"[٣].

قال محمد عبدالعزيز الخولي: "الولائم تقام للنعم الحادثة من زواج أو رزق ولد، أو ختانة، أو نجاحة أو شفاء أو إدراك غاية، وتقام إكرامًا للإخوان والأصدقاء، وبرًا بهم، وقضية الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك والحب معنى نفسي، وشعور داخلي، تظهره الأعمال فإن أجبت أخاك إلى دعوته، وشاركته في مسرته، برهنت بعملك على حبك له، وأن ما حلّ به من النعم كأنما حلّ بك، وفي ذلك تأكيد العلاقات، وتوثيق الصلات. وإن رفضت الإجابة بلا عذر أحزنت نفسه، وأوغرت صدره، وعرضت الصلة للقطع أو الضعف، بل ربما سبب ذلك عداءً وخصامًا، فلتقوية الصلات، ومنع الحزازات أمرنا الرسول ﷺ بإجابة الدعوة"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٧٩، ومسلم ١٤٢٩.

(٢) نَزُرَ الشَّيءُ: أي: قَلَّ. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مادة نزر.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٥٤.

(٤) الأدب النبوي ١٦٢ - ١٦٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إجابة الدعوة جبر لخاطر الداعي، ومن دُعي فليجب، ومن كان صائماً فليُبق على صيامه ويدعو لمن دعاه ومن كان مفطراً أكل، وقد اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية، من أبرزها ما يلي:

أولاً- تقوية الروابط الاجتماعية:

إن من الأمور التي تهدف التربية الإسلامية إلى تحقيقها وغرسها تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ومما يدعم هذه الروابط إجابة دعوة المسلم إلى الطعام، وحديث الباب الذي أورده النووي يدلل على هذا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ». ففي هذا الحديث توجيه لإجابة الدعوة جبرًا لخاطر قلب الداعي وتحقيقًا لروح الأخوة، وغرسًا للترابط الاجتماعي.

"إن المنهج الإسلامي يهدف من خلال توجيهاته إلى ترابط المجتمع والتئامه من خلال مسارات متعددة، تتضافر جميعها لتحقق ذلك، فأثبت الإسلام حقوق الفرد وحقوق الأسرة، وحقوق الجوار، وحقوق عامة المسلمين، كما أرسى دعائم هذا الترابط من خلال فرضية الزكاة، والصدقات، وأداء الصلوات جماعة، والحج في زمان ومكان مخصوص بهيئة مخصوصة وجميع هذه الأسس الإسلامية إذا طُبقت عمليًا فإن لها آثارًا تربوية بين أفراد المجتمع فيتحقق للمجتمع الترابط والتآلف الاجتماعي الذي تحقق في عهد المصطفى ﷺ حيث وصل ذلك التوادُّ والتعاطف إلى ذروته"[1].

إن إجابة الدعوة تزيد المجتمع الإسلامي ترابطًا وتكاتفًا وتآزرًا، ولذا "فإن التعارف - لا التنافر- أساس العلائق بين البشر، وكل رابطة توطد هذا التعارف، وتزيح عن طريقه العوائق فهي رابطة يجب تدعيمها، والانتفاع بخصائصها، وليس الإسلام رابطة

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٤٠.

تجمع بين عدد قل أو كثر من الناس فحسب، ولكنه جملة الحقائق التي تقرر الأوضاع الصحيحة بين الناس وربهم ثم بين الناس أجمعين. ومن ثمَّ فأصحاب الإسلام وحملة رسالته يجب أن يستشعروا جلال العقيدة التي شرح الله بها صدورهم، وجمع عليها أمرهم وأن يُولُوا التعارف عليها ما هو جدير به، من عناية وإعزاز.... إنه تعارف يجدد ما دَرَس من قرابة مشتركة بين الخلق.

وهذه الأخوة هي روح الإيمان الحي ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم فكأنهم أغصان انبعثت من دوحة واحدة أو روح واحد حل في أجسام متعددة"[1].

ثانيًا- الثناء والشكر:

إن من الأهداف الأخلاقية للتربية الإسلامية غرس خلق الثناء والشكر لمن يصنع معروفًا، أو يسدى خيرًا لأخيه المسلم، وفي حديث الباب الذي أورده الإمام النووي يوجِّه الرسول ﷺ من حضر الطعام الذي دُعى إليه ولم يفطر أن يُصلِّ أي يدعوا لصاحب الدعوة مكافأة له على دعوته، وإشعاره بجميل صنيعه وحسن فعله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ».

وما من شك أن هذا التوجيه النبوي يغرس في المسلم خلق الثناء والشكر "إن الشكر أحد أركان الخلق الفطري السامي، وإن من الواجب على الإنسان أن يشكر كل من أسدى إليه معروفًا، وقد رغب الإسلام في الشكر وأمر به كما رغب في حسن الثناء واصطناع المعروف. وشكر الإنسان للإنسان يكون بمكافأة المعروف بمثله، أو بشكر المعروف باللسان والثناء عليه، وفي هذا قال بعض الحكماء: إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وهو واجب لسببين:

أولهما: أن في شكر الناس للناس شكرًا لله تعالى؛ فهو الذي أجرى المعروف على يد العبد.

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص١٦٥، ١٦٦.

وثانيهما: أن الناس ينتظرون المكافأة على ما قدموا من معروف فإن لم يجدوها حبسوا معروفهم على أنفسهم، ومن هنا تشيع الكراهية بين الناس والأثرة ويشيع الجحود، ومن ثمَّ أمر الإسلام بأن يشكر الإنسان كلَّ من أسدى إليه معروفًا.

وفي هذا مسلك قويم وتهذيب رائع وتربية إنسانية صحيحة، فالإنسان الشاكر هو من أظهر حمده لمن قدم له خيرًا أو عملاً نافعًا، وأحسن إليه مهما كان نوع الإحسان"[1].



(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ص ٣٥، ٣٦.

١٠٣- باب ما يقوله من دعي إلى طعام فتبعه غيره

الحديث رقم (٧٣٩)

٧٣٩- عن أَبي مسعود البَدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: دعا رَجُلٌ النَّبيَّ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ البَابَ، قَالَ النَّبيّ ﷺ: ((إنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ)) قَالَ: [1] بل آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ الله. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

الشرح الأدبي

الحديث يتعلق بآداب الدعوة ووجوب التلبية، وَتَوَقُّفِ حضور الطعام عليها ويحكي موقفاً حدث مع الرسول ﷺ وإذا كان الموقف مع الرسول ﷺ فأحداثه تشريعات تشرَّع، وسنن تتبع، وقد ورد المعنى في صورة خبرية باستثناء النداء في آخر الحديث، وقد بدأ بدعوة وجُهت للرسول ﷺ وبتواضعه وحسن خلقه يلبي الدعوة وقوله: (خامس خمسة) يشير إلى أن العدد مقصود، وأن الداعي أعد ما يكفي لهذا العدد، وقوله (فتبعهم رجل) في الكلام إيجاز بالحذف ينشط العقل، ويعلي من طبقته في درج البلاغة، وتقدير المحذوف (فأجابه، وذهب معه) وجملة: (إن هذا قد تبعنا) هي لب الحديث وقلب المعنى الذي تدور القصة حوله، وتوكيد العبارة تنبيه إلى عدم تعديه ﷺ على حق الداعي في الزيادة على المدعوين، وقوله (فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ) أسلوب شرط بغرض التخيير، وفيه إيجاز بحذف الجواب تقديره (فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ أذنت) والجملة المعطوفة عليها فيها إيجاز بحذف المفعول تقديره (وَإِنْ شِئْتَ الرجزع رَجَعَ) وهو من جميل بلاغته ﷺ لأن في الكلام دليلاً على المحذوف، وجملة

---

(١) عندهما زيادة: (لا)، وهي ليست عند الحميدي في جمعه (١/٤٩٣، رقم ٧٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٨١)، ومسلم (١٣٨/٢٠٣٦) واللفظ له.

الشرط وما عطف عليها نص على حق الداعي في القبول، أو الرد دون أن يفرض عليه شيء.

وقوله: (بل آذن له يا رسول الله) أسلوب نداء غرضه التكريم لرسول الله ﷺ؛ لأنه تضمَّن إجابة لطلبه، وناداه بالرسول، وأضافه لله، واستخدم (يا) التي للبعيد مع قرب الرسول ﷺ منه إشارة إلى علو منزلته، وارتفاع مكانته، وكلها علامات محبة امتلأت منها صدور القوم لرسول الله ﷺ ففاض منها ما فاض على ألسنتهم - رضي الله عنهم جميعاً -.

فقه الحديث

الإذن للتابع غير المدعو:

قال النووي: (في هذا الحديث أن المدعو إذا تبعه رجل بغير استدعاء، ينبغي له أن لا يأذن له وينهاه، وإذا بلغ باب دار صاحب الطعام أعلمه به ليأذن له أو يمنعه، وأن صاحب الطعام يستحب له أن يأذن له إن لم يترتب على حضوره مفسدة، بأن يؤذي الحاضرين أو يشيع عنهم ما يكرهونه، أو يكون جلوسه معهم مزريًا بهم لشهرته بالفسق ونحو ذلك، فإن خيف من حضوره شيء من هذا، لم يأذن له، وينبغي أن يتلطف في رده، ولو أعطاه شيئًا من الطعام إن كان يليق به، ليكون ردًا جميلاً، كان حسنًا)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الاستئناس برسول الله ﷺ ودعوته إلى الطعام.

ثانيًا: من آداب الداعية: احترام الناس والاستئذان من صاحب الدعوة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الكرم والسماحة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الاستئناس برسول الله ﷺ ودعوته إلى الطعام:

حيث جاء في الحديث: (دعا رجل النبي ﷺ لطعام صنعه له خامس خمسة)،

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٣/١٧٦، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٥٦٠، ففيه استنباطات فقهية من هذا الحديث.

وهذا يدل على مدى حرص الصحابة ﭫ على الاستئناس برسول الله ﷺ، ومحبتهم له، ودعوته إلى طعام يعدونه له خاصة، قال ابن حجر: "وفي الحديث مشروعية الضيافة، وتأكد استحبابها لمن غلبت حاجته لذلك، وفيه أن من صنع طعامًا لغيره فهو بالخيار بين أن يرسله إليه أو يدعوه إلى منزله، وأن من دعا أحدًا استحب له أن يدعو معه من يرى من أخصائه وأهل مجالسته، وفيه أن الصحابة ﭫ كانوا يديمون النظر إلى وجهه ﷺ تبركًا به، وكان منهم من لا يطيل النظر في وجهه حياء منه"[1]، وقد تكرر هذا الموقف من أبي طلحة ﭬ في دعوة النبي ﷺ إلى الطعام، ففي الصحيح قال أبو طلحة ﭬ لأم سليم: (لقد سمعتُ صوتَ رسولِ اللهِ ﷺ ضعيفًا أعرِف فيه الجوعَ، فهل عندَكِ من شيءٍ ؟ قالت: نعم. فأخرجتْ أقراصًا مِن شعيرٍ، ثمَّ أخرجت خِمارًا لها فلفَّتِ الخُبزَ ببعضه، ثم دسَّتْهُ تحت ثوبي وردتني ببعضهِ ثم أرسلَتْني إلى رسول الله ﷺ)[2].

قال النووي: "وفي الحديث بيان ما كان الصحابة ﭫ عليه من الاعتناء بأحوال رسول الله ﷺ"[3]، وحرص الصحابة ﭫ على الاستئناس برسول الله ﷺ نابع من كونه الأسوة والقدوة في جميع الأمور، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4].

ثانيًا – من آداب الداعية: احترام الناس والاستئذان من صاحب الدعوة:

حيث جاء في الحديث: (إن هذا تبعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت رجع)، قال النووي: "وفي الحديث أن المدعو إذا تبعه رجل بغير استدعاء ينبغي له أن لا يأذن له وينهاه، وإذا بلغ باب دار صاحب الطعام أعلمه به ليأذن له أو يمنعه، وأن صاحب الطعام يستحب له أن يأذن له إن لم يترتب على حضوره مفسدة"[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧١/٩.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢٢، ومسلم ٢٠٤٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٤٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٧.

وقال ابن عثيمين: "وفي الحديث دليل على أنه إذا جاء مع الإنسان من لم يدع، فإنه يستأذن له، خصوصًا إذا كنت تظن أن صاحب البيت دعاك لغرض خاص لا يحب أن يطلع عليه أحد، فحينئذ لا بد أن يستأذن، ولا حرج على صاحب البيت إذا لم يأذن للذي تبع المدعو؛ لأنه لو كان في ذلك حرج ما استأذنه النبي ﷺ فلما استأذنه دلّ على أنه بالخيار"(١)، وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان على درجة عالية من الأخلاق العظيمة والآداب الجليلة، فهو يحترم الناس ويقدرهم، كيف وقد قال الله تعالى في خلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الكرم والسماحة:

إن المسلم كريم النفس، جوادًا غير ممسك، ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث: (بل آذن يا رسول الله)، قال ابن حجر: "وينبغي لمن استؤذن في مثل ذلك أن يأذن للطارئ، أو لعله أذن رجاء أن يعم الزائد بركة النبي ﷺ، وفي الحديث أنه لا ينبغي للداعي أن يظهر الإجابة وفي نفسه الكراهة لئلا يطعم ما تكرهه نفسه، ولئلا يجمع الرياء والبخل وصفة ذي الوجهين"(٣).

والواجب على المدعو أن يكون كريم النفس، سمح الخلق، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))(٤)، قال الكفوي: "الكرم يكون مسبوقًا باستحقاق السائل والسؤال منه، والجود: صفة ذاتية للجواد ولا يستحق بالاستحقاق والسؤال"(٥).

قال الغزالي: "وتقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير"، وقال الحسن: "كل

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٠٥٩/٢.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤٧٣/٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ومسلم ٤٧.

(٥) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٥٣.

نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها ألبتة، إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام، فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك"، وقال علي ﷺ: "لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعتق رقبة"، وكان ابن عمر ﷺ يقول: "من كرم المرء طيب زاده في سفره، وبذله لأصحابه، وكان الصحابة ﷺ يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق، وكانوا ﷺ يجتمعون على قراءة القرآن، ولا يتفرقون إلا عن ذواق، وقيل: اجتماع الأخوان على الكفاية، مع الأنس والألفة، ليس هو من الدنيا"[1].

وقال ابن مفلح: "ويستحب لصاحب الطعام أن يباسط الإخوان بالحديث الطيب والحكايات التي تليق بالحال إذا كانوا منقبضين، ويأكل ويشرب مع أبناء الدنيا بالأدب، ومع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع العلماء بالتعلم والاتباع، قال جعفر بن محمد: قال لي أبو عبدالله: يعني أحمد بن حنبل يوم عيد: خذ عليك رداءك وادخل، قال: فدخلت فإذا مائدة وقصعة على خوان عليها عراق، وقد زال جانبه، فقال لي: كل، فلما رأى ما نزل بي، قال: إن الحسن كان يقول: والله لتأكلن، وكان ابن سيرين يقول: إنما وضع الطعام ليؤكل. وكان إبراهيم بن أدهم يبيع ثيابه وينفقها على أصحابه، وكانت الدنيا أهون عليه من ذلك، وقال الإمام أحمد لمحمد بن جعفر: يا بني كُل فإن الطعام أهون مما يحلف عليه"[2].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٢/٦٦٤ - ٦٦٥.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/١٩٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

رعاية مشاعر الآخرين مطلوبة ومنها رعاية ظروف من أعد طعاماً، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية، ومن أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية بالمواقف والأحداث:

إن آثار الموقف أو الأحداث تظل عالقة بالأذهان خاصة، ومن ثمَّ فإن العملية التربوية تكون أكثر ثباتًا في نفس المتربي، ولذا فإن التربية بالمواقف والأحداث من أنجح الأساليب التربوية، ومما جاء في حديث الباب يدلل على هذا ما جاء عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: «دعا رجل النبي ﷺ لطعام صنعه له خامس خمسة، فتبعهم رجل، فلما بلغ الباب قال النبي ﷺ: «إنَّ هَذَا اتَّبَعَنا فإن شِئْتَ أنْ تأذَنَ لهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ، قال: بل آذنُ له يا رسول الله».

فمن خلال هذا الموقف بيّن النبي ﷺ آداب الضيافة، وأن من دُعِيَ إلى طعام فتبعه غيره ينبغي أن يستأذن من صاحب الدعوة.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية. فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة"[1].

إنه من خلال المواقف والأحداث يمكن غرس الكثير من القيم والآداب، وهذا ما يجب أن يستغله المربون.

"إن الناس يتعرضون في حياتهم دومًا للأحداث تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم، والمربي الحاذق لا يترك الأحداث

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٧.

تذهب سُدًى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومَزِيَّةُ الأحداث كأسلوب تربوي أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال فيكون من الحكمة -هنا- استخدام الدواء عند حدوث الداء، وقد قام القرآن الكريم وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجيبًا عميق الأثر، وكانت الحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو الطرق والحديد ساخن حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى"[1].

ثانيًا- التربية على آداب الضيافة:

من الأهداف الخلقية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين آداب الضيافة، وحديث الباب يبرز لنا أن من أهم آداب الضيافة أن يُدعى الشخص إليها، لا أن يأتي من تلقاء نفسه بدون دعوة ففي الحديث: «دعا رجل النبي ﷺ لطعام صنعه له خامس خمسة، فتبعهم رجل، فلما بلغ الباب قال النبي ﷺ: «إنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا فإن شِئْتَ أنْ تأذَنَ لهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ، قال: بل آذنُ له يا رسول الله».

وواجب المربي أن يغرس في نفوس الناشئة والمتربين أدب الضيافة حتى لا يكون هناك تطفل على موائد الطعام.

"ومن الأمور التي يستهجنها العرب فيما يتعلق بالدعوة إلى الطعام وآداب الموائد التطفل، وهو أمر بعيد عن الضيافة، إذ يمكن أن يحل ضيف أو أكثر على رجل دون دعوة مسبقة فيرحَّب بهم ويكرمون، أما التطفل فهو أن يسعى المرء إلى الموائد ويتجسس ليعرف مَنْ عنده وليمة، فيهرول إليها ليشارك فيها دون دعوة، رغم أن حضوره مزعج للآخرين، وكانت العرب تجيز التطفل على طعام السلطان، ولكنها تكرهه على طعام رجل من عامة الناس لدرجة أن شهادة المتطفل كانت تُرَدُّ ولا تقبل. أما الصديق فلا يدخل في عداد المتطفلين، أو الطفيليين إن حضر مائدة صديقه دون دعوة"[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٣/٣٣، ٣٤.

قال ابن قدامة: "ومن آداب الطعام أنه لا ينبغي لأحد إذا علم أن قومًا يأكلون أن يدخل عليهم فإن صادفهم من غير قصد فسألوه الأكل نَظَرَ، فإن علم أنهم إنما سألوه حياء منه فلا يأكل، وإن علم أنهم يحبون أكله معهم جاز له أن يأكل. ومن دخل دار صديقه فلم يجده، وكان واثقًا به عالمًا أنه إذا أكل من طعامه سُرَّ بذلك جاز له أن يأكل، ومن آداب الضيافة أن يقصد بدعوته الأتقياء دون الفساق، وقال بعض السلف: لا تأكل إلا طعام تَقيٍّ، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ"[1].



(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، ص٧٩.

١٠٤- باب الأكل مِمَّا يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله

الحديث رقم (٧٤٠)

٧٤٠- عن عمر بن أبي سَلَمَةَ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ غُلامًا فِي حِجْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ تَعَالَى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قوله: "تَطِيشُ": بكسر الطاء وبعدها ياء مثناة، معناه: تتحرك وتمتد إلى نواحي الصَّحْفَة.

ترجمة الراوي:

عمر بن أبي سلمة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩٩).

الشرح الأدبي

الراوي يحكي قصة وقعت معه عندما كان صغيراً يتربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وقوله (كانت يدي تطيش في الصفحة) إسناد الطيش إلى اليد فيه مبالغة وهو من إسناد الفعل إلى مفعوله فهو مجاز عقلي وأصل الكلام - أطيش بيدي في الصفحة - وفيه دليل على كثرة تحرك يده في مختلف الاتجاهات مما يؤذي الآكلين، لأنَّ أَكْلَه مِنْ مَوْضِعِ يَد صَاحِبه سُوء عِشْرَة، وَتَرْك مُرُوءَة فَقَدْ يَتَقَذَّرهُ صَاحِبه فجاء توجيه النبي صلى الله عليه وسلم تأديباً له، وتعليماً (يا غلام) النداء نداء رحمة، وحنو بالإضافة إلى ما فيه من التنبيه اللازم للتمهيد لما بعده من أوامر، وقوله (سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك) توجيه وإرشاد إلى ما يحقق البركة في الطعام بذكر الله عليه، والتيمن في التناول، وما يراعي حال الآكلين، وفي الحديث ثلاث سنن: التسمية، والأكل باليمين، والأكل مما يليه.

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (١٠٨/٢٠٢٢)، وتقدم برقم (٢٩٩).

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- استحباب الأكل باليمين، وكراهته بالشمال، وقد سبق بيانه في الحديث رقم (٧٣٣).

٢- الأكل مما يليه، وقد سبق بيانه كذلك في الحديث نفسه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٩٩).

الحديث رقم (٧٤١)

٧٤١- وعن سلمةَ بن الأَكْوَع ﷺ : أنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: ((كُلْ بِيَمِينِكَ)) قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: ((لاَ اسْتَطَعْتَ))! مَا مَنَعَهُ إلاَّ الكِبْرُ! فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سلمة بن عمرو بن الأكوع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٩).

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه بيان لأهمية اتباع السنة، وخطر مخالفتها، بدأه الراوي بأسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة لغرابة القصة التي يتضمنها وقوله (أن رجلا أكل) بيان للحدث الذي تدور حوله القصة، و الظرف (عند رسول ﷺ) فيه إشارة إلى شرف الموضع الذي يلزم منه توقيره، وقوله (بشماله) فيه بيان لموضع الخطأ، والباء فيه للاستعانة، وقول الرسول ﷺ (كل بيمينك) أمر توجيه وإرشاد وفيه تصويب للخطأ وقول الرجل: (لا أستطيع) فيه تكبر وتعالٍ ورفض لأمر رسول الله ﷺ وقول الراوي (مامنعه إلا الكبر) ينص على هذا المعنى وهوأسلوب قصر يقصر سبب رفضه لأمر رسول الله ﷺ على الكبر، وينفيه عن غيره من الأسباب كالعجز، والمرض، ونحوه وقول الرسول ﷺ (لا استطعت) جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى لأنها دعائية وقول الراوي (فما رفعها إلى فيه) إشارة إلى استجابة دعوة النبي ﷺ ودليل على أن الرجل كان كاذباً متكبراً وفيه تهديد لكل من يخالف سنن رسول ﷺ كبراً وبطراً في كل زمان ومكان فقد قال ﷺ (... فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (١٠٧/٢٠٢١)، وتقدم برقم (١٥٩، و ٦١٣).

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٧٥.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

ملاحظة الأبناء مفروضة ونصحهم فرض عين، وتربيتهم على المثل العليا مسؤولية دينية واجتماعية، وقد رأينا رسول الله ﷺ يربي الناشئة بالطرق التالية:

أولاً- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الفعّالة التربية بالمواقف والأحداث، حيث يقوم المربي بالتقويم والتهذيب في حالة التصرف الخاطئ من المتربي، وهذا يتضح من خلال حديثي الباب، فعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنتُ غلامًا في حجرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يَدي تطيشُ في الصَّحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: ياغلامُ، سَمِّ الله تعالى، ...».

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ».

فمن خلال الموقف والحدث وجّه النبي ﷺ إلى ضرورة مراعاة آداب الأكل. والتوجيه والإرشاد عندما يأتي مصاحبًا للحدث والموقف يكون أقرب إلى التنفيذ.

"والأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه، ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان، فالأحداث وسيلة فعّالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية، والمربي حقًا لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها. والتربية بالأحداث تُعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما عن طريق الحس إن كانت هذه الظاهرة خارجية، وعن طريق التأمل إن كانت داخلية، والحديث الشريف كله ممارسات تربوية في المجتمع الإسلامي الذي عاشه الرسول المربي ﷺ في شتى مجالات الحياة"[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٢٣٨.

ثانيًا- التربية بالملاحظة:

من أنجح الأساليب التربوية التربية بالملاحظة حيث يتعاهد المربي ابنه أو الناشئة ويراقبه في تصرفاته وأعماله وأفعاله ويقومه ويوجهه ويرشده إلى الصواب فيما يقع فيه من تصرفات.

ولقد سلك النبي ﷺ هذا الأسلوب في تقويم مَنْ أخطأ أمامه، ففي حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: «لما رآه الرسول ﷺ يأكل ويده تطيش في الصحفة، قال له: يا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ تعالى، وكُلْ بيَمِينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ». وفي حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه لاحظ النبي ﷺ رجلاً يأكل بشماله فقال: «كُلْ بيَمِينِكَ ...». ففي هذين الحديثين قام النبي ﷺ بالتوجيه التربوي من خلال الملاحظة والمراقبة.

"والمقصود بالتربية بالملاحظة، ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقدي والأخلاقي، ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي والسؤال المستمر عن وضعه وحاله في تربيته الجسمية وتحصيله العلمي، ولاشك أن هذه التربية تعد من أقوى الأسس في إيجاد الإنسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة، والذي تدفعه إلى أن ينهض بمسؤولياته ويضطلع بواجباته على أكمل وجه، وأنبل معنى. فمن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها ذلك لأن الولد دائمًا موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة حيث المربي يرصد عليه جميع تحركاته، وأقواله وأفعاله واتجاهاته، فإن رأى خيرًا أكرمه وشجعه عليه وإن رأى منه شرًا نهاه عنه، وحذره منه وبين له عواقبه الوخيمة، ونتائجه الخطيرة"[1].

وهكذا نرى رسول الله ﷺ يعلم الكبار والصغار سلوكيات الحياة عن طريق مراقبته وملاحظته لهم وتعديل سلوكهم بما يتفق مع ما شرعه الله تعالى من تحليل وتحريم.

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٧-٧٢٩.

ثالثًا- التربية على آداب الأكل:

إن من أهداف التربية الاجتماعية التربية على آداب الأكل، ومما جاء في حديثي الباب يبرز حرص الرسول ﷺ على غرس آداب الطعام والشراب، وما ينبغي فيهما، ففي حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: «كنت غلامًا في حجْر رسول الله ﷺ، فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ تعالى، وكُلْ بيَمينِكَ، وكُلْ ممَّا يَليكَ». فأرشده النبي ﷺ إلى جملة من آداب الأكل منها التسمية والأكل باليمين، والأكل مما يليه.

وفي حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لاَ اسْتَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ. فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ.

فهذا الآكل بشماله أرشده النبي ﷺ إلى أن من آداب الأكل تناوله باليمين.

"ومن آداب الطعام والشراب استحضار نية التَّقَوِّي على طاعة الله عز وجل وأن يختار الحلال الطيب من المطاعم والمشارب، ومن آدابه غسل اليدين قبله، والتسمية في أوله والأكل باليمين، والأكل مما يليه"[1].

وإذا كان الأمر كذلك فإن من الواجبات على المربين الاهتمام بتدريب الأطفال على آداب الطعام وتعويدهم على الالتزام بها.

"وإذا لم يجلس الوالدان مع الطفل باستمرار أثناء الطعام، ويصححا له أخطاءه، فإن الطفل سيبقى في براثن العادات السيئة المنفرة، كذلك فإن عدم الجلوس معهم في أثناء طعامهم سيفقد الوالدين وقتًا مناسبًا لتلقي الطفل وتعليمه، وقد أكل النبي ﷺ مع الأطفال وشاهد ولاحظ جملة من الأخطاء فقدَّمها بأسلوب حيوي أثار به عقل ونفس الطفل إلى التصحيح وهكذا كان. ففي حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما «لما كانت يده تطيش في الصحفة، قال له رسول الله ﷺ: يا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ تعالى، وكُلْ

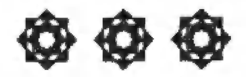
(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٠٢.

بيَمينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ»، فأنت تجد في هذا دعوة النبي ﷺ الطفل إلى الطعام معه ثم وجهه بكل رفق إلى طريقة الطعام وآدابه، وغدا الصحابة ﷺ يصطحبون معهم أطفالهم إلى الولائم، وخاصة التي يحضرها رسول الله ﷺ فيتعلمون في هذه الولائم علمًا نافعًا وآدابًا جامعة"[1].

رابعًا- التربية على الأخذ بالسنة وعدم الإعراض عنها:

وهذا واضحٌ من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ، أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: "كل بيمينك، قال: لا أستطيع. قال: لا استطعت. ما منعه إلا الكبر. فما رفعها إلى فيه".

فقد منع الكبر هذا الرجل من الاستجابة لما أمره به رسول الله ﷺ وأعرض عن الأكل باليمين، فدعا ﷺ فأصاب يده اليسرى ما جعله لا يستطيع أن يرفعها إلى فمه، وإذا كان هذا في مجال الطعام فما بالنا بمن استكبر وتكبر وأعرض عن سنة النبي ﷺ ولم يأخذ بها في المجالات الأخرى ذات الأهمية الكبيرة؟ إن على المربين أن يربوا من يقومون بتربيتهم على أن يقولوا سمعًا وطاعة لما جاء به الرسول ﷺ، وأن ينفروا أشد النفور من الإعراض عن سنة النبي الهادي ﷺ. وليس في ذلك كما يدّعي من في قلوبهم مرض مصادرة لعقولهم ومصادرة لحرياتهم وإلغاء لشخصياتهم، ليس في ذلك شيء من هذا مطلقًا، بل فيه كل الخير لهم والسعادة لهم في الدنيا والآخرة، لأن كل ما أمر به الرسول ﷺ هو الخير والمصلحة وكل ما نهى عنه ﷺ هو الشر والمفسدة.



(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٧٦، ٧٧.

١٠٥- باب النّهي عن القِرَانِ بين تمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلاّ بإذن رفقته

الحديث رقم (٧٤٢)

٧٤٢- عن جَبَلَة بن سُحَيْم، قَالَ: أصَابَنَا عَامُ سَنَةٍ مَعَ ابن الزُّبَيْرِ؛ فَرُزِقْنَا تَمْرًا، وَكَانَ عبدُ الله بن عمر ﷺ يَمُرُّ بنا ونحن نأكُلُ، فَيقُولُ: لاَ تُقَارِنُوا، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عنِ القِرَانِ، ثُمَّ يَقُولُ: إلاَّ أنْ يَسْتَأذِنَ الرَّجُلُ أخَاهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

عام سنةٍ: عام قحط[٢].

القران: ضم تمرة إلى تمرة لمن أكل مع جماعة[٣].

أخاه: المراد بالأخ رفيقه الذي اشترك معه في ذلك التمر[٤].

الشرح الأدبي

تضمَّن هذا الحديث مع قصره أبعاداً نفسية، واجتماعية، واقتصادية، إن روعيت في التعاملات، وطُبِّقت على نطاق واسع كان لها عظيم الأثر على الأفراد والمجتمعات، وملابسات الحديث التي أشار إليها الراوي تشير إلى أن الحالة الاقتصادية يومئذ كانت متردية، والناس في ضيق، وشدة من المعيشة، وهذه الملابسات تستلزم أن يكون الإنسان أكثر رعاية لمن حوله.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٦) واللفظ له، ومسلم (٢٠٤٥/١٥٠) وزاد: (قال شعبة: لا أُرى هذه الكلمة إلا من كلمة ابن عُمر: إلا أن يستأذن الرجل أخاه).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٢/٩.

(٣) المرجع السابق ٤٨٢/٩.

(٤) المرجع السابق ٤٨٢/٩.

والحديث يبدأ بأسلوب خبري يناسب القصة، وقوله (أصابنا عام سنة) الجملة كناية عن الشدة، وضيق العيش، ونسبة الإصابة للعام مجاز عقلي من نسبة الفعل لزمانه حدوثه، وهو يفيد المبالغة فيما حل بهم من ضيق الرزق، وشدة الحال.

وقوله (فرزقنا تمراً) اتصال الفعل بـ (نا) الفاعلين إشارة إلى إشتراكهم جميعاً فيه، وتنكير كلمة (تمراً) يفيد التقليل وقوله: (ونحن نأكل) يؤكد أنهم عدد كبير معهم تمر قليل وقوله) لا تقارنوا) أسلوب نهي عن أن يخص أحدهم نفسه بمزيد من التمر دون أصحابه، -خاصة - زمن المجاعة والشدة، والقران الجمع بين التمرتين، والمقصود به الإكثار؛ وقوله (فإن النبي ﷺ نهى عن القران) الفاء للتعليل والجملة تعليل لسبب نهي عبد الله بن عمر ﷺ، وقوله: (إلا أن يستأذن الرجل أخاه) استثناء من الحكم السابق يقرر جواز الزيادة بشرط الاستئذان من الشركاء.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم القران بين التمرتين ونحوهما: من الأدب للمرء حين يطعم، ترك ما يقتضي الشره، والطمع المزري به، أو يكون فيه غبن برفيقه.

لذا ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يكره القران في أكل التمر، وما شابهه، مما جرت العادة بأكله أفرادًا، كالرطب، والزبيب، والعنب، مثلاً، إلا أن يأذن له من يؤاكله، فإذا أذن فلا بأس.

وذهب ابن حزم إلى أنه لا يحل القران في الأكل، إلا أن يأذن المؤاكل، فإن أذن المؤاكل فهو حقه[1].

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٨/٢، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٦/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٧/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٥٧/٣، والمحلى، ابن حزم ١٠٠/٦.

والصواب والتفصيل كما قال النووي: (إن كان الطعام مشتركًا بينهم فالقران حرام إلا برضاهم، ويحصل الرضا بتصريحهم به، أو بما يقوم مقام التصريح من قرينة حال، أو إدلال عليهم كلهم، بحيث يعلم يقينًا، أو ظنًا قويًا، أنهم يرضون به، ومتى شك في رضاهم فهو حرام، وإن كان الطعام لغيرهم أو لأحدهم، اشترط رضاه وحده، فإن قرن بغير رضاه فحرام، ويستحب أن يستأذن الآكلين معه ولا يجب، وإن كان الطعام لنفسه وقد ضيفهم به فلا يحرم عليه القران، ثم إن كان في الطعام قلة فحسن ألا يقرن لتساويهم، وإن كان كثيرًا بحيث يفضل عنهم فلا بأس بقرانه، لكن الأدب مطلقًا: التأدب في الأكل وترك الشره، إلا أن يكون مستعجلاً ويريد الإسراع لشغل آخر)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: تذكير الناس بما ينبغي فعله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد.

ثالثًا: من آداب المدعو: اتباع هدي رسول الله ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: استحباب رضا الرفقة عن تصرفات الإنسان معهم.

أولاً - من آداب الداعية: تذكير الناس بما ينبغي فعله:

حيث جاء في الحديث: (وكنا نأكل فيمر علينا ابن عمر ونحن نأكل فيقول: لا تقارنوا)، وهذا يدل على أن من أهم آداب الداعية، تذكير الناس بما ينبغي فعله وبالتذكير أمر الله نبيه ﷺ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣/٢٠٩، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٦٦٠.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٥.

(٣) سورة الأعلى، آية: ٩.

(٤) سورة الغاشية، آية: ٢١.

والداعية الناجح هو الذي يحرص على تذكير المدعوين، وإذا رأى مخالفة شرعية ذكرهم بنصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وبهدي النبي ﷺ حتى لا يقعوا في محظور شرعي، قال الشيخ محمد الغزالي: "وأول ما يجب على أصحاب الحق وقد عرفوه أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، وكم من مبتعد عن الجادة تكفيه في العودة إليها همسة ناصح أو صيحة زاجر، فإذا هو راجع إلى رشاده مستقيم على الصراط، وعمل الواعظين - في أغلب الأحيان - هو ذلك التذكير النافع وهو تذكير لا يستغني عنه الناس يومًا، إذ طالما يعصف النسيان بأفكارهم، ويبعثهم على السير في الحياة دون وعي أو هدف"[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد:

١- النهي: حيث جاء في الحديث: (لا تقارنوا)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تؤثر في المدعو من حيث التأكيد عليه في خطورة فعل المنهي عنه، وقد حث القرآن على فعل المأمورات وترك المنهيات، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النهي، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾[2].

٢- التوكيد: حيث جاء في الحديث: (فإن النبي ﷺ نهى)، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تعمل على إقناع المدعو بما يقول الداعية، ومن صور استعمال أسلوب التوكيد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[3]، وقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[4].

"إن التوكيد في القرآن كله وحدة متكاملة، منظور إليه نظرة شاملة، وقد

---

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٦٢.

روعيت في ذلك جميع مواطنه، فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به لانعدام موجبه. فجاء التوكيد كله في القرآن كأنه لوحة فنية واحدة فيها من عجائب الفن - وليس فيها إلا العجيب - ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهورًا دهشًا مقرًا بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الاتيان بمثله"[1].

ثالثًا - من آداب المدعو: اتباع هدي رسول الله ﷺ:

يؤخذ هذا من سياق الحديث، ومما لا شك فيه أن من أهم واجبات المدعو اتباع هدي النبي ﷺ في جميع الأمور وبهذا أمر الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2]، وقال جلّ شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[3].

قال ابن القيم: "وبحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة والكفاية والنصرة كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذِّلة والصَّغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة"[4].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: استحباب رضا الرفقة عن تصرفات الإنسان معهم:

حيث جاء في الحديث: (إلا أن يستأذن الرجل أخاه)، قال النووي: "هذا النهي متفق عليه حتى يستأذنهم، فإذا أذنوا فلا بأس، والاختلاف جاء في النهي هل هو على التحريم

---

(١) التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي ص ١٢٥.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧/١.

أم على الكراهة والأدب"[١].

وقال ابن حجر: "ويستحب للإنسان أن يستأذن الآكلين معه، وحسن للمضيف أن لا يقرن ليساوي ضيفه، إلا إن كان الشيء كثيرًا يفضل عنهم، مع أن الأدب في الأكل مطلقًا ترك ما يقتضي الشره"[٢].

قال ابن مفلح: "ويكره القران في التمر، وقيل: مع الشركاء فيه، لا وحده ولا مع أهله، ولا مع من أطعمهم ذلك، وتركه مع كل أحد أولى وأفضل وأحسن. وذكر القاضي عياض عن أهل الظاهر أن النهي للتحريم، وعن غيرهم أنه للكراهة والأدب. ويستحب أن يستأذن الآكلين معه، وإن كان الطعام لنفسه، وقد ضيفهم به فحسن ألا يقرن ليساويهم إن كان الطعام فيه قلة، وإن كان كثيرًا بحيث يفضل عنهم فلا بأس، لكن الإذن مطلقًا للتأدب وترك الشره، إلا إن يكون مستعجلاً، ويريد الإسراع لشغل آخر.

وقال الخطابي: إنما كان هذا في زمنهم حين كان الطعام ضيقًا، فأما اليوم مع اتساع الحال، فلا حاجة إلى الإذن، وفيما ذكره نظر. والقران بين غير التمر مثله إلا أن ذلك لا يقصد وتظهر فائدته إلا في الفواكه وما في معناها. قال الشيخ تقي الدين: وعلى قياسه قِران كل ما العادة جارية بتناوله أفرادًا"[٣].

وقال د. الحسيني هاشم: "الأدب في تناول الطعام والبعد عن النهم مطلوب، ومن ذلك عدم تناول ما يعتاد أكله واحدة واحدة كالتمر وغيره بأعداد كبيرة في المرة الواحدة، كما هو شأن الكثيرين، لئلا ينبو في نظر إخوانه، ويظهر نهمه وحرصه على الحصول على أكبر نصيب من الطعام، إلا إذا علم رضا رفقائه وعدم تضررهم من ذلك، وهو أدب محمود يرتفع بالمسلم إلى أعلى الدرجات في عالم الذوق والسلوك"[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٩٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٤/٩.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٥٧/٣ - ١٥٨.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤٤٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الشره منهي في الإسلام، ولذا أوجب رسول الله ﷺ على من يأكل مع غيره ألا يجعل همه تناول أكبر قدر من الطعام، فإن كان ولا بد، فليكن بالتتابع لا بالتسارع، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً-التربية بالمواقف والأحداث:

من خلال المواقف والأحداث يستطيع المربي أن يغرس الكثير من القيم والتوجيهات التربوية، ولذا فالتربية بالمواقف والأحداث من الأساليب التربوية الناجحة، وفي حديث الباب ما يبرز هذا الأسلوب فعن جبلة بن سُحيم قال: أصابنا عام سنة مع ابن الزبير فرزقنا تمرًا وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل فيقول: لا تقارنوا فإن النبي ﷺ نهى عن الإقران ثم يقول: إلا أن يستأذن الرجل أخاه".

ففي هذا الحديث استغل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الموقف والحدث وأسدى فيه توجيهه التربوي بالنهي عن القرَان في التمر.

(ولا شك أن من طرق التربية الفاعلة التربية بالأحداث أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين، وميزة هذا التوجيه وهذا التغيير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغيير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر.

والأحداث إما أن تكون تلقائية تحدث بسبب التصرفات الخاصة للناس أو لأسباب خارجة عن إرادتهم وتقديرهم وإما أن تكون منظمة ومخططة مسبقًا كي يمر بها الصغير أو الكبير بقصد إثارة مشاعره وانفعاله حتى يسهل تشكيله وتغيير سلوكه في الاتجاه المرغوب. والمربي الحاذق لا يترك الأحداث - تلقائية كانت أم مخططة - تذهب سُدَىً بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب)[1].

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٧.

ثانيًا-التربية على آداب الأكل مع الجماعة:

من الآداب الاجتماعية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على آداب الأكل مع الجماعة، ومن هذه الآداب النهي عن القران بين تمرتين في حالة الأكل مع جماعة إلا بإذنهم وذلك من حسن الأدب في الأكل، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يبرز لنا هذا الجانب من الأدب، ففيه عن جبلة بن سحيم قال: أصابنا عام سنة مع ابن الزبير فرزقنا تمرًا وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل فيقول: لا تقارنوا فإن النبي ﷺ نهى عن القران ثم يقول: إلا أن يستأذن الرجل أخاه".

قال ابن مفلح المقدسي: (ويكره القران في التمر وقيل مع الشركاء فيه، لا وحده ولا مع أهله ولا مع مَنْ أطعمهم ذلك وتركه مع كل أحد أولى وأفضل وأحسن، وذكر القاضي عياض عن أهل الظاهر أن النهي للتحريم وعن غيرهم أنه للكراهة والأدب، وذكر النووي أن الصواب التفصيل فإن كان الطعام مشتركًا بينهم فالقران حرام إلا برضاهم بقولٍ أو قرينة يحصل بها علم أو ظن، وإن كان الطعام لغيرهم أو لأحدهم اشترط رضاه وحده فإن قرن بغير رضاه فحرام ويستحب أن يستأذن الآكلين معه، وإن كان الطعام لنفسه وقد ضيفهم به فحسن ألا يقرن ليساويهم إن كان الطعام فيه قلة، وإن كان كثيرًا بحيث يفضل عنهم فلا بأس لكن الإذن مطلقًا للتأدب وترك الشره إلا أن يكون مستعجلاً ويريد الإسراع لشغل آخر.

وقال الخطابي: إنما كان هذا في زمنهم حين كان الطعام ضيقًا، فأما اليوم مع اتساع الحال فلا حاجة إلى الإذن، وفيما ذكره نظر والقران بين غير التمر مثله إلا أن ذلك لا يقصد، وتظهر فائدته إلا في الفواكه وما في معناها. قال تقي الدين: وعلى قياسه قِرَان كل ما العادة جارية بتناوله أفرادًا)[1].



(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/١٥٧، ١٥٨.

١٠٦- باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع

الحديث رقم (٧٤٣)

٧٤٣- عن وَحْشِيِّ بن حرب رضي الله عنه: أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، قالوا: يَا رسولَ اللهِ، إنَّا نَأكُلُ وَلاَ نَشْبَعُ؟ قَالَ: ((فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ)) قالوا: نَعَمْ. قَالَ: ((فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ)) رواه أبُو داود[(١)].

ترجمة الراوي:

وحشي بن حرب الحبشي مولى بني نوفل: كان عبدًا أسود من سُودان مكة، كان مشهورًا برمي الحراب، وقد قَتَلَ بحربته حمزة بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ فكوفئ على ذلك بأن أصبح حرًّا، حتى فتح النبي ﷺ مكة، فهرب إلى الطائف، فلما أراد أهل الطائف أن يُسلموه أراد الهرب مرة أخرى، لكن من معه طمأنه بأن النبي ﷺ لا يقتل من دخل الإسلام، فأتى النبي ﷺ فأعلن إسلامه، وسأله النبي ﷺ أن يغيب عنه وجهه[(٢)]، لقتله حمزة فكان يتجنب أن يراه النبي ﷺ.

وكان قتله حمزة يقضّ عليه مضجعه، ويجعل فكره غير صافٍ، حتى جاءت الفرصة التي يريح بها باله، فخرج مع خالد بن الوليد إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب فكان هو قاتله وقيل: إنه قتله بالحربة التي قتل بها حمزة.

قال عبدالله بن عمر: سمعت صارخًا يصرخ يوم اليمامة: قتله العبد الأسود.

فأعلن ذلك بصيحة قوية وفرحة غامرة، فقال: إنكم يا معشر المسلمين تقولون: إني قتلت حمزة، فإن أك قد قتلت خير الناس. فقد قتلت شر الناس، فهذه بهذه.

وظلّ على جهاده في سبيل الله فشهد اليرموك وفتح دمشق.

---

(١) برقم (٣٧٦٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٢٢٤)، وقال العراقي في تخريج الإحياء (١٣١٠): إسناده حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٥٠).

(٢) صحيح البخاري (٤٠٧٢).

وظلّ بالشام فسكن حمص ومات بها في خلافة عثمان[1].

الشرح الأدبي

الخبر مؤكد بإن مع اسمية الجملة إشارة إلى أهميته، والنداء في قوله (قالوا يا رسول الله) نداء تكريم لرسول الله ﷺ؛ لأنه اشتمل على صفته (الرسول) دون اسمه مع إضافته لله، واستخدام (يا) التي للبعيد مع قرب الرسول ﷺ منهم إشارة إلى علو منزلته، وارتفاع مكانته، وقولهم (إنا نأكل ولا نشبع) عرض للمشكلة وبيان لأبعادها، وقوله: (لعلكم تفترقون؟) استفهام تقرير غرضه لفتهم، وتنبيههم إلى سبب قلة البركة، وقوله (فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ) أمر إرشاد، وتوجيه لما فيه مصلحتهم في الدنيا بالبركة في الطعام، ومحبة الإخوان، وفي الآخرة برضى الله بذكره عند الطعام، وحمده عند الختام.

فقه الحديث

١- استحباب الاجتماع على الطعام، لأنه من أسباب البركة فيه، وأن لا يأكل المرء وحده. قال بعضهم: وفي الأكل مع الجماعة فوائد منها ائتلاف القلوب وكثرة الرزق والمدد وامتثال أمر الشارع، لأنه تعالى أمرنا بإقامة الدين وعدم التفرق فيه، ولا يستقيم ذلك إلا بائتلاف القلوب، ولا تألف إلا بالاجتماع على الطعام، وشر الناس من أكل وحده ومنع رفده، فمن فعل ذلك وأراد من الناس نصرته على إقامة الدين فقد أتى البيوت من غير أبوابها، وربما خذلوه عنادًا لبغضهم له، إذ البخيل مبغوض ولو كثر تعبده، والسخي محبوب ولو فاسقًا كما هو مشاهد[2].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤١٨/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٥٧ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٠٩/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٧٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٥٢/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٠٥/٤) والأعلام، خير الدين الزركلي (١١١/٨) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٩٦٨/٣).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٩/٩، شرح ابن بطال ١٢١/١٨، فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٧/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما خفي عليهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام وذكر اسم الله عليه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب.

رابعًا: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما خفي عليهم:

إن النبي ﷺ يتنزل عليه الوحي، ومن ثم كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على سؤال النبي ﷺ في كل ما يعرض لهم من أمور، وما يخفى عليهم من أشياء ويتضح هذا مما جاء في الحديث: (قالوا يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع)، والصحابة رضي الله عنهم كان عندهم حرص شديد على سؤال النبي ﷺ عما خفي عليهم، وهم بهذا يستجيبون لتوجيه القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال السعدي: "وهذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن حالة الرسل عليهم السلام المتقدمين من أهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه"[2].

ولا أدلّ على حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ مما جاء في القرآن

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

الكريم من لفظ يسألونك، ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[(1)]، وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[(2)]، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾[(3)]، وقد أنكر النبي ﷺ على من لم يسأل، ففي قصة المجروح الذي توضأ واغتسل فمات، فلما أخبر بذلك قال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ الله ألاَّ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[(4)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام وذكر اسم الله عليه:

وذلك حيث جاء في الحديث: (فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه)، "وقوله لعلكم تفترقون أي: حال الأكل بأن كل واحد من أهل البيت يأكل وحده، وقوله: اذكروا اسم الله عليه، أي: في ابتداء أكلكم يبارك لكم في طعامكم، وقد دلت الأحاديث على البركة في تكاثر الأيدي على الطعام، وأما قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[(5)]، محمول على الرخصة، أو دفعًا للحرج على الشخص إذا كان وحده"[(6)].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب:

١- **الأمر**: حيث جاء في الحديث: (فاجتمعوا على طعامكم)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي توجه المدعو إلى ضرورة فعل المأمور به، ومن استعمال القرآن له قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[(7)]. وفي الحديث أمر النبي ﷺ بالاجتماع على الطعام

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ١.

(٣) سورة النازعات، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٥) سورة النور، آية: ٦١.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٦١٥.

(٧) سورة الإخلاص، آية: ١.

حتى تحصل لهم البركة فيما يأكلون.

٢- **الترغيب:** يتضح هذا من الحديث: (يبارك لكم فيه)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي ترغب المدعو في فعل المأمور به، "والترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه ويكون الترغيب في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"(١).

وفي الحديث رغّب النبي ﷺ في الاجتماع على الطعام ببيان أن البركة تحصل مع الاجتماع.

رابعًا - من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

يتضح هذا من سياق الحديث، وواجب المسلم الاستجابة لأمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٢)، وقال جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(٣).

قال ابن عاشور: "وأمر الله بالاستجابة للرسول ﷺ إذا دعاهم إلى شيء، فإن في دعوته إياهم إحياء لنفوسهم، وأعلمهم أن الله يكسب قلوبهم بتلك الاستجابة قوى قدسية، وقوله: (لما يحييكم) أي: دعاكم لأجل ما هو سبب حياتكم الروحية، والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كماله، فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح، والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع، وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة، فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة، والحرية حياة، واستقامة أحوال العيش حياة، ولما كان دعاء الرسول ﷺ لا يخلو عن إفادة شيء من معاني هذه الحياة أمر الله الأمة بالاستجابة له، فالآية تقتضي الأمر بالامتثال لما يدعو إليه الرسول ﷺ

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

سواء دعا حقيقة بطلب القدوم، أم طلب عملاً من الأعمال، فإن الرسول ﷺ لا يدعوهم إلا وفي حضورهم لديه حياة لهم"[1].

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٤/٩/٣١٢ - ٣١٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

العلم خزائن مفاتحه السؤال، ومن جهل شيئاً فسأل عنه فإنه لا يعدم الإجابة وهذا ما حدث للصحابي الذي سأل الرسول ﷺ أنه يأكل ولا يشبع، فكانت الإجابة عن طريق الهدي النبوي المتمثل في:

أولاً-التربية بالحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار والمناقشة حيث يستطيع المربي من خلالها أن يغرس الكثير من القيم والتوجيهات والإرشادات التربوية، ومما يشير إلى ذلك في حديث الباب ما جاء عن وحشي بن حرب رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: "يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال: فلعلكم تفترقون قالوا: نعم قال: فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه".

ففي هذا الحديث دار الحوار والمناقشة بين النبي ﷺ وصحابته الكرام، وأرشدهم الرسول ﷺ إلى ما يقولونه ويفعلونه عند الطعام من الاجتماع عليه وذكر اسم الله تعالى.

(ولقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار والمناقشة في التربية في الحلقات التربوية التي كان يعقدها لتربية أجيال المسلمين، وهي طريقة تدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق -وهي طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا فقط دون الفهم والإدراك العقلي، وقد تُوجَّه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة، وعن طريق الحوار كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين شتى أمور دينهم ودنياهم. ويمكن القول: إن الرسول ﷺ كان كثير الاستعمال للطريقة الحوارية مع أصحابه، ومع خصوم الإسلام من المشركين وأهل الكتاب)[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٢٣، ٣٢٤.

إن واجب المربين الاعتناء بأسلوب الحوار والمناقشة لما له من أهمية في إقناع المتربين.

(إن أسلوب المحاورة والمناقشة يعد من أهم الأساليب التربوية فالحوار أحد أركان الفهم والاقتناع، والاقتناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك، والقرآن الكريم ملئ بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل، وترسيخ العقيدة، ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج مَنْ نحاوره أو نناقشه، ولذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته)[1].

ثانيًا-غرس روح الجماعة:

إن من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية غرس روح الجماعة، وذلك لما في الاجتماع من البركة والخير الحاصل للجميع، ومما جاء في حديث الباب يؤكد أهمية الجماعة والاجتماع ما جاء عن وحشي بن حرب رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال: فلعلكم تفترقون قالوا: نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه.

ففي هذا الحديث بيّن النبي ﷺ أنه بسبب الافتراق نزعت البركة على الطعام، وأن الاجتماع على الطعام مع ذكر الله تعالى مَظِنَّةُ حصول البركة. وفي هذا التوجيه النبوي غرسٌ لروح الجماعة، وتنفير من الافتراق.

(إن ائتلاف القلوب والمشاعر، واتحاد الغايات والمناهج، من أوضح تعاليم الإسلام، وألزم خلال المسلمين المخلصين... ولا ريب أن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة، ودوام دولتها، ونجاح رسالتها، ولئن كانت كلمة التوحيد باب الإسلام فإن توحيد الكلمة سر البقاء فيه والإبقاء عليه، والضمان الأول للقاء الله بوجه مشرق وصفحة نقية.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٥، ٨٦.

إن العمل الواحد في حقيقته وصورته يختلف أجره اختلافًا كبيرًا حين يؤديه الإنسان وحيدًا، وحين يؤديه مع آخرين)[1].

إن تعاليم الإسلام وتوجيهاته تدعم روح الجماعة، وتحث عليها ففي تحقيق الجماعة يكون الخير للفرد وللمجتمع.

(إن المنهج الإسلامي يهدف من خلال توجيهاته إلى ترابط المجتمع والتئامه من خلال مسارات متعددة، تتضافر جميعها لتحقق ذلك، فأثبت الإسلام حقوق الفرد، وحقوق الأسرة، وحقوق الجوار، وحقوق عامة المسلمين، كما أرسى دعائم هذا الترابط من خلال فرضية الزكاة، والصدقات، وأداء الصلوات جماعة، والحج في زمان ومكان مخصوص بهيئة مخصوصة.

وجميع هذه الأسس الإسلامية إذا طُبقت عمليًا فإن لها آثارًا تربوية بين أفراد المجتمع، فيتحقق للمجتمع الترابط والتآلف الاجتماعي الذي تحقق في عهد المصطفى ﷺ، حيث وصل ذلك التوادُّ والتعاطف إلى ذروته)[2].



(١) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٧٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٤٠.

١٠٧- باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها

الحديث رقم (٧٤٤)

فِيهِ: قَوْله ﷺ: ((وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)) متفق عَلَيْهِ[1] كما سبق.

٧٤٤-وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطعَامِ؛ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلاَ تَأكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

حافتيه: جانبيه[3].

الشرح الأدبي

شيوع أساليب التوكيد في مقدمات الأحاديث التي يذكرها الرواة يرجع غرضها غالباً إلى إحساسهم العميق بعظمة الإخبار عن النبي ﷺ؛ لأنه يخرج من أفواههم إلى أسماع الأمة، ولذلك نجدهم يصدِّرون ما يروون عنه بلون، أو أكثر من ألوان التوكيد إشعاراً بما يخالج أنفسهم، من جهة ومن أخرى تنبيهاً على أهمية ما يليه وهذا الحديث من هذه النوعية التي يتصدرها حرف التوكيد تنبيهاً على أهمية ما يليه، وقد بدأ الرسول ﷺ الحديث بما يرغِّب فيه قبل أن يوجه الأمر بالتزامه وهو من فطنته ﷺ

(١) تقدم برقم (٢٩٩، ٧٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٧٢)، والترمذي (١٨٠٥) واللفظ له. وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٢٤٥)، وقال الحاكم (١١٦/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٤١).

(٣) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح و ف).

قال: (البركة تنزل وسط الطعام) البركة الثبات، والاستقرار، وعدم الزوال، ومعناها ألا ينقص الشيء بل يزيد عن المعتاد لمثله، ولا يتعلق بأسباب ظاهرة غالباً، وتنزلها في الوسط لأنه أعدل الجهات؛ ولذلك جاء أمره ﷺ مرتباً عليها بالفاء (فكلوا من حافتيه) وأكّده بالنهي عن ضده، وهو الأكل من الوسط (ولا تأكلوا من وسطه) وطريقة الرسول ﷺ في التوجيه، والإرشاد في هذا الحديث تشير إلى أهمية الأمر فقد بدأ بالتمهيد له بالترغيب فيه، ثم بالأمر الصريح، ثم بالنهي عن ضده.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى:

موضع الأكل: يستحب عند الجمهور الأكل من جوانب الطعام، ويكره الأكل من أعلاه ووسطه، ولا بأس بذلك في الفواكه بأنواعها.

وقال ابن حزم: (يحرم ذلك)، وهو نص الشافعي في الأم، حيث قال: فإن أكل مما لا يليه أو من رأس الطعام أثم بالفعل الذي فعله، إذا كان عالمًا بنهي النبي ﷺ ولم يحرم ذلك الطعام عليه، وذلك أن الطعام غير الفعل ا. هـ)[١].

لكن نص الشافعي على أن تحريمه محمول على أنه مشتمل على الإيذاء[٢].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٩/٢٢، والقوانين الفقهية ٤٧٧، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٦٧/٩، ٦٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٥/٥، ١٩٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣١٠/٤، والأم ٣٠٦/٧، والمحلى، ابن حزم. وانظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٦٣٦.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مواطن البركة في الطعام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والنهي.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الأمور النافعة للمدعوين.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: (البركة تنزل وسط الطعام)، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تعرّف المدعوين بما هو مطلوب منهم، وأسلوب الإخبار تقوم به الحجة على المدعوين في تبليغهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[(١)]، قال القاسمي: وقال في الانتصاف: ولما كان عدم تبليغ الرسالة أمرًا معلومًا عند الناس، مستقرًا في الأفهام أنه عظيم شنيع، ينقم على مرتكبه، بل عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع، فضلاً عن كتمان الرسالة من الرسول ﷺ استغنى عن ذكر الزيادات التي يتفاوت بها الشرط والجزاء، للصوقها بالجزاء في الأفهام، وإن كل من سمع عدم تبليغ الرسالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد. ولا خفاء في أن النبي ﷺ قد بلّغ البلاغ التام، وقام به أتمّ القيام، وثبت في الشدائد وهو مطلوب، وصبر على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي، ويثبت ثبات المستولي، حتى أصبح سراج الدين وهاجًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا"[(٢)].

وبالإخبار تتبين الحقائق للمدعوين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٣)]، وبالإخبار تتحقق الاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٨٤/٦.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

من قبل المدعوين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(١).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: مواطن البركة في الطعام:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ: (البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه)، قال المباركفوري: "والوسط أعدل المواضع، فكان أحق بنزول البركة فيه، والمراد بحافتيه جانبيه، وفيه مشروعية الأكل من جوانب الطعام قبل وسطه، قال الغزالي: "وكذا لا يأكل من وسط الرغيف بل من استدارته إلا إذا قل الخبز فليكسر الخبز، والعلة في ذلك ما في الحديث من كون البركة تنزل في وسط الطعام"(٢).

قال شرف الحق العظيم آبادي: "وإذا كان الحديث يدل على مشروعية الأكل من جوانب الطعام قبل وسطه، فقد قال الخطابي: فيه وجه آخر وهو أن يكون النهي إنما وقع إذا أكل مع غيره، وذلك أن وجه الطعام هو أفضله وأطيبه، فإذا قصده بالأكل كان مستأثرًا به على أصحابه، وفيه من ترك الأدب وسوء العشرة ما لا خفاء به، وأما إذا أكل وحده فلا بأس به"(٣).

وقال ابن عثيمين: ويدل الحديث على أن الإنسان إذا قدم إليه الطعام فلا يأكل من أعلاه بل يأكل من الجانب، وإذا كان معه جماعة فليأكل مما يليه ولا يأكل مما يلي غيره، ويدل الحديث على أن الإنسان إذا أكل من أعلاه - أي من الوسط - نزعت البركة من الطعام"(٤).

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٦٥/٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦١٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٠٦٥/٢.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر والنهي:

١- الأمر: حيث جاء في الحديث: (فكلوا من حافيته)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو أهمية المأمور به وضرورة الالتزام به، ومن صور استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]. وفي الحديث أمر النبي ﷺ بالأكل من حافة الطعام.

٢- النهي: حيث جاء في الحديث: (ولا تأكلوا من وسطه)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو خطورة المنهي عنه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[4]، وقوله جلّ شانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[5]. وفي الحديث نهى النبي ﷺ عن الأكل من وسط الطعام لأن البركة تنزل في وسطه.

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان الأمور النافعة للمدعوين:

حيث جاء في الحديث: (البركة تنزل وسط الطعام)، ولا شك أن من أهم واجبات الداعية أن يبين الأمور النافعة للمدعوين، لأن الداعية دائمًا مصدر نفع وخير على كل من حوله، وهو دائمًا يرشد إلى الصالح والطيب والنافع، قال الله تعالى واصفًا الرسول ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[6].

---

(١) سورة المزمل، آية: ١٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٨٥.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

وهذا شأن الداعي إلى الله دائمًا أن يحرص على نفع المدعوين وإرشادهم إلى الخير، "إن دعوة الإسلام تدعو الناس جميعًا إلى الفطرة، لتشركهم في خير الإسلام ونعمه وعطاياه، فهي دعوة النصح للناس وحب الخير لهم وتمني هداتيهم، بعد توضيح الطريق لهم على أساس من العلم والحكمة، وهذه سمات تختص بها دعوة الإسلام القائمة على النصيحة التي أساسها الإيمان الصحيح بالله تعالى دون غيرها من الدعوات الأخرى، ويبرز دور النصيحة في الدعوة إلى الله من خلال إشفاق الداعية على المدعو، لأن النصيحة ثمرة الإيمان، والإيمان يقتضي حب الخير للناس والسعي فيه بالقول والعمل قدر الاستطاعة، وبالتالي تتم الدعوة إذا اتسمت بالنصح بأنسب الأساليب، ويراعى فيها حال المنصوح أو من توجه إليه دعوة الخير، وهذا أدعى إلى قبول الدعوة وأعون على نجاحها فحرص الداعي على خير المدعو من شأنه أن يؤلف القلوب ويجمع شتاتها، ويجعلها تتفتح للخير إذا أراد الله لها الهداية"[1].

(١) النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة، الباز محمد عبدالفتاح الدميري ص ٢٢١ - ٢٢٢.

الحديث رقم (٧٤٥)

٧٤٥- وعن عبد الله بن بُسْرٍ ﷺ ، قَالَ: كَانَ للنَّبِيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا: الغَرَّاءُ يَحْمِلُهَا أرْبَعَةُ رجالٍ؛ فَلَمَّا أضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِيَ بِتِلْكَ القَصْعَةِ؛ يعني وَقَدْ ثُرِدَ فيهَا ، فَالتَفُّوا عَلَيْهَا ، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رسولُ الله ﷺ. فَقَالَ أعرابيٌّ: مَا هذِهِ الجِلْسَةُ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا))، ثُمَّ قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فِيهَا)) رواه أبُو داود[1] بإسنادٍ جيد.

"ذِرْوَتَهَا": أعلاها: بكسر الذال وضمها.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن بُسْر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٨).

غريب الألفاظ:

القصعة: وعاء يؤكل فيه[2].

الغراء: تأنيث الأغرّ بمعنى: الأبيض الأنور[3].

أضحوا: دخلوا في الضحى[4].

وسجدوا الضحى: صلوا الضحى[5].

ثُرِدَ فيها: فَتُّ الخبز فيها[6].

جثا: جلس على ركبتيه من جهة ضيق المكان توسعة على الإخوان[7].

ذروتها: أعلاها[8].

---

(١) برقم (٣٧٦٧). وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٤١/٩): إسناده حسن. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٤٠).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ص ع).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦١٩.

(٤) المرجع السابق ١٦١٩.

(٥) المرجع السابق ١٦١٩.

(٦) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ث ر د).

(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦١٩.

(٨) رياض الصالحين ٣١٩.

الشرح الأدبي

قوله: (يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ) كناية عن اتساعها مما يدل على كرمه ﷺ وإن كان كرمه لا يحتاج إلى دليل، وقوله (جثا رسول الله ﷺ) أي جلس على ركبتيه تواضعاً منه ﷺ وعلى جهة التوسعة لأصحابه يدل على ذلك قول الراوي (فلما كثروا) وقول الأعرابي: (ما هذا الجلسة؟) استفهام ظاهره تحقير الجلسة كأنه يجلُّ الرسول ﷺ عنها - يرى أن مقامه أعظم من أن يجلس هذه الجلسة - وهو ما يدلُّ عليه ردُّ النبي ﷺ (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا) فقد أكَّد العبارة بعدة مؤكدات منها: حرف التوكيد، واسمية الجملة، ثم بنفي ضد ما أثبت في قوله (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا) أي: جعلني متواضعاً حَسن الأخلاق كريم الطباع، ولذلك نكَّر كلمة (عبد) وتعبيره بعبد يشير إلى منتهى تواضعه، ودماسة خلقه ﷺ، وقوله (كلوا من حواليها) أمر توجيه، وإرشاد لما يحقق البركه، ومن براعته ﷺ أنه قابل الجمع (كلوا) بالجمع (حواليها) ولم يقل حولها بالإفراد إشارة إلى ضرورة إلتزام كل واحد منهم بالأكل مما يليه، ثم أكَّد جملة الأمر بالأمر بترك ضدها، ورغَّبهم في إتيان ما أمَر بالفعل المجزوم في جواب الطلب (يبارك فيها).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان كرم النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام.

ثالثًا: من صفات الداعية: التواضع وعدم الترفع.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان كرم النبي ﷺ:

حيث جاء في الحديث: (كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها: الغراء يحملها أربعة رجال)، وهذا يدل على كرم النبي ﷺ وجوده، قال القاضي عياض: "وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة والإنفاق وطيب النفس فكان ﷺ لا يُوازَى في هذه

الأخلاق الكريمة ولا يبارى، بهذا وصفه كل من عرفه"[١].

وقد جاء في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: ((مَا سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ شَيْءٍ قَطُّ، فَقَالَ: لاَ))[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خَبٌّ لَئِيمٌ))[٣].

وقد جاء في الحديث أيضًا ما يبين كرم النبي صلى الله عليه وسلم، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: بينما هوَ يسيرُ معَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناسُ، مَقفَلَهُ من حُنَينٍ، فَعَلِقَتِ الناسُ يسألونَه حتّى اضطرّوه إلى سَمُرَةٍ فخطِفَتْ رداءه فوقفَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: ((أَعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذهِ العِضاهِ نَعمًا لقَسمتهُ بينكم، ثمّ لا تجدوني بَخيلاً ولا كذوبًا ولا جَبانًا))[٤]، وجاء عن ابن أبي الدنيا: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (ما رأيت أحدًا أجود ولا أنجد ولا أشجع ولا أوفى من رسول الله، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ألين الناس وأكرم الناس وكان رجلا من رجالكم، إلا أنه كان ضحاكًا بسامًا)[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام:

حيث جاء في الحديث: (فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ولا شك أنه بالاجتماع على الطعام تكون البركة فيه، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاِثْنَيْنِ. وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ. وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ))[٦]، قال ابن قدامة: "ومن آداب الطعام يجتهد المرء في تكثير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده"[٧]، ومما هو معلوم أن استحباب الاجتماع على الطعام؛

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/١٨٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٧٩٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٠٦).

(٤) أخرجه البخاري ٢٨٢١.

(٥) مكارم الأخلاق ٢٥٦.

(٦) أخرجه مسلم ٢٠٥٩.

(٧) مختصر منهاج القاصدين ٧٧.

لأنه سبب لحلول البركة فيه، وكلما زاد عدد الآكلين زادت البركة، قال ابن حجر: "وعند الطبراني من حديث ابن عمر ما يرشد إلى العلة في ذلك وأوله: (كلوا جميعًا ولا تفترقوا فإن طعام الواحد يكفي الاثنين)، فيؤخذ منه أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع، وأن الجمع كلما كثر ازدادت البركة"[١].

ثالثًا - من صفات الداعية: التواضع وعدم الترفع:

حيث جاء في الحديث: (إن الله جعلني عبدًا كريمًا ولم يجعلني جبارًا عنيدًا)، قال الطيبي: "وفي سؤال الأعرابي: ما هذه الجلسة؟ كأنه استحقرها، ورفع منزلته عن مثلها فأجاب صلوات الله وسلامه عليه أن هذه جلسة تواضع لا حقارة ولذلك وصف نفسه بقوله: عبدًا كريمًا"[٢]، ولا شك أن صفة التواضع من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٤].

وجاء في الحديث عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللّٰهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ))[٥]، وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال: ((ألا أُخبِرُكم بأهل الجنَّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتَضعَّفٍ لو أقسَمَ على الله لأبرَّه. ألا أخبِرُكم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستكبِرٍ))[٦]. ولا غرو "فالتواضع يجعل الداعية محبوبًا في قومه وبيئته، ذا أثر فعال بينهم، وقوامه عليهم صفة التواضع وخفض الجناح، فالكبر يشكل جدارًا حاجزًا بين

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٦/٩.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٨/٨.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٥٦.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٧١ واللفظ له، ومسلم ٢٨٥٣.

الداعية والمدعوين، بل ويجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه، غير مألوف ممن حوله"[1].

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

إن من أهم أساليب الدعوة السؤال والجواب، لما له من قيمة تاثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممّن وجهوها لهم، والشاهد على ذلك: فقال الأعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال رسول الله ﷺ إن الله جعلني ..."[2].

(١) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٠.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة ٢/٥٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النظام والنظافة والجمال من القيم الإسلامية التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم في عاداته وتقاليده وسلوكه، فإذا خالف الإنسان في ذلك وجب أن يوجه ويرشد، وهذا ما فعله الرسول ﷺ في منهجه التربوي الوارد في أحاديث الباب على النحو التالي:

أولاً-الإرشاد إلى آداب الأكل:

إن من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية الإرشاد والتوجيه إلى آداب الأكل لما في ذلك من الآداب الاجتماعية، ومما جاء في حديثي الباب يرشد إلى هذا قوله ﷺ "البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه" وكذلك حديث عبدالله بن بسر رضي الله عنه وفيه "... ثم قال رسول الله ﷺ: كلوا من حواليها، ودعوا ذروتها يبارك فيه".

ففي هذين الحديثين أرشد النبي ﷺ إلى أحد آداب الأكل وهو الأكل من حافة الإناء لا من وسطه لما في ذلك من المنفعة الحاصلة للآكلين وهي حصول البركة في الطعام.

(وخص الوسط بنزول البركة لأنه أعدل المواضع، وعلة النهي حتى لا يحرم الآكل البركة التي تحل في وسطه، وقد يُلحق به ما إذا كان الآكلون جماعة، فإن المتقدم منهم إلى وسط الطعام قبل حافته قد أساء الأدب معهم، واستأثر لنفسه بالطيب دونهم)[1].

ثانيًا-التربية بالمواقف والأحداث:

إن المواقف والأحداث من الأهمية بمكان في العملية التربوية ذلك أنه بتعدد المواقف والأحداث تتعدد الدروس والتوجيهات التربوية إضافة إلى أن الموقف والحدث يكون راسخًا في الذهن مما يساعد على نجاح العملية التربوية، ومما جاء في حديثي الباب

---

(١) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٥٩.

يدلل على التربية بالحدث والموقف حديث عبدالله بن بُسر ﵁ قال: كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتى بتلك القصعة - يعني وقد ثُرد فيها - فالتفوا عليها، فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ فقال أعرابي ما هذه الجلسة؟ قال رسول الله ﷺ: إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا...".

فمن خلال هذا الموقف والحدث أعطى النبي ﷺ درسًا تربويًا في التواضع والبساطة.

(إن الناس يتعرضون في حياتهم دومًا للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومزية الأحداث كأسلوب تربوي أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال فيكون من الحكمة هنا استخدام الدواء عند حدوث الداء، والحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو الطَرْقُ والحديد ساخن حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى)[1].

إن واجب المربين استغلال المواقف والأحداث في غرس القيم والمبادئ التربوية التي تسهم في صلاح حال الفرد والمجتمع على حدٍ سواء (فلا شك أن من طرق التربية الفعالة التربية بالأحداث أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين، وميزة هذا التوجيه وهذا التغير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب)[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٦، ٤٤٧.

ثالثًا-إيجابية المتربي:

إن من الأهداف العامة للتربية الإسلامية إيجاد الإيجابية عند المتربي، وذلك بأن يكون شريكًا في العملية التربوية، وهذا يتحقق من خلال مشاركته بالسؤال والاستفسار عما يجهل، وعما لا يفهم، ومما يشير إلى ذلك من حديثي الباب ما جاء في حديث عبدالله بن بسر ﷺ وفيه "... فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ قال رسول الله ﷺ: إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا، ثم قال رسول الله ﷺ كلوا من حواليها ودعوا ذروتها يبارك فيه".

ففي هذا الحديث كانت المشاركة من الأعرابي بالسؤال عن جلسة النبي ﷺ، ومن خلال هذه المشاركة بيّن النبي ﷺ أنه عبد كريم وليس بجبار عنيد، وأضاف النبي ﷺ قيمة تربوية بالإرشاد إلى الأكل من جوانب القصعة وترك ذروتها لتحل البركة في الطعام.

(إن السؤال مفتاح العلم، قال ابن شهاب: العلم خزائن ومفتاحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فإنما يؤجر في العلم ثلاثة: القائل والمستمع والآخذ، وجاء عن ابن عمر ﷺ: حسن السؤال نصف العلم.

وقال الأندلسي: من السنة أن من سمع شيئًا لا يعرفه فليراجع فيه حتى يعرفه ليتبين حقه من باطله، لأنه قد يكون فيه مصلحة لا يعرفها فيكون رده وجهله سببًا لحرمانه من تلك المنفعة، ولذلك قال السادة العلماء: من جهل شيئًا عاداه، وكان الرسول ﷺ يحض أصحابه على فهم أمور دينهم فيأمرهم أن يسألوا عما يجهلونه، ويمنعهم أن يفتوا من غير علم، وقيل لابن عباس ﷺ: بم نلت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول)[1].

إن المتربي ينبغي أن يكون إيجابيًا، ولا يكتفي بالتلقي والتلقين، ولكن يحرص على السؤال والاستفادة من المربي الذي أمامه.

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان ص ٢٢٥، ٢٣٦.

(إن كل إنسان في هذه الحياة له طاقات معينة، وبالتالي فإن معارفه محدودة ولن يحيط بكل شيء، ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال، وللسؤال مزايا متعددة من توفير الجهد والوقت والمال كما أن فيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين خاصة إذا كان المسؤول من أهل الخبرة والاختصاص، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] ولما كان الأمر كذلك فلا ينبغي للعاقل التردد في السؤال والسكوت عن الجهل حتى لا يحدث ما لا تُحمَد عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل، وسكوت الإنسان على جهله قد يكلفه غير قليل من تجارب فاشلة ومن آلام ومتاعب لأنه لو عرف الإجابة الموفقة لضمن لنفسه العمل السليم أو السلوك الصائب لاسيما في أمور تتصل بالمحاولة والخطأ والتجريب)[2].



(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد ص ١٢٣، ١٢٤.

١٠٨- باب كراهية الأكل متكئًا

الحديث رقم (٧٤٦)

٧٤٦- عن أَبِي جُحَيْفَةَ وَهْبِ بن عبد الله ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**لاَ آكُلُ مُتَّكِئًا**)) رواه البخاري[1].

قال الخطابي: المُتَكِىءُ هنا: هو الجالس معتمداً على وِطاءٍ تحته. قال: وأراد أنه لا يقعد على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الإكثار من الطعام، بل يقعد مُسْتَوفزًا لا مستوطِئًا، ويأكل بُلغَةً. هذا كلام الخطابي، وأشار غيره إلى أن المتكئ هو المائل على جنبه، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو جُحَيفة السُّوائي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٩).

غريب الألفاظ:

لا آكل متكئًا: المتكئ ههنا: هو الجالس على وطاء تحته، أي: أنه لا يقعد على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الإكثار من الطعام[2].

الشرح الأدبي

من تواضعه ﷺ أنه كان لا يأكل متكأً والاتكاء: مُخْتَلفُ فِي صِفَته، قِيلَ أَنْ يَتَمَكَّن فِي الْجُلُوس لِلأَكْلِ عَلَى أَيِّ صِفَة كَانَ، وَقِيلَ أَنْ يَمِيلَ عَلَى أَحَد شِقَّيْهِ، وَقِيلَ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى يَده الْيُسْرَى مِنْ الأَرْض قَالَ الْخَطَّابِيُّ: تَحْسَب الْعَامَّة أَنَّ الْمُتَّكِئَ هُوَ الآكِل عَلَى أَحَد شِقَّيْهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ الْمُعْتَمِد عَلَى الْوِطَاء الَّذِي تَحْته. قَالَ وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنِّي لا أَقْعُد مُتَّكِئًا عَلَى الْوِطَاء عِنْدَ الأَكْلِ فِعْلَ مَنْ يَسْتَكْثِر مِنْ الطَّعَام فَإِنِّي

(١) برقم (٥٣٩٨).

(٢) رياض الصالحين ٣١٩.

لا آكُل إلاَّ البُلْغَة مِنْ الزَّاد ، فَلِذَلِكَ أَقْعُد مُسْتَوْفِزًا) [١] فالسر في كراهيته للأكل متكأً يرجع إلى أنها جلسة فيها تكبر أو أنها جلسة المستكثر من الطعام الذي يتهيأ له والرسول ﷺ لم يكن هذا ولا ذاك بل كان طعامه للضرورة وما ملأ بطنه من طعام قط وأحاديث الباب فيها دلالة على ذلك وقوله (لا آكل متكئاً) أسلوب خبري فيه أدب في عرض النصيحة ما لم تكن فرضاً فمن اقتدى به في هذه الفضائل فله الأجر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ في الأكل.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ.

أولاً – من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث "لا آكل متكئًا" وهذا إخبار بهيئة النبي ﷺ حال الأكل وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تقيم الحجة على المدعوين، وبه يعرفون هدي النبي ﷺ في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه وجميع أموره. فيطالبون بالالتزام بما أخبروا به من هدي النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [٢] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [٣] والدعاة إلى الله مطالبون باتباع أسلوب الإخبار لتعريف المدعوين بحقائق هذا الدين، وبيان هدي سيد المرسلين، وجميع أخبار القرآن والسنة الصحيحة كلها صادقة، فيجب أن يعتمد عليها الدعاة، لأن مصداقية الخبر من أولى الخطوات المهمة لتبليغ الدعوة وإقناع المدعوين بها.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي حديث (٣٢٧٧).

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ في الأكل:

حيث جاء في الحديث "لا آكل متكئًا" وهذا بيان لهيئة النبي ﷺ في الأكل قال ابن حجر: (واختلف في صفة الاتكاء، فقيل أن يتمكن في الجلوس للأكل على أي صفة كان، وقيل أن يميل على أحد شقيه، وقيل أن يعتمد على اليسرى من الأرض وقال الخطابي: تحسب العامة أن المتكئ هو الآكل على أحد شقيه وليس كذلك، بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته، وإذا ثبت كونه مكروهًا أو خلاف الأولى فالمستحب في صفة الجلوس للآكل أن يكون جاثيًا على ركبتيه وظهور قدميه، أو ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى)[1]. وأما السبب في علة الكراهة في الأكل متكئًا فقد قال المباركفوري: (جاء من طريق إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون أن يأكلوا اتكاءً مخافة أن تعظم بطونهم)[2].

وقال ابن عثيمين: (وليس من هدي النبي ﷺ أن يأكل الإنسان متكئًا، إما على اليد اليمنى أو على اليد اليسرى، وذلك؛ لأن الاتكاء يدل على غطرسة وكبرياء وهذا معنى نفسي، ولأنه إذا أكل متكئًا يتضرر حيث يكون مجرى الطعام متمايلاً ليس مستقيمًا، فلا يكون على طبيعته، فربما حصل في مجاري الطعام أضرار من ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ "لا آكل متكئًا" يعني ليس من هديي أن آكل متكئًا)[3]. قال الدكتور الحسيني هاشم: (احترام الأكل مطلوب، وعدم الاعتدال عند تناوله من شأن المستهترين، وقد كان هذا حال رسول الله ﷺ، وما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين من الاعتدال عند تناوله واحترامه والاعتناء به)[4].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ:

ويتضح هذا من سياق الحديث، وإذا كان من هديه ﷺ أن لا يأكل متكئًا،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٤٥٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٢/١٥٧٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٦٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤٤٥.

فمن آداب المدعو أن يلتزم بالاقتداء بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

قال ابن كثير: (أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر، واتقوا الله في امتثال أوامره وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه، وارتكب ما عنه زجره ونهاه)[3].

وقال السعدي: (والأسوة الحسنة في الرسول ﷺ فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ)[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨، ٦٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٨.

الحديث رقم (٧٤٧)

٧٤٧- وعن أنس ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ رسول الله ﷺ (جَالِسًا) [١] مُقْعِيًا يَأكُلُ تَمْرًا. رواه مسلم[٢].

"المُقْعِي": هو الذي يُلصق أليَتَيه بالأرض، ويَنْصبُ سَاقيه.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

المقعي هو الذي يلصق إليته بالأرض، ويرفع ساقيه وهي جلسة من جلسات التواضع والوقار بالإضافة إلى أنها جلسة من لا يريد أن يملأ معدته.

وقول أنس ﷺ (رأيت النبي ﷺ) الرؤية من أقوى طرق العلم، ورأى هنا بصرية بمعنى أبصرته وهذا تأكيد لصحة ما سيقول، ونقل هذه المواقف عنه ﷺ تعليم للأمة، وبيان لشرائع الله خلال السنن القولية، والفعلية لأنه ﷺ لا يصدر في أقواله وأفعله إلا عن وحي، وجملة (يأكل تمراً) تنبيء عن تواضعه وعن رقة حاله وقلة ذات يده والفعل المضارع يستحضر الصورة، صورة فقير متواضع يتناول تمرات ينفض عنها رمل الصحراء هو في جوهره، وحقيقته خير الأولين، والآخرين، وأحب خلق الله إليه، أتراك هل أدركت جانباً من سر هذه الأفضلية.

المضامين الدعوية

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على تتبع أحوال النبي ﷺ ونقلها.

ثانيًا- من صفات النبي ﷺ: التواضع.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على تتبع أحوال النبي ﷺ ونقلها:

يتضح هذا من الحديث "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا" قال القاضي عياض:

---

(١) (جالسًا) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (٢٠٤٤/١٤٨).

(والإقعاء: جلسة المستوفز على أطراف إليتيه وهذا هو تفسير قوله: "أما أنا فلا آكل متكئًا" ومعناه: أي لا آكل أكل من يريد الاستكثار من الأطعمة، ويتمكن للقعود لها بل يقعد مستوفزًا وعند بعضهم الإقعاء: الاتكاء على الجانب، وهو تأويل أكثر الناس وعلته عندهم وجهان:

أحدهما: أنه من شيم أهل الكبر والترفه.

الثاني: يخشى ضرره لأجل ضغط مجاري الطعام بضغط الجانب والأضلاع بالاتكاء)[1]. قال النووي: (وقوله "مقعيًا" أي جالسًا على إليتيه ناصبًا ساقيه، وهي جلسة من لا يريد الاستكثار من الطعام ويقعد متمكنًا له، بل يقعد مستوفزًا ويأكل قليلاً)[2]. وقال ابن عثيمين: (والإقعاء أن ينصب قدميه ويجلس على عقبيه، وإنما أكل النبي ﷺ كذلك، لئلا يستقر في الجلسة فيأكل كثيرًا، ولاشك أن إكثار الطعام لا ينبغي فمن أسباب تقليل الأكل ألا يستقر الإنسان في جلسته، وألا يكون مطمئنًا الطمأنينة الكاملة)[3].

وما من شك في أن وصف أنس رضي الله عنه لهيئة جلوس النبي ﷺ دليل على حرصه على تتبع أحواله ونقلها لنا، ذلك لأن رسول الله ﷺ هو الأسوة والقدوة في جميع أموره وأحواله، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4] وحذر الله تعالى من مخالفة هديه فقال جلّ شأنه: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٢٧/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٩٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٦٧/٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة النور، آية: ٦٣.

ثانيًا- من صفات النبي ﷺ: التواضع:

حيث جاء في الحديث "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا يأكل تمرًا" ولاشك أن هذا يدل على كمال تواضعه ﷺ قال القرطبي: (والإقعاء: جلسة المستوفز على أطراف إليتيه مأخوذ من إقعاء السبع، وإنما كان يأكل كذلك لعدم نَهَمِهِ، وقلة مبالاته بأكله، إذ لم تكن همته فيما يجعل في بطنه، وإنما كان يأكل القليل من الطعام عند الحاجة وعلى جهة التواضع)[1].

وقال محمد تقي العثماني: (والإقعاء هيئة متواضعة للجلوس، وعلل الأكثرون الإقعاء بأنه كان تواضعًا منه ﷺ واستعجالاً للفراغ من الأكل، ليتوجه بعد ذلك إلى شغله،ودل الحديث على أن المرء ينبغي له أن يجلس على الطعام جلوسًا متواضعًا ويجتنب هيئة المتكبرين)[2].

قال القاضي عياض: (وأما تواضعه ﷺ على علو منصبه ورفعة شأنه فكان أشد الناس تواضعًا، وأعدمهم كبرًا، وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيًا ملكًا، أو نبيًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا)[3]. وقد أمره الله بالتواضع، فقال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] وقال جلّ شأنه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[5] ومن تواضعه ﷺ أنه نهى عن مدحه وإطرائه فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: ((لا تُطْروني كما أطرَتِ النصارَى ابنَ مريمَ، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد اللهِ ورسوله))[6].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٣١٥.

(٢) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ١٠/٤٢-٤٣.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/١٩١.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٦) أخرجه البخاري ٣٤٤٥.

والدعاة إلى الله أحوج الناس إلى خلق التواضع، لأنهم يخالطون الناس ويدعونهم إلى الحق، والناس لا يتقلبون دعوة أو قول من يتطاول عليهم بعلم أو معرفة، لأن قلوب الناس جبلت على حب من أحسن إليها بالتواضع وسماحة النفس، والنفور ممن يتكبر عليها فلا يتقبلون له دعوة ولا يأخذون عنه إرشادًا، ولقد كان من أهداف دعوته ﷺ: القضاء على نزعة التكبر والاستعلاء التي فشت في العالم، وعلى الداعي الناجح أن يجعل من رسول الله ﷺ أسوة حسنة في الاقتداء في جميع خصاله الكريمة[1].

(١) الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البارودي ص ٢٤٣ - ١٤٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النعم تقابل بالشكر والاحترام والتقدير، والقدرة على تناول الطعام نعمة حرص الرسول ﷺ على التعامل معها بما يناسبها، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي.

أولاً-تعليم آداب الجلوس على الطعام:

إن من الآداب التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين وتعليمها لهم تعليمهم آداب الجلوس على الطعام، لما في ذلك من حسن الأدب والتواضع، ومما جاء في حديثي الباب يشير إلى ذلك قوله ﷺ "لا آكل متكئًا" وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا يأكل تمرًا".

ففي هذين الحديثين بيان لبعض آداب الجلوس على الطعام التي ينبغي أن يلتزم بها المتربي.

قال ابن مفلح المقدسي: (ومن آداب الطعام أن لا يأكل إلا مطمئنًا وقوله ﷺ "أما أنا فلا آكل متكئًا" أي لا آكل أكل راغب في الدنيا متمكن، بل آكل بحسب الحاجة، وقد فسر ذلك بالتربيع لما فيه من التجبر، وفسر الاتكاء بالميل على الجنب والإسناد إلى شيء وهذا هو المتبادر إلى الفهم عرفًا، وهو يضر من جهة الطب لتغير الأعضاء والمعدة عن الوضع الطبيعي ولا يصل الغذاء بسهولة، وقال ابن هبيرة: (أكل الرجل متكئًا يدل على استخفافه بنعمة الله تعالى فيما قدمه بين يديه من رزقه، وفيما يراه الله من ذلك على ما تناوله، ويخالف عوائد الناس عند أكلهم الطعام من الجلوس إلى أن يتكئ فإن هذا يجمع بين سوء الأدب والجهل واحتقار النعمة، ولأنه إذا كان متكئًا لا يصل الغذاء إلى قعر المعدة الذي هو محل الهضم فلذلك لم يفعله النبي ﷺ ونبه على كراهته.

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأبي عبدالله: تكره الأكل متكئًا؟ قال: أليس قال النبي ﷺ: لا آكل متكئًا. قال في المستوعب إن من آداب الأكل أن لا يأكل

متكئًا ولا منبطحًا، ولا يأكل إلا مطمئنًا)[١].

وقال ابن القيم: (ومن هديه ﷺ في هيئة الجلوس للأكل أنه ﷺ كان يأكل وهو مقع، ويُذكر عنه أنه كان يجلس للأكل متوركًا على ركبتيه، ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعًا لربه عز وجل)[٢].

والحاصل أنه يجب على المتربي أن يعرف آداب الجلوس على الطعام وأن يجلس مطمئنًا (ومن آداب الطعام عدم الجلوس متكئًا فليس من هدي النبي ﷺ أن يأكل متكئًا على اليد اليمنى أو على اليد اليسرى، قال ابن عثيمين: وذلك لأن الاتكاء يدل على غطرسة وكبرياء وهذا معنى نفسي، ولأنه إذا أكل متكئًا يتضرر حيث يكون مجرى الطعام متمايلاً ليس مستقيمًا فلا يكون على طبيعته فالإقعاء أن ينصب قدميه ويجلس على عقبيه هذا هو الإقعاء، وإنما كان يأكل النبي ﷺ كذلك لئلا يستقر في الجلسة فيأكل أكلاً كثيرًا لأن الغالب أن الإنسان إذا كان مقعيًا لا يكون مطمئنًا في الجلوس فلا يأكل كثيرًا، قال: و الحاصل: أن عندنا جلستين: الجلسة الأولى الاتكاء وهذه ليست من هدي النبي ﷺ أن يأكل متكئًا، وكل أنواع الجلوس الباقية جائزة)[٣].

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

إن الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي لما يدعو ويوجه إليه مما يزيد في قناعة المتربي بما هو مأمور به ومنهي عنه، ومما جاء في حديثي الباب يدلل على هذا الأسلوب حديث أنس رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا يأكل تمرًا".

ففي هذا الحديث التطبيق العملي والممارسة الفعلية لعدم الجلوس على الطعام متكئًا.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٦٩/٣، ١٧٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٢١/٤.

(٣) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ٤٥٣/١.

(إن أسلوب الممارسة العملية يعد من الأساليب التربوية الناجحة والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج، وشعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل، وحب العمل واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتواكل. ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلام دين عمل شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران ويطالب الدين الإسلام كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشؤون الحياة الدنيا)[1].

هذا وواجب المربي الناجح الاهتمام بالتطبيق والممارسة العملية أكثر من قوله حيث إن للممارسة العملية أثرًا بالغًا في نجاح العملية التربوية وفي توجيه المتربي وإرشاده.



(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

١٠٩- باب استحباب الأكل بثلاث أصابع

واستحباب لعق الأصابع، وكراهة مسحها قبل لعقها

واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة الّتي تسقط منه وأكلها وجواز مسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها

الحديث رقم (٧٤٨)

٧٤٨- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا أكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلاَ يَمْسَحْ أَصَابِعَهُ[1] حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

التواضع خلق عالٍ رفيع يربي الإسلام أفراده عليه، لأن مقابله، وهو الكبر يحرم صاحبه دخول الجنة بأقل القليل منه كما أن صاحبه يكون مكروهاً ممن حوله في الدنيا فهو بهذا الخلق في نار قبل النار، وهذا الحديث فيه صورة من صور البساطة والتواضع التي يتربى عليها المسلم، وهي لعق الأصابع، والمعنى فيه مبني على أسلوب الشرط المنبيء بقوة اتصال الجمل، فالجملة الثانية تتحقق بتحقق الأولى وتنتفي بانتفاءها، وهو ما يجعل جملتي الشرط كالجملة الواحدة، وقد استخدم أداة الشرط (إذا) التي تشير إلى تحقق الوقوع؛ لأن الأكل أمر معتاد، وفعل الشرط في الماضي (أكل) ودخول إذا عليه يُمَحِّضَه للاستقبال، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وجملة الجواب (فلا

(١) عندهما بلفظ: (يده). والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤٥٦، ومسلم ١٢٩/ ٢٠٣١ واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٩٣.

يمسح أصابعه) الفاء في جواب الشرط، ولا ناهية، والمنهي عنه المسح المؤقت بـ (حتى) الدالة على بلوغ الغاية، وهي لعق الأصابع؛ لأن ما فيها جزء من الطعام، ولا يدري في أي طعامه البركة، بالاضافة إلى أن فيه رياضة النفس على خلق التواضع، وقوله (أو يُلعقها) أي غيره، و (أو) هنا للتخيير، وهذه أكثر ترويضاً للنفس على التواضع من لعقها بنفسه، بالإضافة إلى أن فيها نوعاً من التآلف بين المؤمنين، وما أعمقها من معانٍ لو فطن إليها المسلمون.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[1] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- الأكل بثلاثة أصابع: السنة الأكل بثلاثة أصابع، ويكره الأكل بأكثر منها، لأنه من الشره، وسوء الأدب، ولأنه غير مضطر لذلك لجمعه اللقمة، وإمساكها من جهاتها الثلاث، إلا أن يضطر إلى الأكل بأكثر من ثلاثة أصابع، لخفة الطعام مثلاً، وعدم تلفيقه بالثلاث، فيدعمه بالرابعة أو الخامسة[2]. هذا إن أكل بيده ولا بأس باستعمال الملعقة ونحوها[3].

٢- أكل اللقمة الساقطة: يستحب عند جمهور الفقهاء إذا وقعت اللقمة أن يميط الآكل عنها الأذى، ويأكلها، ما لم تتنجس، ولا يدعها للشيطان، لأنه لا يدري موضع البركة في طعامه، وقد يفوّت تركها على المرء بركة الطعام. فإن تنجست غسلها، فإن تعذر أطعمها حيوانًا ولا يتركها للشيطان.

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن ابي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٢/٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٧/٥.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢١/٦.

بينما ذهب ابن حزم إلى وجوب ذلك[١].

٣- لعق الإناء والأصابع: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه من السنة للآكل لعق أصابعه قبل غسلها، أو مسحها، تحصيلاً لبركة الطعام، وكذلك يسن له لعق الإناء وتتبع ما بقي فيه من طعام[٢].

وهل للعق الأصابع صفة واردة؟

ورد عند الطبراني في الأوسط من حديث كعب بن عجرة قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث، الإبهام والتي تليها والوسطى، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها، ويلعق الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام[٣].

وذهب ابن حزم إلى وجوب ذلك كله[٤].

وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (٦٠٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل لعق الأصابع بعد الفراغ من الأكل.

ثالثًا: من آداب الداعي: بيان الأمور النافعة للمدعوين.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

النهي من الأساليب الدعوية التي يكون بها حمل المدعو على اجتناب الأمر المنهي

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٩٢/٢٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٢/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٢/٥، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٦٨/٩، والمحلى، ابن حزم ١١٧/٦.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٩٢/٢٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٢/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٢/٥، وشرح منتهى الإردات ٦٨/٩.

(٣) المعجم الأوسط ١٦٩/٦، ١٧٠٩. وقال الهيثمي: فيه الحسين بن إبراهيم الأذني ومحمد بن كعب بن عجرة، ولم أعرفهما رجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن أبي بكر الهيثمي ٢٩/٥.

(٤) المحلى، ابن حزم ١١٧/٦.

عنه، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ "...، فلا يمسح أصابعه حتى يلعقها أو يُلعقها"، وما النهي في ذلك إلا لعظيم الفائدة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل لعق الأصابع بعد الفراغ من الأكل:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "...، فلا يمسح أصابعه حتى يلعقها أو يُلعقها" قال النووي في قوله ﷺ "يلعقها أو يلعقها": (معناه: والله أعلم: لا يمسح يده حتى يلعقها، فإن لم يفعل فحتى يلعقها غيره ممن لا يتقذر ذلك كزوجه وجارية وولد وخادم يحبونه ويلتذون بذلك ولا يتقذرون... وكذا لو ألعقها شاة ونحوه والله أعلم)(١).

وقال ابن حجر: (وفي الحديث رد على من كره لعق الأصابع استقذارًا، نعم يحصل ذلك لو فعله في أثناء الأكل لأنه يعيد أصابعه في الطعام وعليها أثر ريقه، قال الخطابي: عاب قوم أفسد عقلهم الترفه فزعموا أن لعق الأصابع مستقبح، كأنهم لم يعلموا أن الطعام الذي علق بالأصابع أو الصحفة جزء من أجزاء ما أكلوه، وإذا لم يكن سائر أجزائه مستقذرًا لم يكن الجزء اليسير منه مستقذرًا، وليس في ذلك أكبر من مصه أصابعه بباطن شفتيه. ولا يشك عاقل في أن لا بأس بذلك، فقد يمضمض الإنسان فيدخل إصبعه في فيه فيدلك أسنانه وباطن فمه، ثم لم يقل أحد إن ذلك قذارة أو سوء أدب)(٢).

وقد بين النبي ﷺ فضل لعق الأصابع بعد الأكل فقال: ((فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ. فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ))(٣).

قال النووي: (معناه والله أعلم: إن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة ولا يدري أي تلك البركة فيما أكله أو فيما بقي على أصابعه... فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصل البركة، وأصل البركة: الزيادة وثبوت الخير والامتاع به، "والمراد" هنا والله أعلم ما يحصل به التغذية وتسلم عاقبته من أذى، ويقوي على طاعة الله تعالى وغير

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٤٩١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٣٣.

ذلك)[1]. وقال ابن حجر: (قد أبدى عياض علة أخرى فقال: إنما أمر بذلك لئلا يتهاون بقليل الطعام)[2].

ثالثًا – من آداب الداعي: بيان الأمور النافعة للمدعوين:

هذا ما يستفاد في الحديث من إرشاده ﷺ إلى ما فيه نفع وخير للأمة وذلك من قوله "فلا يمسح أصابعه حتى يلعقها أو يُلعقها" لما في ذلك من فضل عظيم كما سبق وبينا، فعلى الداعية أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ في ذلك ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[3] (وفي هذه الآية دليل على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ، وأن الأصل أن أمته تتخذه أسوة في الأحكام...، وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو الله واليوم الآخر)[4]، وهذا فضلاً عن عظم أجر الداعية إلى ذلك، فقد قال ﷺ ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[5]، وقال ((وَمَنْ دَعَا إلى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[6]، فعلى الداعية أن يحرص على بيان الأمور النافعة للمدعوين لما في ذلك من عظيم الأجر والفائدة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩١/٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٩.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٦) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

الحديث رقم (٧٤٩)

٧٤٩- وعن كعب بن مالك ﷺ، قَالَ: رأيتُ[1] رسولَ الله ﷺ يَأكُلُ بثَلاَثِ أصابعَ، فإذا فَرَغَ لَعِقَهَا. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

كعب بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

وهذا الحديث كسابقه في بيان فضل لعق الأصابع ما بين تحقيق البركة، وبين توطين النفس على التواضع المشعر بشكر النعمة وحمد المنعم، وهذا الحديث يقرر بالسنة الفعلية هذا المعنى بالإضافة إلى أنه يشير إلى أدب آخر من آداب الطعام، وهو الأكل بثلاث أصابع، لأن الزيادة على ذلك تُشعر بالجشع، وتُستقذر من بقية الآكلين، وقد ساق الصحابي المعنى في الحديث بأسلوب خبري خال من المؤكدات؛ لأنه يؤسس معنى جديداً، ولا يواجه بإنكار، والصورة التي تصورها الأفعال الثلاثة (يأكل - فرغ - لعقها) للنبي ﷺ في أثناء طعامه تعكس أدبه العالي، وتواضعه الجم.

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان كيفية أكل النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على متابعة ونقل أحوال النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان كيفية أكل النبي ﷺ:

قد كان هدي النبي ﷺ أنه كان يأكل بثلاث أصابع، وكان يلعق يده بعد الفراغ من طعامه، وهذا ما بينه كعب بن مالك ﷺ في نص الحديث من قوله: "رأيت

(١) لفظ مسلم: (أن رسول الله ﷺ كان يأكل).

(٢) برقم ٢٠٣٢/١٣٢.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٤٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٥٠).

رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها".

وقد بيّن القاضي عياض: (أن قوله ﷺ "كان يأكل بثلاثة أصابع": هو أدب الأكل وسننه ومن المروءة؛ لأن الأكل بأكثر منها إنما هو من الجشع وسوء الأدب فيه وتكثير اللقم، وذلك من غير آدابه ومستحسناته، ولأنه غير مضطر لأكثر من ثلاث لجمع لقمته وإمساكها من جهاتها، إلا أن يضطر إلى غير ذلك لخفة الطعام، وعدم تلفيفه بالثلاث فيدعمه بالرابعة)[1].

وقال ابن القيم: (وكان ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعقها إذا فرغ، وهو أشرف ما يكون من الأكلة، فإن المتكبر يأكل بأصبع واحدة، والجَشِعُ الحريص يأكل بالخمس، ويدفع بالراحة)[2].

وقد بين ابن علان ذلك فقال: (قال العلماء: فيستحب الأكل بثلاث أصابع ولا يضم إليها الرابعة والخامسة إلا لضرورة... ثم بين أن من عادته ﷺ في أكثر الأوقات هو الأكل بثلاث أصابع. قيل: وإنما اقتصر عليها لأنه الأنفع؛ إذ الأكل بأصبع واحدة مع أنه فعل المتكبرين لا يستلذّ به الآكل ولا يستمرئ به؛ لضعف ما يناله منه كل مرة، فهو كمن أخذ حقه حبة حبة، وبالأصبعين مع أنه فعل الشيطان ليس فيه استلذاذ كامل مع أنه مفوّت الفردية، والله وتر يحبّ الوتر، والخمس مع أنه فعل الحريص الفجع يوجب ازدحام الطعام على مجراه من المعدة، فربما أفسد مجراه فأوجب الموت فورًا وفجأة "فإذا فرغ" أي: من أكله "لعقها" بكسر المهملة: أي لحسها)[3].

وقال القاضي عياض: (وفي الحديث جواز مسح اليد بعد الطعام بالمنديل، وهذا - والله أعلم - فيما لم يحتاج فيه لغسل مما ليس فيه غمر ولزوجة مما لابد منه إلا الغسل، فقد جاء في الحديث في الترغيب في غسله أو الحذر من تركه، فذكر أبو

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٢/٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم /١٤٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٠٢٠.

داود في مصنفه، ... وغيره من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ))[1])[2].

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على متابعة ونقل أحوال النبي صلى الله عليه وسلم:

يظهر ذلك جليًا في الحديث من متابعة كعب بن مالك رضي الله عنه لحال النبي صلى الله عليه وسلم أثناء أكله، ونقل ذلك عنه في قوله رضي الله عنه: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع".

(والصحابة رضي الله عنهم خير القرون، وصفوة هذه الأمة، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان، فهم حملة هذا الدين، ... وقد وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضًا طريًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة، ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص، ونشروا الدين في كافة ربوع الأرض في أقل من ربع قرن)[3].

وفي بيان حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة ونقل أحوال النبي صلى الله عليه وسلم قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: ((بتُّ عندَ خالتي مَيمونة، فقلتُ لأنظرنَّ إلى صلاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم...))[4]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ - وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يَنزِلُ يومًا وأَنزِلُ يَومًا، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بِخَبرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلكَ... إلخ))[5] وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة ونقل أحوال النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا – من آداب المدعو: التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، (وقد كان اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به أحد

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٨٥٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٦٢).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٢/٦.

(٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ٢٧١.

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٧٠، ومسلم ٧٦٣.

(٥) أخرجه البخاري ٨٩، ومسلم ١٤٧٩.

ركائز الإسلام وأساسياته، ومن أعظم مسلمات الشريعة والأمور المعلومة منها بالضرورة، وقد استفاضت النصوص الشرعية الصحيحة في بيان ذلك والتأكيد عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1] وقوله عز وجل ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2][3].

(والتأسي بالنبي ﷺ معناه تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين)[4]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾[5]، والله جعل نبيه ﷺ للناس كافة الهادي والمبلغ والسراج المنير قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[6].

(ومبعث التأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله، اصطفاه الله للهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره)[7].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٣) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني ص ٩٣، ضمن بحوث حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي.

(٤) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين ص ٥٨.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٦) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٧) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين ص ٥٩-٦٠.

الحديث رقم (٧٥٠)

٧٥٠- وعن جابر رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: ((إنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ فِي ايِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الصحفة: الإناء الذي يؤكل فيه[2].

الشرح الأدبي

يكشف هذا الحديث جانباً من حكمة الرسول ﷺ في الأمر بلعق الأصابع، والصفحة، وقول الرسول ﷺ (إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة) الجملة مؤكدة بأكثر من مؤكد تنزيلاً للمخاطبين منزلة المنكرين أو تعظيماً للخبر، ورغبة في تعظيمه في أنفس المخاطبين، واتصاله بكاف الخطاب، وميم الجمع يجعل الجميع مَعْنِين بموضوع الحوار وقوله (لا تدرون) يشير إلى الجهل بمحل البركة والذي يؤكده الإبهام الذي توحي به (أي) وينادي بتتبع البركة في كل بقايا الطعام، وجملة أحاديث هذا الباب فيها جانب اقتصادي لو طُبق حق التطبيق لوفّر للمسلمين ما يحتاجون إليه، وصاروا في غنى عن الحاجة لأعدائهم في طعامهم، وأساس المسألة هو توقير نعمة الله واحترامها واتباع سنة رسوله.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٢٠٣٣/١٣٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨٩).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص ح ف).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٥١)

٧٥١- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أحَدِكُمْ، فَلْيأخُذهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، وَلْيأكُلْهَا، وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَان، وَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ بالمِنْديل حَتَّى يَلْعَقَ أصَابعَهُ، فَإنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فَلْيُمِطْ: فلينَحِّ وليُزل[2].

الشرح الأدبي

الحديث يعالج جانباً مهماً من جوانب السلوك في تناول الطعام، يعتمد حسن استعمال النعمة، والمحافظة عليها، ويُبنى على أسلوب الشرط بعد التوكيد الذي يمهِّد النفوس للخبر، ويدخله على القلوب دخول المأنوس، وقد ربط أسلوب الشرط جزاءً بفعله، فكلما وقعت لقمة أخذها فأماط الأذى عنها فأكلها، والحديث تكاثفت فيه الأساليب الإنشائية التي تمثل جانب الحركة في اللغة؛ وتبدو من خلالها انفعالات المتكلم، ومشاعره، ومدى تأثره بموضوعه، وقد ورد أسلوب الأمر ثلاث مرات، وأسلوب النهي مرتين، وأساليب الأمر هي (فليأخذها - فليمط - وليأكلها) ومن الملاحظ أنها أفعال مضارعة دخلت عليها لام الأمر، وهذا الصيغة من صيغ الأمر أدل على اللزوم، وأبعد عن المجاز ثم إن هذه الأفعال ترتبت على بعضها، فقوله (إذا وقعت لقمة) نسب فعل الوقوع إلى اللقمة وهي في الحقيقة مفعولاً والفاعل هو الآكل الذي أوقعها إشارة إلى أن المسلم لا يلقي بطعامه وإن لم يكن له به حاجة، فلابد أن أحد إخوانه في حاجة إليه، ولذلك رتب الرسول ﷺ على وقوع اللقمة بالفاء المؤذنة بالسرعة

(١) برقم (٢٠٣٣/١٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩٠).

(٢) ل في (م ي ط).

أخذها، ثم إصلاحها، ثم استخدامها مرة أخرى، انظر كيف يعلمنا الرسول ﷺ المحافظة على أموالنا، وألا نترك منها قليلاً، ولا كثيراً يضيع هباءً، ثم إن في المسألة بُعداً آخر، وهو عدم تركها للشيطان ليتقوى بها علينا، ألا يعلمنا ذلك أن إهدار مال المسلمين إضعاف لهم، وقوة لأعدائهم؟ لذلك جاء نهي الرسول ﷺ (ولا يدعها للشيطان) إشارة إلى ذلك.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح رواية في الحديث رقم (١٦٤).

الحديث رقم (٧٥٢)

٧٥٢-وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، (فإذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أحَدِكُمْ)[1] (فَلْيَأخُذهَا)[2] فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، ثُمَّ لِيأْكُلْهَا وَلاَ يَدَعْهَا للشَّيْطَانِ، فإذا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أصابِعَهُ، فإنَّهُ لا يَدْرِي فِي أيِّ طعامِهِ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فليُمِطْ: فلينَحِّ وليُزل[4].

الشرح الأدبي

قول جَابِرٍ رضي الله عنه (سمعت) يفيد توكيد الخبر؛ لأنه سماع مباشر من فِيِّ النبي ﷺ وتوكيد الخبر في قول النبي ﷺ: (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه) تعظيم له، وتنبيه إلى خطره، أو لأنه من الأخبار غير المعهودة، وقوله: (الشيطان يحضر) يصور الفعل المضارع الشيطان كاللص يتربص بالإنسان حتى تواتيه الفرصة فينقضَّ عليه، وقوله: (أحدكم) اتصال الضمير، وكاف الخطاب بلفظ أحد يشير إلى أن الشيطان يتربص بكل واحد منا لا يتثني أحداً - مهما بلغ صلاحه - مما يستلزم أن يتيقظ كل واحد منا لنفسه، وقوله (عند كل شيء) يقرر أن هذا التربص من الشيطان

---

(١) لفظ مسلم في هذه الرواية: (فإذا سقطت من أحدكم اللقمة)، والمثبت عند مسلم في الرواية التي بعدها، بدون رقم.

(٢) (فليأخذها) لا توجد مسلم. وقال محقق الترغيب (٣/٨٣، هامش ١): ليست في: (ب)، ولا صحيح مسلم، بل مستدركة في هامش: (ب).

(٣) برقم (٢٠٣٣/١٠٣)، وتقدم برقم (١٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨٩).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (م ي ط).

عند قليل العمل، وكثيره، وقوله: (من شأنه) أي في أمور حياته اليومية، العادة، أو العبادة، كالطعام، والشراب، والنوم، والعمل، ، والصلاة، وأعمال البر، وغيرها، وعبارة الرسول ﷺ من بدايتها تمهيد لما بعدها، وقوله (فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ) أسلوب شرط يربط الإماطة، وما عطف عليها بالسقوط، ويؤكده بجملة النهي المعطوفة على جواب الشرط (ولا يدعها للشيطان) لأنها قوة لعدوك، ونقص من قوتك، وقوله (فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ) أسلوب شرط ثانٍ يقرر تتبع بقية الطعام، ولا يستهزء بنعمة الله، مع ترويض النفس على خلق التواضع، وقوله (فَإِنَّهُ لا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ) الفاء للتعليل، والجملة تعليل للأمر السابق، وترغيب في إتيانه.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح رواية من الحديث رقم (١٦٤).

الحديث رقم (٧٥٣)

٧٥٣-وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا أكَلَ طَعَامًا، لَعِقَ أصَابِعَهُ الثَّلاَثَ، وقال: ((إِذَا سقَطَتْ لُقمَةُ أحَدِكُمْ (فَلْيَأخُذهَا)[1]، ولْيُمِطْ عنها الأذى، وَليَأكُلْهَا، وَلاَ يَدَعْها لِلشَّيْطَان)) وأمَرَنا أن نَسلُتَ القَصعَةَ، وقال: ((إنَّكُمْ لا تَدرُونَ فِي أيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فليُمِطْ: ليُنحِّ وليُزل[3].

الشرح الأدبي

الحديث يتضمَّن سنناً فعلية، وسنناً قولية توجِّه المؤمنين إلى ما فيه صلاح حياتهم، ورضى ربهم؛ لأن من ميزات التوجيهات النبوية أنها شاملة لإصلاح الدنيا، وإصلاح الآخرة، في توزان دقيق يشهد بإعجازها، وأنها من وحي الله على لسان نبيه، وجملة السنن التي يتناولها هذا الحديث، وإن كانت تبدو سهلة بسيطة في تنفيذها إلا أن أثرها عظيم، إذا طُبقت، وصارت سلوكاً في مختلف التعاملات في الحفاظ على نعمة الله التي سنسئل عنها.

فالتواضع، وتتبع أسباب الزيادة، والبركة يشير إليها فعله: (كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاثَ) والحرص على النعمة، وتتبع ما يسقط، وردُّ ما يضيع طاعة لله، وإرغاماً لعدوه في سياق الشرط، وجزائه في قوله (إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ) والأمر المحكي بصيغ خبرية بتتبع ما بقي في الإناء

---

(١) (فليأخذها) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (١٣٦/٢٠٣٤)، وتقدم برقم (٦١٣).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (م ي ط).

في قوله: (وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ) ثم التعليل الموصل للقناعة العقلية بذكر السبب، بعد القناعة القلبية بالتسليم لأمر الله، ورسوله في قوله (فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ) وتلك السلوكيات الخاصة في الطعام لو عممت وصارت خلقاً في المسلم بين التواضع، وحسن استغلال نعمة الله لحقق له ذلك النجاح الاقتصادي في الدنيا، وفاز بالأجر من الله في الآخرة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٠٨).

الحديث رقم (٧٥٤)

٧٥٤- وعن سعيد بنِ الحارث: أنَّه سأل جابرًا ﷺ عنِ الوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ، فَقَالَ: لا، قَدْ كُنَّا زَمَنَ النبيِّ ﷺ لا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ[1] الطَّعامِ إلاَّ قليلاً، فإذا نَحْنُ وجَدْنَاهُ، لَمْ يَكُنْ لنا مَنَاديلُ إلاَّ أكُفَّنا وسَوَاعِدَنَا وأقْدامَنَا، ثُمَّ نُصَلِّي وَلاَ نَتَوَضَّأُ. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

مناديل: جمع منديل: ما يُتَمَسَّحُ به وهو من نسيج من قطن أو حرير أو نحوهما[3].

الشرح الأدبي

الحديث بُني على أسلوب الحوار الذي ينبيء عن التواصل بين المتكلم، والمخاطب، وهو مناسب للمسائل العلمية، وحلقات الدرس في التعليم، والإرشاد حتى يتحقق غرض الإيضاح، والحديث يبدأ بأسلوب خبري بحكاية السؤال الذي يمثِّل أصل المسألة، وهي حكم الوضوء مما مسَّت النار، فجاءت إجابة الصحابي مبنية على الإيجاز في قوله (قال: لا) أي: لا يوجد سبب للوضوء مما مسَّت النار، ثم ذكر حالهم مع النبي ﷺ كشاهد يؤكد صدق كلامه بجملة خبرية مفادها النفي (قَدْ كُنَّا زَمَانَ النَّبيِّ ﷺ لا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ الطَّعَامِ إلاَّ قَلِيلاً) وقد أكَّد الفعل الماضي بـ (قد) التي أفادت تحقيق الفعل، وقد اشتملت على أسلوب القصر بالنفي والاستثناء الذي يقصر وجدان الطعام على القليل، وفيه إشارة إلى شدة الحال، وضيق العيش مع صبرهم، وشكرهم لله، وقوله: (فَإِذَا نَحْنُ وَجَدْنَاهُ لَمْ يَكُنْ لَنَا مَنَادِيلُ إلاَّ أَكُفَّنَا وَسَوَاعِدَنَا وَأَقْدَامَنَا) أسلوب

(١) عند البخاري زيادة: (من).

(٢) برقم (٥٤٥٧).

(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ن د ي ل).

شرط فعله محذوف دل عليه المذكور تقديره فإذا وجدناه...) وجملة الجواب هي جملة القصر (لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا...) التي تعكس قلة ذات اليد، والتواضع، وقوله (ثم نصلي، ولا نتوضأ) عود على بدء يؤكد الحكم الذي سبق، ويقرره، وهو مدار الحوار.

فقه الحديث

١- مسح اليد بالمنديل:

ترجم البخاري لهذا الحديث: باب المنديل[1]، وترجم له ابن ماجه "مسح اليد بالمنديل"[2] قال النووي: (يجوز مسح اليد بالمنديل لكن السنة أن يكون بعد لعقها)[3].

٢- الوضوء مما مست النار:

قال ابن حجر: (قال النووي كان الخلاف فيه معروفًا بين الصحابة والتابعين، ثم استقرّ الإجماع على أنه لا وضوء مما مست النار إلا ما استثني من لحوم الإبل)[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان شدة العيش التي كان عليها الصحابة ﷺ على عهد رسول الله ﷺ.

ثالثًا: من مهام الداعية: البيان والإيضاح.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مسح اليد بعد الطعام.

أولاً - من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه:

قد يعرض للمدعو ما يشكل ويلتبس عليه من أمورٍ دينية أو مسائل دنيوية، مما قد يجعله في حيرةٍ من أمره، فيتحتم عليه آنذاك أن يزيل هذه الأمور التي قد تعيقه وتمنعه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٩/٩ .

(٢) كذا قال ابن حجر في فتح الباري ٥٧٩/٩ وما في سنن ابن ماجه: باب مسح اليد بعد الطعام، الحديث ٣٢٨٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧٣/١٣/٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٢/١.

عن الامتثال للدعوة والاستجابة لها، وذلك يكون بسؤال أهل العلم كما وقع في هذا الحديث من سؤال سعيد بن الحارث لجابر رضي الله عنه، عن الوضوء مما مست النار، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بسؤال أهل العلم عما أشكل فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وفي ذلك قال السعدي: (... وهذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن حال الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها. ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه)[2].

وقد أكد النبي ﷺ على أهمية السؤال عما خفي فقال: ((... ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال))[3] أي: (أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعليم)[4].

وفي ذلك يكون المرء على بصيرة من دينه وعلى علم بسنة نبيه ﷺ فيعبد الله على بينة ويدعو إليه على بصيرة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان شدة العيش التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم على عهد رسول الله ﷺ:

هذا الحديث ينقل لنا فيه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما صورة من صور شظف العيش التي عاناها الصحابة رضي الله عنهم، فأخبر عما كان يعانيه الصحابة من قلة في الطعام "قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك الطعام إلا قليلاً"، والملابس "لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا"، لقد اشتغل الأولون من صحابة رسول الله ﷺ بنشر

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٨٥.

الإسلام ولم يشغلهم عن ذلك رغد عيش أو طيب دنيا، فضلاً (عما أعقب هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة المنورة، من ظهور مشكلة تتعلق بطبيعة معيشة المهاجرين، الذين تركوا بيوتهم وأموالهم ومتاعهم بمكة فرارًا بدينهم من طغيان المشركين، ولاشك أن بعض المهاجرين لم يستطيعوا العمل حال قدومهم إلى المدينة، لأن الطابع الزراعي يغلب على إقتصاد المدينة وليست للمهاجرين خبرة زراعية، فمجتمع مكة تجاري، كما أنهم لا يملكون أرضًا زراعية في المدينة، وليست لديهم رؤوس أموال، فقد تركوا أموالهم بمكة، وقد وضع الأنصار إمكاناتهم في خدمة المهاجرين، لكن بعض المهاجرين، بقي محتاجًا، وهذا ما جعل في العيش شدة وخشونة)[1].

وذلك ما أشار إليه نص الحديث من قول جابر ﷺ: "...، قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك الطعام إلا قليلاً"، وفي بيان ذلك قال أبو هريرة ﷺ: ((خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ. فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَقَالَ: مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالاَ: الْجُوعُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَأَنَا. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا. قُومُوا فَقَامُوا مَعَهُ. فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ. فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ أَيْنَ فُلاَنٌ؟ قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي. قَالَ فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ. فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ فَذَبَحَ لَهُمْ. فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ. وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ. وَشَرِبُوا. فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ. ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ))[2].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: ((إني لأول العَرَب رمى بسَهم في سبيل الله، ولقد كنا نَغزُو مع رسول الله ﷺ مالنا طعامٌ إلا ورقُ الحُبْلَةِ وهذا السَّمُر، وإن أحدَنا

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، ١/٢٥٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٣٨.

لَيَضعُ كما تَضعُ الشاة ماله خِلط))[1] أي: لا يختلط بعضه ببعض من شدة جفافه وتفتته[2]، وأيضًا يظهر ذلك من قول عتبة بن غزوان ((وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ . مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ. حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا. فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ. فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا...إلخ))[3].

قال النووي في بيان قوله "حتى قرحت أشداقنا" أي: (صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته)[4]، وفي ذلك بيان لشدة العيش التي كان عليها الصحابة ﵃ على عهد رسول الله ﷺ.

ثالثًا – من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

إن البيان والإيضاح من مهام الداعية التي تعينه على تبليغ دعوة ربه وسنة نبيه، وهذا ما ظهر في الحديث من بيان جابر ﵁ ما خفي عن السائل في قوله: "لا، قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك الطعام إلا قليلاً، فإذا نحن وجدناه، لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا، ثم نصلي ولا نتوضأ"، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، فقال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[5]. قال السعدي: (... على كل من أعطاه الله الكتب، وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أوقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم، يجب عليه في تلك الحال، أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل)[6].

---

(١) أخرجه البخاري، ٣٧٢٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١٠٦/٧.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٩٦٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٧.

وقد توعد الحق تبارك وتعالى من يكتم العلم ولا يبينه للناس فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[1]. وفي ذلك قال أبو هريرة ﷺ: ((لَوْلاَ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ))[2] (ثم قال: عروة الآية: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات..." الآية، معناه: لولا أن الله تعالى أوجب على من علم علمًا إبلاغه، لما كنت حريصًا على تحديثكم، ولست متكثرًا بتحديثكم)[3].

(وبهذه الآية استدل العلماء على وجوب تبليغ العلم الحق، وتبيان العلم على الجملة...)[4] وفي تأكيد ذلك قال الحسن بن عمارة: (أتيتُ الزهري بعد ما ترك الحديث، فألفيته على بابه، فقلتُ: إن رأيت أن تُحدثني. فقال: أما علمت أني تركت الحديث؟ فقلت: إما أن تحدثني، وإما أن أحدثك، قال: حدثني. قلت: حدثني الحكم بن عتيبة، عن يحيى بن الجزار قال: سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول: ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا، حتى أخذ على العلماء أن يعلموا. قال فحدثني أربعين حديثًا)[5]. فعلى الداعية أن يوضح ويبين الحقائق للمدعوين.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: مسح اليد بعد الطعام:

(قد أشار الحديث إلى استحباب مسح اليد بعد الطعام إذا لم تكن هناك حاجة لغسلها، وذلك من قول جابر ﷺ "... لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا، ثم نصلي ولا نتوضأ"، وقد يتعين الندب إلى الغسل بعد اللعق لإزالة رائحة الطعام، وعلى ذلك يحمل حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ نَامَ وَفِي

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٥٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤٨٠.

(٥) المرجع السابق، ٥/٤٥٨.

يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ))[١])[٢] (وقد اختلف في غسل اليد للطعام، فكرهه مالك قبل الأكل وقال فيه: قيل إنه من فعل الأعاجم، وكرهه الليث قبل الأكل وأجازه بعده، ولعل قول مالك بكراهته قبل الأكل لمن كانت يده طاهرة أما كراهته بعد الأكل فيما لو خلا الطعام من الدسم، أما لو كانت هناك حاجة لغسل اليد سواء قبل الأكل أو بعده، فإن الكراهة تنتفي، وفي الحديث أيضًا نسخ لما جاء من الأمر بالوضوء عند أكل ما مسته النار)[٣].

(١) أخرجه أبو داود ٣٨٥٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٦٢).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٥٧٩/٩.

(٣) إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، الوشتاني الأبي ١٤٦/٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

للأكل أسس وآداب تختلف من زمن إلى زمن، وما يلزم أهل زمن لا يلزم غيرهم، ما لم يكن هناك خروج عن آداب الإسلام، ووسائل النظافة تختلف من زمن إلى زمن، ولكن المتفق عليه أن إضاعة شيء من الطعام يسأل عنه الإنسان ولهذا كان هدي الرسول ﷺ في الجوانب التربوية من خلال المضامين التالية:

أولاً-تعليم آداب الأكل:

إن من الآداب التي تعتني بها التربية الإسلامية تعليم آداب الأكل، ولعل عنوان الباب الذي أورده الإمام النووي يدلل على هذا فهو في بيان استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعقها ولعق القصعة، وكراهة مسحها قبل لعقها، وفي هذا إرشاد إلى آداب الأكل، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا قوله ﷺ "إذا أكل أحدكم طعامًا فلا يمسح أصابعه حتى يَلْعقها أو يُلْعقها" وحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: "إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة" وحديث كعب بن مالك رضي الله عنه "رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع فإذا فرغ لعقها". ففي جملة هذه الأحاديث إرشاد إلى آداب الأكل وكيفية تناوله.

قال ابن القيم: (فإن الأكل بأصبع أو أصبعين لا يستلذ به الآكل، ولا يمريه ولا يشبعه إلا بعد طول، ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل أكلة، والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على آلاته وعلى المعدة، وربما انسدت الآلات فمات، وتُغْصب الآلات على دفعه والمعدة على احتماله، ولا يجد له لذة ولا استمراء، فأنفع الأكل أكله ﷺ وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاث)[1].

ثانيًا-التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الإسلامية الناجحة التربية بالقدوة حيث تترك أثرًا صالحًا في

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٢٢/٤.

نفس المتربي، وتقنعه بما يؤمر بفعله وتنفيذه، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على هذا حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع فإذا فرغ لعقها" ففي هذا الحديث يروي الصحابي أنه رأى رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، وأما القدوة في لعق الأصابع بعد الأكل ففيه حديث أنس رضي الله عنه "كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث...".

وما من شك في أن القدوة لها دور رئيس في العملية التربوية (إن إيجاد المنهج التربوي المتكامل ووضع الخطط المحكمة لا يغني في بناء الشخصية الإسلامية عن وجود القدوة الصالحة التي تتمثل في الإنسان المتحلي بالأخلاق الإسلامية والكمال السلوكي، وبما أن القدوة الصالحة هي إحدى الطرق لاكتساب الفضائل بأنواعها والكمال السلوكي: اتخذها الإسلام وسيلة من وسائله لبناء الشخصية الإسلامية وترقيتها في سُلَّم الكمال السلوكي. فالقدوة الصالحة هي من أنجح الوسائل لبناء الشخصية الإسلامية خصوصًا في مرحلة الاكتساب، وهي فترة الطفولة، وهذه القدوة إما أن تكون مشاهدة ملموسة أمامه فيقتدي بها، أو تكون مثالاً في ذهنه من الأخبار والسير الصالحة التي يسمعها)[1].

ثالثًا-التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية التوجيه المباشر حيث يقوم المربي بالتوجيه المباشر، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا الأسلوب حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة" ومنها حديث أنس رضي الله عنه وفيه "... إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان" وأمرنا أن نسلت القصعة وقال: "إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة".

(ويعتمد أسلوب التربية بالتوجيه المباشر على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر وذلك من خلال البيان والإرشاد حيث يقوم المربي

(١) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ١٧٧.

بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه تلقينًا مباشرًا من خلال التلقين بالكلام حيث يلقى الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1] أو بصيغة النهي كما في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾[2] وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المتربي)[3].

والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العملية التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم يتخلل ذلك أحيانًا مناظرة من المعلم، يرافقها تصحيح لأخطائه)[4].

رابعًا-السؤال والاستفسار:

إن من الآداب التي ينبغي أن يتعود عليها المتربي السؤال والاستفسار لما في ذلك من كشف المبهم وإيضاح الخفي، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا حديث سعيد بن الحارث أنه سأل جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن الوضوء مما مسّت النار فقال: لا قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك من الطعام إلا قليلاً فإذا نحن وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا ثم نصلى ولا نتوضأ).

(ولا ينبغي للعاقل التردد في السؤال والسكوت على الجهل حتى لا يحدث ما لا تُحمدُ عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل. وسكوت الإنسان عن جهله قد يكلفه غير قليل من تجارب فاشلة ومن آلام ومتاعب لأنه لو عرف الإجابة الموفقة

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. أمين ابولاوي ص ١٥٤.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٨٤.

لضمن لنفسه العمل السليم أو السلوك الصائب لاسيما في أمور تتصل بالمحاولة والخطأ والتجريب. ولأهمية السؤال حرص الصحابة ﭫ رجالاً ونساءً على السؤال عما يخفى عليهم من أمور دينهم، وورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك مثل قوله: يسألونك ويستفتونك وليس هذا خاصًا بالرجال بل حتى النساء)[1].

خامسًا-التربية الوقائية:

من الأمور التي تعنى بها التربية الإسلامية: التربية الوقائية، لما فيها من الحفظ والصيانة للإنسان من الأمور التي تضره. ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا قوله ﷺ "إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة" وكذلك قوله ﷺ "إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة" وكذلك حديث أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث وقال: "إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان وأمرنا أن نسلت القصعة وقال: إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة".

ففي جملة هذه الأحاديث تربية وقائية من الشيطان، والاحتراز من حضوره طعام الإنسان، وما ينبغي فعله عندما تسقط لقمة على الأرض حتى لا تكون من نصيب الشيطان.

(إن الشيطان يتربص بالإنسان ويلازمه ويحاول النيل منه، ويرغب في مشاركته حتى في أكله وشربه، ومن ثمَّ ينبغي إماطة الأذى من تراب وغيره عن اللقمة الساقطة ثم أكلها وحرمان الشيطان منها لأنه عدو، والعدو ينبغي حرمانه والتحرز منه،

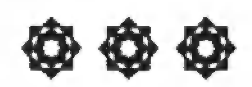
---

(١) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد ص ١٢٤.

والبركة في الطعام قد تكون في اللقمة الساقطة فلا يفرط فيها، ويجب أن يعلم الإنسان أن الشيطان يحضر ويلازم الإنسان ولا مدخل للعقل في إنكار حضوره)[1].

إن واجب المربين الاهتمام بالتربية الوقائية لتحذير المتربين مما يضرهم في الدنيا والآخرة.

(والوقاية هي نوع من أنواع التحذير، وهي تحصين الفرد وتحذيره فكريًا وسلوكيًا من بعض الأمور السلبية المستقبلية أو الامتناع من فعل ما من شأنه أن يُفْضي إلى مفسدة أكبر منه. والإسلام استخدم أسلوب الوقاية للفرد المسلم وللأسرة والمجتمع من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك والمجتمع والدولة إلى الضعف والهوان أو من خلال بعض التوجيهات التي تحض الفرد وتدفعه نحو الاستقامة والاعتدال)[2].



(١) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٦١، ١٦٢.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

١١٠- باب تكثير الأيدي على الطعام

الحديث رقم (٧٥٥)

٧٥٥- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((طَعَامُ الاثنينِ كافِي الثلاثةِ، وطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كافِي الأربعة)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يعرض صورة من صور التكافل التي يُربِّي عليها الإسلام أفراده، كما يغرس خلق الإيثار، وينميه بالحث على مثل هذه الخصال، وقد ساق النبي ﷺ المعنى في صورة خبرية خالية من المؤكدات حقيقة مجردة، وكأن الخبر من الوضوح بحيث لا يتوقع وجود من يعارضه، وفي هذا إعلاء من شأن المعنى، وقوله: (طعام الإثنين كافي الثلاثة) قاعدة عامة تؤسس مبدأً عاماً في التكافل والإيثار، والتعبير باسم الفاعل (كافي) دون الفعل إشارة إلى ثبات الكفاية في كل حالة يتشارك فيها الثلاثة طعام الإثنين، والجملة الثانية (وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ) توكيد لمضمون معنى الجملة الأولى، وهي دعوة إلى المشاركة، والإيثار، ونهي ضمني بألا يضيق المسلم بأخيه في طعامه، وماله، وحسن خلقه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩٢)، ومسلم (٢٠٥٨/١٧٨)، وتقدم برقم (٥٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٥٢).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٦٤) مع زيادة في الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (٧٥٦)

٧٥٦- وعن جابر رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((**طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه، وهو الحثُّ على التكافل، والإيثار مع زيادة في جمله واختلاف دقيق في تركيبه، وقد جاء في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة خالٍ من المؤكدات، وهو ما يتفق فيه مع الحديث السابق، ولكنه اختلف من ناحية المعنى في الحديث السابق حيث إنه قرر أن طعام الإثنين كافٍ الثلاثة، وطعام الثلاثة كافٍ الأربعة) والنسبة في الجملة الأولى الثلث، وفي الجملة الثانية الربع، أي أن طعام الثلاثة مقسم على أربعة، أما في هذا الحديث، فإنه يقسم الطعام على ضعف الآكلين في كل جملة، فالنسبة تمثِّل النصف، ومعنى هذا زيادة البركة، وكثرة الخير كلما زاد الإيثار، وازدادت النفس سماحة، فالزيادة مرتبطة بالإيمان ومدى سماحة النفس، ولذلك نجد الطعام الذي يضع الرسول ﷺ فيه يده، ويشارك في تناوله يكفي أضعاف أضعاف الآكلين، والروايات في مثل هذا المعنى كثيرة متواترة.

وذِكرَ المسند إليه (طعام)، ونصَّ عليه في كل جملة من الجمل الثلاثة إيذاناً باستقلاله في كل جملة، ولأنه مدار الحديث، وتكراره يجعله ملأ الأسماع والأبصار، والتعبير هنا بالفعل المضارع يفيد التجدد، والحدوث كلما حصل إيثار حصلت كفاية بالإضافة إلى أن الفعل المضارع يستحضر الصورة المرجوة صورة كفاية الطعام لحاجة الآكلين.

المضامين الدعوية[2]

(١) برقم (٢٠٥٩/١٧٩)، وتقدم برقم (٥٦٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٥٣).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٦٥) وهو مدمج في الشرح مع الحديث رقم (٥٦٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

سبق الإسلام النظم المعاصرة، حين دعا إلى المشاركة في الطعام، ونفي الخوف من قلته لأن هذه المشاركة تجلب المحبة وتورث المودة وتؤلف القلوب، ومن فوائدها:

أولاً-غرس روح الجماعة:

إن من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية غرس روح الجماعة لما في ذلك من تحقيق التعارف والتآلف بين أفراد المجتمع ويتضح هذا من خلال حديثي الباب في دعوة النبي ﷺ إلى تكثير الأيدي على الطعام و الاجتماع عليه ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه "طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة، وفي حديث جابر رضي الله عنه "طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة وطعام الأربعة يكفي الثمانية".

ففي هذين الحديثين دعوة إلى الاجتماع وتكثير الأيدي على الطعام مما يحقق الوحدة، ويعمق روح الجماعة، ويكون سببًا في حصول البركة في الطعام.

(إن تعاليم الإسلام تهدف إلى بناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على الحب والمودة والتآلف والرحمة، ويبعد عن الشقاق والاختلاف والعداوة والبغضاء، وقد اعتمد الإسلام على تربية أتباعه وفق هذه المبادئ وذلك بتوحيد عقيدتهم أولاً فيتم تجانسهم الفكري، وتتحد مقاييسهم الخلقية، وتتوحد مصادر التلقي عندهم إذ كلهم يأخذون من الكتاب والسنة ويصدرون عنهما في أقوالهم وأفعالهم، وقد بيّن الله تعالى أن الاعتصام بالقرآن والصدور عنه هو سبيل الوحدة بين المسلمين، وأن الاختلاف عنه هو سبيل الشقاق والتفرق. وقد ورد في القرآن والسنة الحث على كل ما يقوي الوحدة والتآلف بين المؤمنين كما ورد النهي عن كل أسباب الشقاق والفرقة)[1].

وما من شك في أنَّ الاجتماع على الطعام أحد أسباب تحقيق الأخوة وتعميق الصلات بين أفراد الجماعة المؤمنة، وواجب المربين الاعتناء بتنمية الجانب الاجتماعي والتشجيع عليه.

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢٥٠.

(إن النجاح في بناء العلاقات الاجتماعية أمر لا غنى للداعية عنه، وهو مفتاح تأثيره على الأقربين الذين هم أَوْلى بدعوته من سائر الناس، كما أنه لا غنى له عنه ليعيش حياته الاجتماعية، ومن ثَمَّ تبدو أهمية الاعتناء بتنمية هذه القدرة لدى الشباب ومن وسائل تحقيق ذلك إبراز أهمية الجانب الاجتماعي والحاجة له، وتنمية الجانب الخلقي الذي يجعل الشاب مقبولاً من الآخرين، وتحقيق قدر من الاندماج الاجتماعي والتخفيف من العزلة التي يعيشها كثير من الشباب الصالحين تجاه المجتمع، وتنمية مهارات التعامل مع الآخرين والتعويد على احترامهم)[1].

ثانيًا-الترغيب في خلق الكرم:

إن من الأهداف الخلقية التي تسعى الديانة الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين الترغيب في خلق الكرم والجود، فمن أهم صفات المؤمن الكرم والبذل والإيثار، ومما جاء في حديثي الباب يدلل على هذا قول النبي ﷺ "طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة" وقوله ﷺ "طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية".

ففي هذين الحديثين ترغيب في خلق الكرم، وأن القليل من الطعام مع الاجتماع عليه يكفي للعدد الكثير مما يدعم روح الكرم في نفس المؤمن (والكرم قيمة من قيم الإسلام، وشيمة من أبرز الشيم العربية والكريم من أسماء الخالق، وصفة من أبهى صفات الرسول الكريم ﷺ، والكرم من المكارم التي جاء الإسلام فأقرها، وامتدحها ودعا إليها وبشر أصحابها، وما أكثر الآيات الكريمة التي تدعو إلى الكرم وتجعل لأهله عظيم الأجر في الدنيا والآخرة، كما حفل الحديث الشريف بالدعوة والحض على الجود والعطاء وإكرام الضيف، ونكاد نجزم بأن الموروث الأدبي والأخلاقي قد احتفى بتلك القيمة احتفاءً لم تحظ بها قيمة أخرى من مكارم الأخلاق، وربما يعود ذلك الاحتفاء لعراقة تلك القيمة فالكرم العربي أصل لا فرع، وجَوْهر لا عَرَض، وحلية أساسية لا زينة كمالية، وخلق يقرب صاحبه من ربه ومن الناس،

---

(١) تربية الشباب الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٨٧.

والبخيل مذموم حتى من أهله ومن نفسه التي يحرمها ويقصر في حقها.

ومن المعروف أن للكرم آثارًا هائلة في بناء المجتمع، وترابط أفراده، وهي آثار لا تعود على فرد بل تخص الجماعة، وتسهم في ربط المجتمع الإنساني ربطًا وثيقًا لا انفصام فيه، فالكرم قيمة تجمع ولا تفرق، وتقرّب بين البشر ولا تبعد، وتحبب ولا تنفر، وتصل من غير فصل، وتتودد في غير نفور وتعمل على لمِّ الشعث ورأْب الصدع في دعوة إلى التسامح والمحبة، وإلى التراحم والتواصل)[1].

إن واجب المربين الاعتناء بغرس القيم والأخلاق الإسلامية النبيلة والتي منها الكرم، وبيان دعوة الإسلام لذلك، وأن الكرم مع صدق صاحبه فيه، أمره سهل، فطعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية كما جاء في الحديث الشريف.

(إنه لم يوجد في الدنيا - ولن يوجد- نظام يستغني فيه البشر عن التعاون والمواساة، بل لابد لاستتباب السكينة وضمان السعادة من أن يعطف القوي على الضعيف، وأن يرفق المكثر بالمُقلّ ما دامت طبيعة المجتمع البشري أن تتجاور فيه القوة والضعف والإكثار والإقلال.

ولو كان المال في وفرته وندرته يتبع ما أوتي الناس من مواهب معنوية لاكتنز البعض الكثير، وعاش البعض على الكفاف، فتلك سنن الخليقة التي لا افتعال فيها، وإنما يتسرب الشقاء إلى الناس عندما يحيون متقاطعين لا يعرفون إلا أنفسهم ومطالبها فحسب؛ مع أن الله عز وجل خلط الناس بعضهم ببعض، وجعل اختلاطهم على اختلاف أحوالهم اختبارًا عويصًا يمحص به الإيمان ويوزع به الفضل والإسلام ينشئ نفوس أتباعه على فعل الخير وإسداء العون وصنائع المعروف)[2].

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٤٧/٦٢٥.

(٢) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١١٥، ١١٦.

١١١- باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وكراهة التَّنَفُّس في الإناء واستحباب إدارة الإناء عَلَى الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ

الحديث رقم (٧٥٧)

٧٥٧- عن أنس ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرابِ ثلاثًا. متفق عَلَيْهِ[١].

يعني: يتنفس خارج الإناء.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يتنفس: يعني خارج الإناء[٢]، [٣].

الشرح الأدبي

لم يترك الرسول ﷺ خيراً إلا وأرشدنا إليه علم حكمته من علم، وجهل حكمته من جهل كما حذرنا من كل شر، وما ترك عادة، ولا عبادة إلا وبين لنا وجه رضى الله فيها حتى لا يتحرك المؤمن حركة إلا أُجِرَ بها، وهو ما يحقق البركة في العمر والسعة في الرزق، وهذا الحديث يتناول هديه ﷺ في الشراب، وقد ساق الراوي المعنى في صورة خبرية مؤكدة بأكثر من مؤكد إحساسًا منه بعظمة من يُحدِّث عنه، وما يحدِّث به، وقوله (يتنفس في الشراب) أي يشرب على ثلاث مرات، وليس معناه التنفس

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣١)، ومسلم (٢٠٢٨/١٢٣) واللفظ له.

(٢) رياض الصالحين ٣٢٢.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٤٠.

داخل الإناء، والفعل المضارع (يتنفس) تصور التؤدة، والأناة في الشرب بما يضمن راحة البدن ورضى الله باتباع هدي نبيه ﷺ.

فقه الحديث

هذه الأحاديث [(١)] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

سنن الشرب وآدابه:

١- التسمية في أوله: يستحب للشارب أن يسمي الله في أول شربه، فيقول "بسم الله" وهو أقلها، فإن قال "بسم الله الرحمن الرحيم" فهو أكمل وأحسن. كما يستحب أن يجهر بالتسمية ليسمع غيره وينبهه عليها، ولو ترك التسمية في أول الشرب لعارض ما (عامدًا أو ناسيًا أو جاهلاً أو مكرهًا أو عاجزًا) ثم زال العارض، وتمكن أثناء شربه، يستحب أن يسمي ويقول: "بسم الله أوله وآخره"[(٢)].

٢- الشرب في ثلاثة أنفاس يسن أن يشرب الماء في ثلاثة أنفاس، ثم اختلفوا في الشرب بنفس واحد فروي عن ابن المسيب وعطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبدالعزيز، ومالك، أنهم أجازوه بنفس واحد. وروي عن ابن عباس وطاووس وعكرمة كراهة الشرب بنفس واحد، وقال ابن عباس هو شرب الشيطان[(٣)].

٣- حكم التنفس في الإناء: يندب إبعاد القدح حين التنفس حالة الشرب، ويكره التنفس في الإناء، لئلا يخرج من الفم بزاق يستقذره من شرب بعده منه، أو تحصل فيه رائحة كريهة تتعلق بالماء أو الإناء. فيتنفس ثلاثًا، يحمد الله في آخر كل نفس، ويسمى الله في أوله -كما سبق-.

---

(١) يعني أحاديث الباب.

(٢) الاختيار ٣٤/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٤/٥.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٣٨/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

٤- وكما لا يتنفس في الإناء، كذلك لا يتجشأ فيه، بل ينحيه عن فيه أيضًا، مع الحمد لله، ويرده مع التسمية[(١)].

٥- الحمد في آخره: يسن للشارب أيضًا أن يحمد الله عقب الشرب[(٢)].

المضامين الدعوية[(٣)]

أولاً: من موضوعات الدعوة: آداب الشرب.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النهي والأمر.

رابعًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والاستجابة لهديه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: آداب الشرب:

إن من آداب الشرب التي يجب مراعاتها، ما ورد في نص الحديث من استحباب التنفس في الشراب ثلاثًا، وذلك لقول أنس رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثًا)، وقوله ﷺ: (لا تشربوا واحدًا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث...)، وهذا ما أكده أنس رضي الله عنه في قوله: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلاثًا، وَيَقُولُ: ((إِنَّهُ أَرْوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ))[(٤)].

وفي بيان ذلك قال الأبي: "ومعنى (يتنفس في الإناء) أي يقطع شربه بأن يزيل القدح عن فيه، لا أنه يتنفس داخل الإناء، لأن الأحاديث قد صحت بالنهي عن ذلك، وعن

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٢/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

(٢) الاختيار ٣٤/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٢/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٥/٥.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٥٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٥٨).

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٢٨.

النفخ في الطعام والشراب"[١].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن السنة إذا تنفس الإنسان في الإناء ثلاثًا فإنه كما قال ﷺ: (فإنه أرى،وأبرأ ، وأمرأ) وصدق ﷺ.

فأما كونه (أروى) فإن الشديد العطش إذا التهبت معدته، فإنه لا يصرف عطشه مثل أن يجرع من الماء جرعة بعد جرعة قليلاً، حتى إنه ربما كفاه لديه نصف المقدار الذي يعبه عبًا.

فأما قوله: (وأبرأ) فإنه يعني ﷺ أن الشديد العطش إذا جرع الماء قليلاً قليلاً في مرات متفرقة أقلهن ثلاث كما ذكرنا فإنه يأمن من نكايته...

وأما قوله: (وأمرأ) فإنه يعني به ﷺ أن الماء إذا شرب عبًا على طعام قد أكله الآكل، طفا الطعام على رأس المعدة فلم يستمر به أكله، ولو كان قد شرب في المرات المتفرقة لكان قد حصل في بدن الغذاء فأثقله، فحطه إلى قعرها الذي يهضم به فكان يكون أمرأ"[٢].

وهذا ما أكده ابن حجر في قوله: "والمعنى أن يصير هنيئًا مريًا بريًا أي: سالمًا أو مبريًا من مرض أو عطش أو أذى، ويؤخذ من ذلك أنه أقمع للعطش وأقوى على الهضم وأقل أثرًا في ضعف الأعضاء وبرد المعدة"[٣].

وفي ذلك بيان على أهمية واستحباب التنفس في الشراب ثلاثًا، ولكنه يباح الشرب دفعة واحدة ولا كراهة في ذلك، لقول أبي المتني الجهني: "كنت عند مروان بن الحكم فدخل عليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال له مروان بن الحكم: أسمعت من رسول الله ﷺ أنه نهى عن النفخ في الشراب؟ فقال له أبو سعيد: نعم، فقال له رجل: يا رسول الله إني لا أروى من نفس واحد، فقال له رسول الله ﷺ: ((فَأَبِنِ القَدَحَ عَنْ فِيكَ، ثُمَّ تَنَفَّسْ))، قالَ: فإنِّي أرى القَذَاةَ فيهِ قال : ((فَأَهْرِقْهَا))"[٤].

---

(١) إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، الوشتاني الأبي ١٤٢/٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٩/٥ - ٦٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٦/١٠.

(٤) أخرجه الترمذي ١٨٨٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٣٨).

قال المباركفوري: "في قوله: (فإني لا أروى) بفتح الواو (من نفس واحد) بفتح الفاء، أي: بتنفس واحد، أي لا يحصل لي الري من الماء في تنفس واحد، فلا بد لي أن أتنفس في الشراب (قال فأبن القدح) أي: أبعده، أمر من الإبانة (عن فيك) أي عن فمك، وقول (فإني أرى القذاة فيه) أي أبصرها... فلا بد لي أن أنفخ في الشراب لتذهب تلك القذاة، (فقال: أهرقها)، بسكون الهاء من الإراقة بزيادة الهاء، أي: فارق تلك القذاة عن الشراب ولا تنفخ فيه"[1].

قال مالك في الحديث: "فكأني أرى في ذلك الرُّخصة أن يشرب من نفس واحد ما شاء، ولا أرى بأسًا بالشرب من نفس واحد، وأرى فيه رخصة؛ لموضع الحديث: إني لا أروى من نفس واحد".

قال أبو عمر: "يريد مالك أن النبي ﷺ لم ينه الرجل حين قال له: (إني لا أروى من نفس واحد) أن يشرب من نفس واحد، بل قال له كلامًا معناه: فإن كنت لا تروى من نفس واحد فأبن القدح عن فيك. وهذا إباحة منه للشراب من نفس واحد، إن شاء الله، وقد رويت آثار عن بعض السلف فيها كراهية الشرب في نفس واحد، وليس منها شيء تجبُ به حجة"[2].

ومن آداب الشرب وسننه التي أشار إليها الحديث، أن يبتدأ المرء شرابه بذكر الله وذلك بأن يسمي الله عز وجل، فإن انتهى من شرابه حمد الله تعالى، وذلك لقوله ﷺ: (وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم)، وقد رغّب النبي ﷺ في ذلك بقوله: ((إِنَّ اللَّه لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا. أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[3]، قال النووي: "وفي الحديث استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب، وقد جاء في البخاري صفة التحميد: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنًى عنه ربنا، وجاء غير ذلك، ولو اقتصر على الحمد لله حصل أصل السنة"[4].

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦١٠.

(٢) التمهيد، ابن عبدالبر ضمن موسوعة شروح الموطأ ٢٢/٣٤٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٣٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٠٣.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد جعل الله تعالى الدعوة إليه من أكرم الأعمال، وأشرف الغايات، وأنبل المقاصد، وقد رغّب تعالى في تبليغها والإخبار عنها فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، فالإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، حيث أفاد نص الحديث مراعاة آداب الشرب من تسمية الله تعالى وحمده، فضلاً عن استحباب التنفس في الشراب ثلاثًا.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النهي والأمر:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: (لا تشربوا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث...، وسموا...، واحمدوا... إلخ)، والنهي والأمر من الأساليب الدعوية التي يكون بها إرشاد المدعو، وحمله على اجتناب أو فعل أمرٍ معينٍ لما في ذلك من الخير له والفائدة.

رابعًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والاستجابة لهديه:

لقد كان اقتداء الأمة الإسلامية بنبيها ﷺ بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم النابع من أحكام دينها، وتأثرها بشخصيته وأخلاقه الكريمة، دافعًا كبيرًا لها إلى الاستقامة على أمر الدين على بصيرة من أمرها.

ولم تزل سيرة نبيها ﷺ تمثل لها أنبل الصفات والأعمال والأخلاق، وتجسّم المثل والمبادئ الإسلامية أمام أنظارها، فتعمل بدينها حق العمل، اقتداء بتلك السيرة العطرة.

ولم تزل تلك السيرة تصنع في الأمة أجيالاً من البطولات. تحقق القدوة بالنبي ﷺ بدرجة عالية، حتى كأنهم نسخ أخرى لتلك الشخصية الفذة، في صبرها وبلائها ويقينها بالله، وفي تواضعها وزهدها وصدقها مع الله، وفي معاملة الناس، مع الصدق في العمل بدين الله وإيصال منافعه إلى البشر.

وقد كانت لتلك الشخصيات العظيمة الأثر البعيد في جذب الناس إلى الإسلام،

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

واقتناعهم به، ورغبتهم في الدخول فيه والعمل به، ما لم تؤثره الخطب والمواعظ والأقوال البليغة. لأنهم يرون بأعينهم، ويلمسون بأيديهم، مدى الإخلاص والتفاني في حب الله، ومقدار النفع الحاصل بتلك الشموس المضيئة[١].

وقد ضرب ابن عمر رضي الله عنهما أروع الأمثلة في الاقتداء بهدي النبي ﷺ، والاستجابة لسنته، وقد قالت فيه عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر)[٢]، وقال ابن وهب: "عن مالك، عمن حدثه، أن ابن عمر كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك، وعن نافع: أن ابن عمر كان يتّبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس"[٣]، فعلى المدعو أن يقتدي بهدي النبي ﷺ في عموم حياته، ومن ذلك ما ورد في نص الحديث من مراعاة سنن الشراب وآدابه.

---

(١) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر ص ٧٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١١.

(٣) المرجع السابق ٢١٣.

الحديث رقم (٧٥٨)

٧٥٨- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَشْرَبُوا وَاحِداً كَشُرْبِ البَعِيرِ، وَلَكِنِ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلاثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

كشرب البعير: أي كما يشرب البعير دفعة واحدة لأنه يتنفس في الإناء[2].

رفعتم: أي: رفعتم الإناء عن الفم في كل مرة أو في الآخر[3].

الشرح الأدبي

بدأ الرسول ﷺ حديثه بأسلوب النهي، (لا تشربوا واحداً) وهو للإرشاد والتوجيه، بترك هذه العادة، وهي الشرب مرة واحدة، وقد صعَّد درجة التنفير منها عن طريق التشبيه (كشرب البعير) والتشبيه بالبعير يوحي بغياب العقل حيث لا تسمية، ولا حمد، ولا أناة، والبعير يتنفس في إنائه، ولا يعنيه إلا أن يروي ظمأه أما المؤمن فإن له في كل عادة عبادة، وفي كل عمل ذكراً، وحمداً لله - تعالى-، ولذلك استدرك لكي يعرض الصورة الصحيحة البديلة لشرب البعير في قوله: (ولكن اشربوا مثنى، وثلاث) أمر إرشاد وتوجيه بالشرب على مرتين أو ثلاث، وقوله: (وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ) أسلوب شرط محذوف فعل الشرط لدلالة السابق عليه وصياغة المعنى في أسلوب الشرط يجعل التسمية، والحمد عادة مرتبطة بالشرب، فكلما جدَّ شُرب جدَّت تسمية في أوله، وحمد في آخره.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم (١٨٨٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وضعَّف إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/٩٣).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٠٩/٢.

(٣) المرجع السابق ١٦٠٩/٢.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٥٩)

٧٥٩- وعن أَبي قَتَادَة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى أنْ يُتَنَفَّسَ في الإناء. متفق عَلَيْهِ[1].

يعني: يتنفس في نفس الإناء.

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

يتنفس في الإناء: يعني: يتنفس في نَفْس الإناء[2].

الشرح الأدبي

الحديث يؤكد معنى سابقه في النهي عن التنفس في الإناء غير أن هذا الحديث ورد في صورة خبرية يحكيها الراوي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أكد ما يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من مؤكد إشارة إلى أهمية الخبر؛ لأن كل ما يخبرون به عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور المهمة التي تنقاد لها الأمة، ومن ثمَّ كانوا شديدي الحرص على كل ما يرونه عنه صلى الله عليه وسلم، وقد نقل هذا الصحابي نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التنفس داخل الإناء لما يترتب عليه من أضرار منها ما نعلمها كنقل الجراثيم، واستقذار الشاربين بعده، وما لانعلمها، بالإضافة إلى أن التنفس في الإناء يفوِّتُ الأجر المترتب على اتباع السنة، والفعل المضارع (يتنفس) يصور الحدث موضع الخطأ، والجار والمجرور (في الإناء) يحدد موقعه عن طريق الظرفية التي تفيدها (في) أي: داخل الإناء؛ لأن التنفس في أثناء الشرب خارج الإناء مباح - كما سيتضح في الأحاديث التالية -.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٠)، ومسلم (٢٦٧/٦٥) واللفظ له.

(٢) رياض الصالحين ٣٢٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والتوضيح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن التنفس في الإناء.

أولاً - من صفات الداعية: البيان والتوضيح

قد أمر الله تعالى بالدعوة إلى سبيله وتعريف الناس به، فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[2]، وهذا لا يكون إلا ببيان الحق وتوضيحه للناس، وهذا ما يستفاد من الحديث في بيان أبي قتادة رضي الله عنه لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التنفس في الإناء.

ولقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا ويبينوا الحق للناس فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3].

والميثاق هو العهد المؤكد الذي أُخذ على أهل الكتاب بوساطة الأنبياء عليهم السلام (لتبيننه) لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار، حتى يعرفه الناس على وجهه الصحيح...، وقد أشارت الآية إلى أن الواجب على العلماء وعلى كل من يفهم كتاب الله أن يبينه ويوضحه، ويظهر ما فيه من عظة وأسرار في الأحكام العامة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأحكام الدينية، علاقتها بصالح الأمة - وها نحن نأمل أن يوقظ الله العلماء، فيثابروا ويتعاونوا، ويستهينوا بالصعاب، حتى يخرجوا للناس كنوز الدين بما يلائم المجتمع الحاضر. فإن الواجب ينحصر في شيئين:

أ/ تبيين الدين وحقيقته لغير المؤمنين حتى يهتدوا به ويدخلوا فيه.

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

ب/ تبيينه للمسلمين حتى يهتدوا به ويفهموه على حقيقته، ويعرفوا مخلصين أنه الطريق الوحيد للخلاص من كل ما يضرنا ويؤذينا من خلق فاسد، وداء كامن، ومستعمر جائر، فوالله! أيها الناس لا خلاص لنا إلا بالدين، ولا خير إلا في القرآن فتعلموه وافهموه وادرسوه تكونوا من الناجين في الدنيا والآخرة، وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا"[1].

"فعلى الداعية أن يوضح الحق ويبينه للناس، ويكون كالغيث أينما وقع نفع، فإن قصر في قيامه بذلك استحق من الله -على علمه الذي كتمه ولم يبينه- عظيم العقوبة"[2].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ الله بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[3].

قال الخطابي: "الممسك عن الكلام مُمثَّلٌ بمن ألجم نفسه كما يقال: التقيُّ ملجم. وكقول الناس: كلّم فلانًا فاحتجَّ عليه بحجة ألجمته، أي أسكتته.

والمعنى: أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له: يعاقب في الآخرة بلجام من نار، وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة الذنب، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[4]، قال: وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه. ويتعين عليه فرضه. كمن رأى كافرًا يريد الإسلام يقول: علموني ما الإسلام، وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث العهد بالإسلام لا يُحسن الصلاة، وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي، وكمن جاء مستفتيًا

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١/٤/٥٨ - ٦٠.

(٢) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، طلعت محمد عفيفي ص ١٣٥.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٦٥٨، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٦).

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

في حلال أو حرام يقول: أفتوني، وأرشدوني، فإنه يلزم في مثل هذه الأمور أن لا يمنعوا الجواب عما سألوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك كان آثمًا مستحقًا للوعيد والعقوبة وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: النهي عن التنفس في الإناء:

يؤكد الحديث على ما جاء في أحاديث الباب من النهي عن التنفس في الإناء، أو النفخ فيه، لئلا يحصل تغير في الطعام من آثار النفس، إما بسبب تغير فم المتنفس من مأكول أو عدم تنظيفه، أو لأن النفس يخرج معه شيء من المعدة، لهذا كله جاء النهي عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه سواء كان مملوءًا طعامًا أو ماءً.

قال النووي: "والنهي عن التنفس في الإناء هو من طريق الأدب، مخافة من تقذيره ونتنه، وسقوط شيء من الفم والأنف فيه ونحو ذلك"[2].

وقال ابن حجر: "جاء في النهي عن النفخ في الإناء عدة أحاديث، وكذا النهي عن التنفس في الإناء، لأنه ربما حصل له تغير من النفس، إما لكون المتنفس كان متغير الفم بمأكول مثلاً، أو لبعد عهده بالسواك والمضمضة، أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة، والنفخ في هذه الأحوال كلها أشد من التنفس"[3].

وقال أيضًا: "قال المهلب: النهي عن التنفس في الشراب كالنهي عن النفخ في الطعام والشراب، من أجل أنه قد يقع فيه شيء من الريق فيعافه الشارب ويتقذره، إذ كان التقذر في مثل ذلك عادة غالبة على طباع أكثر الناس، ومحل هذا إذا أكل وشرب مع غيره، وأما لو أكل وحده أو مع أهله أو من يعلم أنه لا يتقذر شيئًا مما يتناوله فلا بأس، قلت: والأولى تعميم المنع، لأنه لا يؤمن مع ذلك أن تفضل فضلة أو يحصل التقذر من الإناء أو نحو ذلك، وقال ابن العربي: قال علماؤنا هو من مكارم الأخلاق، ولكن يحرم

---

(١) معالم السنن ٢٥١/٥ - ٢٥٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٩٥/١٠.

على الرجل أن يناول أخاه ما يتقذره، فإن فعله في خاصة نفسه ثم جاء غيره فناوله إياه فليعلمه، فإن لم يعلمه فهو غش، والغش حرام.. إلخ"[1]، وفي ذلك دليل على عظمة هذا الدين ومراعاته لأحوال ومشاعر المدعوين.

(١) المرجع السابق ٩٦/١٠.

الحديث رقم (٧٦٠)

٧٦٠- وعن أنس ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بماءٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أعْرَابِيٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، فَشَرِبَ، ثُمَّ أعْطَى الأعْرابيَّ، وقال: **((الأيْمَنَ فالأيْمَنَ))** متفق عَلَيْهِ[1]. فوله: "شيبَ" أي: خُلِط.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في التيامن، يؤسس مبدأً من المبادىء الاجتماعية التي تحافظ على روابط المجتمع المسلم؛ لأن البدء باليمين - خاصة في المجلس الذي يضم مختلف الطبقات - ينفي فكرة التمييز بين الناس نظراً للشرف، أو الوضاعة التي تحدث التفكك الذي يحاربه الإسلام.

والحديث يبدأ بأسلوب التوكيد الذي يمهِّد للخبر حتى يدخل على النفس دخول المأنوس فتتلاقاه بالقبول، والإذعان، وقوله: (أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ) بناء الفعل للمجهول إما لجهل الراوي بالفاعل، أو لعدم تعلق فائدة بذكره، وقوله (شيب بماء) خلط بماء لقلة اللبن، أو لكثرة الشاربين، أو لتبريده لأنهم في بلاد حارة، واللبن حال حلبه يكون ساخناً، وقوله: (من البئر) بالتعريف اللام فيه للعهد أي البئر المعهود لهم، وقوله: (وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ) يشير إلى المفارقة في اختيار من يبدأ به بصاحب المنزلة، والشرف أبي بكر الصديق، أم بمن على اليمين وهو الأعرابي، وقوله (فَشَرِبَ ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرَابِيَّ) قرار فعلي بالبدأ باليمين، وقوله: (وَقَالَ الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ) قرار قولي يؤكده، ورواية النصب على تقدير فعل محذوف أي: أعطوا، أو قدموا الأيمن، وحرف العطف (الفاء) يفيد الترتيب، والتعقيب فهو ﷺ يحب التيمن في كل شيء.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦١٩)، ومسلم (٢٠٢٩/١٢٤) واللفظ له.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم التيامن في مناولة الشراب: ذهب الجمهور إلى أنه يستحب أن يقدم من على يمين الشارب في الشرب، لبنًا كان الشراب، أو غيره، فيناول الأيمن فالأيمن وهلم جرا، ولو صغيرًا أو مفضولاً، لأن النبي ﷺ قدم الأعرابي على أبي بكر، والغلام على الأشياخ. ليس ترجيحًا لمن هو على اليمين، بل هو ترجيح لجهته، وهو فضلها على جهة اليسار، أما تقديم الأفاضل أو الأكابر، فإنما هو في الحالة التي يجلسون فيها متساوين، إما بين يدي الكبير، أو عن يساره كلهم، أو خلفه، أو حيث لا يكون فيهم، فتخص هذه الصورة من عموم تقديم الأيمن، أو يخص من عموم الأمر بالبداءة بالكبير ما إذا جلس بعض عن يمين الرئيس وبعض عن يساره، ففي هذه الصورة يقدم الصغير على الكبير، والمفضول على الفاضل[1].

بينما ذهب ابن حزم الظاهري إلى أن من شرب يجب عليه أن يناول الأيمن منه، فالأيمن، ولا بد، كائنًا من كان[2].

وذهبوا إلى أنه يتوجب على الشارب أن يستأذنه في مناولته الأكبر، فإن لم يأذن ناوله له، لأن حكم التيامن في المناولة آكد من حكم السن[3].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢١٢/١، والقوانين الفقهية ٢٧٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

(٢) المحلى، ابن حزم ٢٣٢/٦.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٣٠/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥، والمحلى، ابن حزم ٢٣٢/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الشراب.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الشراب:

إن التيمن من أدلة كمال الإيمان، وحسن الإذعان، وهو من شعائر الإسلام، وقد بينه ابن الأثير في قوله: "الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن"[(١)]، وقال ابن حجر نقلاً عن النووي: "إن قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتزيين وما كان بضدهما استحب فيه التياسر"[(٢)].

وقد كانت العادة جارية بتقديم الأيمن في الشرب وغيره، فبين النبي ﷺ بفعله وقوله أن تلك العادة لم يغيرها الشرع، وأن السنة تقديم الأيمن وإن كان الأيسر أفضل منه"[(٣)].

وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: (الأيمن فالأيمن).

قال ابن هبيرة: "وفي الحديث الحجة على أن صاحب اليمين أحق بالسؤر، ولما كان الأعرابي صاحب ذلك الحق، قدمه على أبي بكر في تلك المرة، وذلك من أجل أن أبا بكر في الغالب هو صاحب اليمين عند رسول الله ﷺ، فهو يتناول سؤره دائمًا، فأراد ﷺ أن يعطي الأعرابي لكونه جلس في مكان أبي بكر مرة، فإن أبا بكر يسبق الناس إلى اليمين مرات كثيرة؛ فلا أرى أن الأعرابي جلس عن يمين رسول الله ﷺ في تلك إلا لكونه سبق إلى الجلوس عند رسول الله ﷺ؛ أو لأنه قد وفد من

---

(١) ل في (ي م ن).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٥/١.

(٣) تطريز رياض الصالحين، فيصل عبدالعزيز ص ٤٧٩.

مكان بعيد أو نحو ذلك، وإلا فيمين رسول الله ﷺ أفضل المجالس عنده، ومن عدله ﷺ أنه يخص بالأفضل من مجلسه الأفضل من أصحابه رضي الله عنهم، وهذا مقام أبي بكر رضي الله عنه"[١].

ولكنه ﷺ لم يقدم أبا بكر رضي الله عنه ولم يستأذن الأعرابي في ذلك على عكس ما ورد في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ. فَشَرِبَ مِنْهُ. وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ. فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: ((أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَـٰؤُلاَءِ؟)) فَقَالَ الْغُلاَمُ: لاَ. وَاللَّهِ لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا. قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي يَدِهِ[٢].

وقد بين القاضي عياض: "أن النبي ﷺ استأذن الغلام ولم يستأذن الأعرابي استئلافًا للأعرابي، وحذر الحماسة من استئذانه في صرفه عنه لأصحابه، وقرب عهده بأنفة الجاهلية، واستأذن الغلام - وهو ابن عباس - ثقة منه بطيب نفسه باستئذانه بدفعه للأشياخ والكبراء من آله وقومه...، وقد يكون لم يستأذن الأعرابي للعادة عندهم في جري الشراب عندهم عن اليمين، كما قال:

صددت الكأس عنا أم عمرو وكأن الكأس مجراها اليمينا

فلو استأذنه لظن به غضاضة منه، وتقصيرًا في حقه مع أنفة الجاهلية، وجفاء الأعرابي"[٣].

وهذا ما بينه القرطبي في قوله: "والغلام الذي كان يمين النبي ﷺ هو عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وإنما استأذن النبي ﷺ الغلام، ولم يستأذن الأعرابي في الحديث الآخر، وبدأ به قبل أبي بكر رضي الله عنه لما علم النبي ﷺ من حال الغلام: أن ذلك الاستئذان لا يخجله ولا ينفره لرياضته، وحسن خلقه، ولينه بخلاف الأعرابي؛ فإن الجفاء والنُّفرة غالبةٌ على الأعراب، فخاف عليه أن يصدر منه سوءُ أدب والله أعلم"[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨/٥ - ١٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٣٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٩٧/٦.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٩١/٥.

"فالتيامن في الأكل والشرب وجميع الأشياء من السنن"[١]، وهذا ما أكدته السيدة عائشة رضي الله عنها في قولها: ((كان النبيُّ ﷺ يُعجبهُ التَّيمُّنُ في تَنَعُّلِهِ وتَرَجُّلِهِ وطُهورِهِ في شأنِهِ كلِّه))[٢].

قال ابن حجر في قول عائشة رضي الله عنها: "(يعجبه التيمن) إذ هو لفظ مشترك بين الابتداء باليمين وتعاطي الشيء باليمين، والتبرك وقصد اليمين، وقيل إنه ﷺ كان يحب اليمين، لأنه كان يحب الفأل الحسن، إذ أصحاب اليمين أهل الجنة"[٣].

ثانيًا – من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ:

(إن مبعث الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله ﷺ، اصطفاه الله لهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤])[٥]، فهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله"[٦].

(والأمر لا يتوقف عند حد الأفراد، بل إنه لا فلاح لأمة بعث فيها النبي ﷺ إلا في اتباعه وإيثاره والاجتماع تحت رايته، والتمسك بأهدابه والسير في ركابه بعز عزيز وذل ذليل، فلا تفلح أمة مهما أوتيت من الحول والطول والذكاء والوسائل، ومهما تقدم

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٩٩/٦.

(٢) أخرجه البخاري ١٦٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٦٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٠/٢.

الزمان وتقدمت الحضارة، وتنوعت الفلسفات وتغيرت الأحوال، إلا باتباع هذا النبي والحب له والانتصار لدعوته، رضيت بذلك أم أبيت، وكل أمة تحاول أن تنال العزة والسؤدد والكرامة والقوة الحقيقية عن غير هذا الطريق، معتمدة على سياستها الحكيمة، أو الانضمام إلى معسكر من المعسكرات القوية، فلن يكون ذلك، وليس عاقبتها إلا الذل والهوان والإخفاق الذريع، والانشقاق الداخلي، والخيبة عاجلاً أو آجلاً، فعلى الأمة جمعاء أن تقتدي بالنبي ﷺ في أمره كله دقيقه وجليله"[1]، ومن ذلك اتباع تيمنه في الشراب كما ورد في نص الحديث.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه، وبيان سنة نبيه ﷺ، وقد رغب الحق تبارك وتعالى في ذلك قائلاً: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، وعنه ﷺ أنه قال: ((نَضَّرَ الله امْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ....))[3]، وقد أفاد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث، بيان هدي النبي ﷺ في اتباع التيمن في الشراب.

---

(١) انظر: النبوة والأنبياء، أبو الحسن الندوي ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٨).

الحديث رقم (٧٦١)

٧٦١- وعن سهلِ بن سعدٍ ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِشرابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أشْيَاخٌ، فَقَالَ للغُلامِ: ((أتَأْذَنُ لِي أنْ أُعْطِيَ هؤُلاَءِ؟)) فَقَالَ الغُلامُ: لا واللهِ، لا أُوثِرُ بنَصيبي مِنْكَ أَحَداً. فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ في يَدِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قَوْله: (تَلَّهُ) أيْ وَضَعَهُ. وهذا الغلامُ هُوَ ابْنُ عباس ﷺ.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

الغلام: هو عبدالله بن عباس ﷺ[2].

تَلَّه: وَضَعه[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه يقرر بطريق عملية سنة فعلية، وهي التيمن، وقد بدأ الصحابي الحديث بأسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة تصدَّره حرف التوكيد (أن) مع اسمية الجملة لاستعظام الصحابة النقل عن الرسول ﷺ ثم رغبة منهم في نقل هذا التعظيم إلى المخاطبين بنفس الدرجة؛ ولذلك نجد أن أساليب التوكيد تتقدم تحديث الصحابة عن الرسول ﷺ كثيراً مع أنهم لا يواجهون بتكذيب، ولا إنكار.

وقوله (وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ) في العبارة طباق بين اليمين، والشمال، وبين لفظ غلام، وأشياخ يوضح المفارقة التي سببت هذا الموقف، لأن سنته ﷺ البدء باليمين، وعلى يمينه غلام، وعلى شماله أشياخ، فأراد النبي ﷺ أن يخرج من هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥١)، ومسلم (٢٠٣٠/١٢٧)، وتقدم برقم (٥٦٩).

(٢) رياض الصالحين.

(٣) رياض الصالحين.

الموقف دون أن يتعدى على حق الغلام، أو يجرح الأشياخ فقال للغلام (" أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاءِ) وهو أسلوب استفهام قصد به طلب الإذن، تأمل هذا المشهد النبي ﷺ مع جلال قدره يطلب الإذن من صبي ! أرأيت كيف يربي طفل الإسلام؟ وكيف يبني شخصيته ويربي فيه ملكة التفكير وحرية اتخاذ القرار؟ بما يجعله فرداً صالحاً ينفع أمته، ويخدم دينه، وتأمل ردَّه لِتَعلَم أثر التربية النبوية قال (وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْك أَحَدًا) فقد بدأ بأسلوب القسم بلفظ الجلالة (الله) مما يدل على الجزم بما بعده، ثم إن اعتزازه بنفسه، وتمسكه بحقه لم ينسه مقام رسول ﷺ فجاء نداؤه (يا رسول الله) نداء تكريم، ومحبة حيث استخدم (يا) التي لنداء البعيد مع قرب النبي ﷺ منه إقراراً بعلو مكانته، ثم نداء الرسول ﷺ بلقبه دون اسمه، ثم إضافته لله تشريفاً وتكريماً، وتقديم الجار والمجرور (بنصيبي) يفيد إعتزازه، وتمسكه بحقه، وتقديم الجار والمجرور (منك) على المفعول (أحداً) يشير إلى أن سرَّ تمسكه به هو كونه من رسول الله ﷺ يريد أن ينال شرف الشرب من المكان الذي شرب منه رسول الله ﷺ، ولذلك احترم الرسول رغبته وأعطاه إياه (هذا الغلام أصبح حبر الأمة، ابن عباس رضي الله عنهما.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٥٦٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً-تعليم آداب الشرب:

إن من الآداب التي تهدف التربية الإسلامية إلى تعليمها معرفة آداب الشرب، وذلك اقتداءً برسول الله ﷺ، وعنوان الباب الذي أورده الإمام النووي يشير إلى هذا فهو في بيان آداب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وكراهة التنفس فيه واستحباب إدارة الإناء على الأيمن، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا حديث أنس رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثًا" وحديث ابن عباس رضي الله عنهما "لا تشربوا واحدًا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا إذا أنتم شربتم واحمدوا إذا رفعتم". وحديث أبي قتادة رضي الله عنه "أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء".

ففي جملة هذه الأحاديث بيان وتعليم لآداب الشرب ومنها استحباب التنفس خارج الإناء ثلاثًا، والنهي عن الشرب من نَفَسٍ واحد للتنزيه والأمر بالتسمية عند الشراب، والحمد عند الفراغ، والنهي عن التنفس في نفس الإناء.

قال ابن القيم: (والشراب في لسان الشارع وحملة الشرع: هو الماء ومعنى تنفسه في الشراب: إبانته القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود إلى الشراب كما جاء مصرحًا به، وفي هذا الشرب حِكَم جمة وفوائد مهمة، وقد نبه ﷺ على مجامعها بقوله "إنه أروى وأمرأ وأبرأ" فأروى أشد ريًا، وأبلغه وأنفعه وأبرأ: أفعل من البرء وهو الشفاء، أي يبرئ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجزت الثانية عنه، وأيضًا فإنه أسلم لحرارة المعدة، وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة. وأيضًا فإنه لا يروى لمصادفته لحرارة العطش لحظة ثم يقلع عنها، ولما تكسر سَوْرتُها وحِدَّتها، وإن انكسرت لم تبطل بالكلية بخلاف كسرها على التمهل والتدريج.

وأيضًا فإنه أسلم عاقبة، وآمن غائلة من تناول جميع ما يُروي دفعة واحدة، ومن آفات الشرب نهلة واحدة أنه يُخافُ منه الشَّرَق بأن يَنْسدَّ مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فيغصَّ به، فإذا تنفس رويدًا ثم شرب، أمن من ذلك، وللتسمية في أول الطعام

والشراب وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه، ودفع مضرته)[١].

إن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، ولذا ينبغي تعلم آداب الشرب التي أرشد إليها رسول الله ﷺ.

(ومن آداب الشرب أن لا يتنفس الشارب في الإناء، ولا ينفخ فيه، وجاء في ذلك أحاديث صحيحة، والنهي عن التنفس في الإناء هو من طريق الأدب مخافة من تقذيره ونتنه وسقوط شيء من الفم والأنف فيه ونحو ذلك)[٢].

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية النافعة التربية بالممارسة العملية حيث يقوم المربي بالتطبيق والتنفيذ العملي لما يأمر به مما يكون له أبلغ الأثر في نجاح العملية التربوية، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على هذا حديث أنس ﷺ "أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثا" ففي هذا تطبيق وممارسة عملية من الرسول ﷺ لاستحباب التنفس خارج الإناء ثلاثًا.

(إن أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة، والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج، وشعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور وترك الكسل والتواكل، ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران. كما أن الدين الإسلامي يطالب كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة أو ما يتعلق بشؤون الدنيا)[٣].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٠-٢٣١.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٦٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

ثالثًا-التربية بالمواقف والأحداث:

تعتبر التربية بالمواقف والأحداث من الأساليب التربوية المؤثرة في العملية التربوية حيث إنه من خلال الموقف والحدث يغرس المربي الآداب والإرشادات التربوية التي تثبت في ذهن المتلقي، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا حديث أنس بن مالك ﷺ "أن رسول الله ﷺ أتى بلبن شيب بماء وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبوبكر ﷺ فشرب ثم أعطى الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن".

وكذلك حديث سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ فقال للغلام أتأذن لي أن أعطي هؤلاء فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا فتلّه رسول الله ﷺ في يده".

ففي جملة هذين الحديثين بيّن النبي ﷺ أدبًا من آداب الشرب وهو مناولة الأيمن فالأيمن وذلك من خلال الحديث والموقف.

(إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، فكان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة وبهذا يرتبط العلم بالحياة، ويتصل الدين بالواقع)[1].

إن المربي البارع الحريص على نجاح العملية التربوية لا يترك الأحداث والمواقف تمر دون أن يستغلها في التعليم والتوجيه والإرشاد وغرس القيم والسلوكيات الصحيحة.

رابعًا-الاستجابة للحقوق المشروعة للطفل:

إن من الأسس التربوية في تربية الطفل الاستجابة للحقوق المشروعة للطفل مما يعطيه دافعًا نفسيًا، وسلوكًا إيجابيًا، ومما يدلل على ذلك في أحاديث الباب حديث سهل بن سعد ﷺ "أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

يساره أشياخ فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا فتلّه رسول الله ﷺ في يده".

ففي هذا الحديث استجاب النبي ﷺ للحق المشروع للغلام بأن أعطاه قبل الأشياخ لأنه كان على اليمين، وفي هذا تعليم للمربين بضرورة الاستجابة لحقوق الطفل المشروعة.

(إن إعطاء الطفل حقه وقبول الحق منه يغرس في نفسه شعورًا إيجابيًا نحو الحياة، ويتعلّم أن الحياة أخذ وعطاء، كذلك فإنه تدريب للطفل على الخضوع للحق، فيرى أمامه قدوة صالحة، وإن تعوده العدل في قبول الحق، ورضوخه له تتفتح طاقته لترسم طريقها في التعبير عن نفسه، ومطالبته بحقوقه، وعكس هذا يؤدي إلى كبتها وضمورها، فهذا رسول الله ﷺ يستأذن غلامًا على يمينه لكي يتنازل عن حقه ليعطيه للكبير الذي على يساره، فإذا بالطفل لا يؤثر سُؤْرَ رسول الله ﷺ على نفسه لأحد أبدًا فيعطيه رسول الله ﷺ الإناء ليشرب ويهنأ في الاستمتاع بحقه)[1].



(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٨٢.

١١٢- باب كراهة الشرب من فم القِربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم

الحديث رقم (٧٦٢)

٧٦٢- عن أَبي سعيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁، قَالَ: نَهَى رسول الله ﷺ عن اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ. يعني: أن تُكْسَرَ أفْوَاهُها، وَيُشْرَبَ مِنْهَا. متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

ساق الصحابي الحديث في صورة خبرية خالية من المؤكدات مساق الخبر المعلوم الذي لا ينكره أحد أو يشك فيه، وقد حكى النهي بطريق الخبر في قوله (نهى رسول الله) وقوله (اختناث) أي كسر أفواهها ليشرب منها ومعنى هذا النهي - والله أعلم - على وجه الأدب لجواز أن تكون في أفواهها حية، أو بعض الهوام لا يراها الشارب، فيدخل في حلقه، وقد قيل: إن ذلك على سبيل التقذر؛ لأنه يدخلها في فيه وهو من الآداب التي فيها وقاية للمسلمين مما يمكن أن يؤذيهم.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[2] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم الشرب من فم القربة ونحوها: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يكره "تنزيهًا" الشرب من فم السقاء، ونحوه، لأنه لا يؤمن من دخول شيء من الهوام مع الماء في جوف السقاء، فيدخل فم الشارب وهو لا يدري. فعلى هذا لو ملأ السقاء وهو يشاهد الماء

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٢٥) واللفظ له، ومسلم (٢٠٢٣/١١١). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٣٦).

(٢) أي أحاديث الباب.

الذي يدخل فيه ثم يربطه ربطًا محكمًا، ثم لما أراد أن يشرب حله فشرب منه لا يتناوله النهي، وقيل: إن الذي يشرب من في السقاء قد يغلبه الماء، فينصب منه أكثر من حاجته، فلا يأمن أن يشرق به أو تبتل ثيابه[1].

ونقل ابن التين وغيره عن مالك أنه أجاز الشرب من أفواه القرب وقال: لم يبلغني فيه نهي[2].

وجزم ابن حزم بأنه يحرم، لثبوت النهي[3].

والأولى التفريق بين ما يكون لعذر، كأن تكون القربة معلقة، ولم يجد المحتاج إلى الشرب إناء، ولم يتمكن من التناول بكفه، فلا كراهة حينئذ -وعلى هذا يحمل حديث أم ثابت- وبين ما يكون لغير عذر فتحمل عليه أحاديث النهي.

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وتحذيرهم مما يضرهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: كراهة الشرب من فم الأسقية والأواني واختناثها.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي صريحًا في الحديثين[5] في قوله: (نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية)، وقوله: (نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة المفيدة، لما فيه من توجيه المدعو إلى الاحتراز عما يضره ويجلب إليه الكدر في معاشه ومعاده.

---

(١) شرح معاني الآثار ٤٠٤/٥، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٦/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٥٢٢/٨.

(٣) المحلى، ابن حزم ٢٢٨/٦.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٦٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٦٣).

(٥) حديث رقم (٧٦٢)، (٧٦٣).

ثانيًا - من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وتحذيرهم مما يضرهم:

إن الدعوة إلى الله تفرض على أصحابها ضرورة إبلاغها للآخرين ونقلهم إلى نور العلم والإيمان، وتحذيرهم مما يضرهم أو يلحق الأذى بهم في دينهم أو دنياهم[1]، وقد بيّن الحديث خوف الداعي على المدعوين وتحذيرهم مما يضرهم، ودليل ذلك: (نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية - يعني أن تكسر أفواهها ويشرب منها)، وقوله: (نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة)، وذلك انطلاقًا من الحفاظ على صحة المسلم، وعدم انتقال الأوبئة[2].

فهذه الوصايا وغيرها في كيفية الشرب، والحرص على أن يتناوله بطريقة صحيحة لا تكون سببًا في وصول الأذى إلى الإنسان، تشير إشارة واضحة إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ من معرفة عميقة في صحة الأبدان، لا تقل عن معرفته بصحة الأرواح، فسبحان من جمع له العلوم وملكه بنواصي جوامع الكلم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: كراهة الشرب من فم الأسقية والأواني واختناثها:

ورد في الحديث النهي عن الشرب من فم القربة ونحوها، فإنه لا يؤمن من دخول شيء من الهوام مع الماء في جوف السقاء فيدخل فم الشارب وهو لا يشعر[4]، ولأنه يقذره على غيره ولأنه ينتنه بتردد أنفاسه، ولأنه ربما غلبه الماء فتضرر به، إضافة إلى أنه لا يتمكن من حسن الشراب[5]، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية"، قال المازري: (وتفسير ذلك بأن يُقلب رأسها ثم يشرب منها، وأصل

---

(١) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق"، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٣١.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ١/٢٦٦ - ٢٦٧.

(٣) سورة النجم الآيات: ٣ - ٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٩٤.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/٣١٤ - ٣١٥.

كلمة: "اختناث" من التكسر والتثني واللين، ومنه سمي الرجل المتشبه بالنساء في طبعه وكلامه مخنثًا، لتكسُّر ولين معاطفه، ويحتمل أن يكون منهي عنها لئلا ينال الشارب أذى مما يكون في الماء ولا يشعر به، لأنه يشرب ما لا يبصر، أو يكون ذلك لأنه يغير رائحة السقاء بما يكتسبه من نكهة الشارب)[1].

وقال القاضي عياض: (قال ابن دريد: اختناث الأسقية كسر أفواهها إلى خارج ليشرب منها، فأما كسرها إلى داخلها فهو القبع، والنهي عن هذا كله، والأمر به عند العلماء من باب الأدب والترغيب، لا من باب الواجب والفرض، وقد قيل في النهي عن اختناث الأسقية والشرب من فم السقاء أنه للتقذر أيضًا لإدخالها في فيه، أو إدخال شفتيه فيها، أو لما يخشى من وقوع بصاقه فيها أو غيره، وفي النهي عن اختناث الأسقية قيل: قد يكون للتقذر أيضًا مخالفة ما يكون برأسها، وما تطويه من خارجه من قذر، فينعكس عند جلبه في الماء فيقذره)[2].

قال النووي: "واتفقوا على أن النهي هنا نهي تنزيه لا تحريم"[3].

وإنما الذي ينبغي هو صب الشراب في إناء أو كوب ثم الشرب منه[4]، وقد ذكر أهل العلم بعض الحكم التي من أجلها جاء هذا النهي نذكر منها:

١/ أن تردد أنفاس الشارب فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يعاف لأجلها.

٢/ أنه ربما يكون في القربة أو السقاء حشرات أو قذاة أو غيرها لا يشعر بها الشارب فتدخل جوفه فيتضرر بها.

٣/ أنه ربما يخالط الماء شيء من ريق الشارب فيقذره على غيره[5].

٤/ أن ريق الشارب ونَفَسَه قد يكون ممرضًا غيره، لما ثبت عند الأطباء أن العدوى

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢/٢١٤ - ٢١٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤٨٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨١.

(٤) كتاب الآداب، فؤاد عبدالباقي الشلهوب ص ١٦٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٩٤، زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٣.

قد تنتقل عن طريق الريق والنفس، لذا كان الحديث سابقًا لغيره في مراعاة الحفاظ على الصحة، والوقاية من الأمراض وحجرها، مما يسهل القضاء عليها.

الحديث رقم (٧٦٣)

٧٦٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: نَهَى رسول الله ﷺ أن يُشْرَبَ مِنْ فِيِّ[(١)] السِّقَاءِ، أَوْ: القِرْبَةِ. متفق عَلَيْهِ[(٢)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فيِّ السقاء أو القربة: أي فم السقاء أو القربة[(٣)].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى الحديث السابق من حيث تصدِّيه لعلاج بعض الأخطاء الاجتماعية في الطعام، والشراب، وهومن باب وقاية المسلمين من تبعة تتابع الأفواه على مكان واحد، وما يمكن أن ينقله من جراثيم، وإذا نظرت إلى قيمة هذه التوجيهات - خاصة في زماننا - الذي كثرت فيه الأوبئة وسهل تنقلها بسبب الغفلة عن مثل هذه التوجيهات أدركت قيمتها، وعلمت بعد نظر الرسول ﷺ في الزمان والمكان لأنه نبي الناس إلى يوم القيامة، وتوجيهاته صالحة لكل زمان إلى قيام الساعة، بالإضافة إلى أن تعدد الأفواه على في السقاء الواحد مما يستقذره كثير من الناس

(١) لفظ البخاري: (فم). والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه، وهو لفظ الحاكم (١٤٠/٤) فقد عزاه المنذري في ترغيبه إلى البخاري، والحاكم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٢٧)، وهو من أفراده كما في الجمع للحميدي (١١٠/٢، رقم ١١٦٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٧).

تنبيه: عزا المؤلف هذا الحديث إلى الشيخين بهذا اللفظ، وليس كذلك وإنما في آخر الحديث عند البخاري زيادة: (وأن يمنع جاره أن يغرز خشبة في جداره)، فهذا اللفظ هو المتفق عليه، أخرجه مسلم برقم (١٣٦/١٦٠٩). وعزاه المنذري في ترغيبه (٣١٢٧) إلى البخاري والحاكم، وأشار إلى الزيادة التي في آخر الحديث عند الحاكم.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٣/١٠.

وقد ساق الصحابي الحديث بأسلوب خبري يتناسب مع الجو النفسي للمتكلم والمخاطبين حيث لم يواجه بإنكار، ولم يقابل بشك، والتعبير بإن المصدرية والفعل المضارع في قوله (أن يشرب) دون المصدر الصريح (الشرب) لأن المصدر المنسبك من أن والفعل بالإضافة إلى أنه يؤدي المعنى الذي يؤديه المصدر نفسه، فإنه يستحضر الصورة، المنهي عنها صورة تتابع الشاربين على في سقاء واحد، الأمر الذي يحدث في النفس قناعة عقلية بالنهي بعد القناعة القلبية الحاصلة من نهي الرسول ﷺ.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٦٤)

٧٦٤- وعن أمِّ ثابتٍ كَبْشَةَ بنتِ ثابتٍ أُختِ حَسَّانَ بن ثابتٍ رضي الله عنهما، قالت: دخل عَلَيَّ رسولُ الله ﷺ فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا، فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

وإنَّما قَطَعَتْهَا: لِتَحْفَظَ مَوْضِعَ فَمِ رسول الله ﷺ، وَتَتَبَرَّكَ بِهِ، وتَصُونَهُ عَنِ الابْتِذَال. وهذا الحديث محمولٌ عَلَى بيان الجواز، والحديثان السابقان لبيان الأفضل والأكمل، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

كبشة بنت ثابت: هي كبشة - ويقال كُبيشة - بنت ثابت بن المنذر بن حرام الأنصارية، وهي أخت شاعر الرسول حسان بن ثابت لأبيه.

كان يقال لها: البَرْصاء، كأنه لقبٌ لها.

وكانت من نساء الأنصار اللاتي أسلمن وبايعن رسول الله ﷺ على الإيمان بالله وعلى فضائل الأعمال والأخلاق، وعلى السمع والطاعة.

وقد روى عنها حفيدها عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، وليس لها إلا هذا الحديث المشروح[2].

غريب الألفاظ:

فيها: فمها[3] وإنما قطعتها؛ لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ وتتبرك به، وتصونه

---

(١) برقم (١٨٩٢). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣١٨).

(٢) الطبقات (٤٤٩/٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٣٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٤٠/٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٥٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٧٢/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٨٦/٤).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٢/٢.

عن الإبتذال. وهذا الحديث محمول على بيان الجواز، والحديثان السابقان لبيان الأفضل والأكمل، والله أعلم[1].

الشرح الأدبي

تروي الحديث إحدى الصحابيات الجليلات بأسلوب خبري مجرد من عوامل التوكيد عارٍ عن أدوات التنبيه، مما يوحي بيقظة المخاطبين، وإقبالهم عليها كما يوحي بثقتها في عدم إنكار المخاطبين للخبر، أو الشك فيه.

وقولها: (دخل... فشرب) الفاء تدل على الترتيب، والتعقيب، وفيه إشارة إلى شدة عطشه ﷺ وقولها: (من قربة معلقة) فيه تواضع من الرسول ﷺ ودماسة خلق ومودة، وهذا الحديث محمول على بيان الجواز، والحديثان السابقان لبيان الأفضل، والأكمل، وقولها: (فَقُمْت إِلَى فِيهَا فَقَطَعْته) قَالَ التِّرْمِذِيّ: وَقَطْعهَا لِفَمِ الْقِرْبَة فَعَلَتْهُ لِوَجْهَيْنِ: أَحَدهمَا أَنْ تَصُونَ مَوْضِعًا أَصَابَهُ فَم رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ يُبْتَذَل وَيَمَسّهُ كُلّ أَحَد، وَالثَّانِي أَنْ تَحْفَظهُ لِلتَّبَرُّكِ بِهِ وَالاسْتِشْفَاء. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَهَذَا الْحَدِيث يَدُلّ عَلَى أَنَّ النَّهْي لَيْسَ لِلتَّحْرِيمِ. وَاللَّهُ أَعْلَم[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: شرب النبي ﷺ من فم القربة.

ثانيًا: من آداب الداعي: بيان اليسر في الإسلام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تبرك أم ثابت بأثر النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: شرب النبي ﷺ من فم القربة:

ورد في الحديث شرب النبي ﷺ من فم القربة، "فشرب من في قربة معلقة قائمًا" قال النووي: (هذا الحديث محمول على بيان الجواز والحديثان السابقان اللذان نهى فيهما ﷺ عن الشرب من فم السقاء، النهي فيهما محمول على بيان الأفضل

(١) رياض الصالحين ٣٢٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم حديث (٣٧٦٩).

والأكمل)[١]. قال ابن علان: (وإنما شرب النبي ﷺ من فم القربة؛ لبيان أن النهي عن الشرب من فم القربة ليس على سبيل التحريم بل على سبيل التنزيه، أو أنه فعل ذلك لعدم إمكان الشرب حينئذ إلا كذلك)[٢].

ثانيًا - من آداب الداعي: بيان اليسر في الإسلام:

إن من أهم الآداب التي ينبغي أن يحرص عليها الداعية، بيانه للناس ما في الإسلام من يسر، فدين الإسلام دين يسر وشريعة سمحاء، وإن المتأمل في الكتاب والسنة ليظهر له بجلاء، أن اليسر مقصد من مقاصد الشريعة وأصل مقطوع به[٣].

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٤] وفي الحديث مثال تطبيقي ليسر الإسلام، حيث نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من في السقاء، كما في حديث أبي هريرة "نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة" ثم جاء في هذا الحديث "فشرب من في قربة معلقة قائمًا" وذلك ما يكشف التيسير في حياة الرسول ﷺ، وأنه كان ملتزمًا بهذا المبدأ في جميع تصرفاته رعاية لمصلحة المسلمين ورفع الحرج عنهم[٥]. فلقد كانت حياته ﷺ أنموذجًا لما ينبغي أن تكون عليه حياة المسلمين، فعن عائشة ﵂: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسَرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسهِ إلاَّ أن تُنْتهَكَ حُرمةُ اللهِ فيَنْتَقِمَ للّه بها))[٦]. وبالجملة (فإن النبي ﷺ جاء بالتيسير والسماحة، وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم)[٧] وقال القاسمي: قال الجشمي في تفسير قوله تعالى في وصف

---

(١) رياض الصالحين، النووي ص ٣٢٣.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٢٨.

(٣) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٣١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ١٤.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٢٦ واللفظ له، ومسلم ٢٣٢٧.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/٢٥٤.

نبينا ﷺ ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[١] دلت الآية على أن شريعته أسهل الشرائع وأنه وضع عن أمته كل ثقل كان في الأمم السابقة[٢]. لذلك كان التيسير سمة ظاهرة للدين الإسلامي ويتجلى ذلك في عقائده وعبادته ومعاملاته وأخلاقه[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تبرك أم ثابت بأثر النبي ﷺ:

جاء في صريح الحديث ما يدل على تبرك أم ثابت بأثر النبي ﷺ فعنها أنها قالت: "دخل علي رسول الله ﷺ فشرب من في قربه معلقة قائمًا، فقمت إلى فيها فقطعته" قال المباركفوري: (لعله للتبرك به لوصول فم النبي ﷺ)[٤]، وقال النووي: (وإنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ وتتبرك به وتصونه عن الابتذال[٥] أي الامتهان)[٦] وقد وردت صور كثيرة لتبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ. وقد أقر النبي ﷺ ذلك مما يدل على مشروعيته[٧] ومن ذلك ما رواه مسلم عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأتيت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، قال فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عَتِيدَتها[٨] فجعلت تنشّف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال أصبت[٩].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٠٨/٥/٢.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٤١٩/٤.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٢/٢.

(٥) رياض الصالحين، النووي، ٣٢٣.

(٦) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٢٩.

(٧) فقه السيرة، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٠٥.

(٨) عَتِيدَتها: هي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها. انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٧/١٥.

(٩) أخرجه مسلم ٢٣٣١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

قاعدة الوقاية خير من العلاج من هدي الرسول ﷺ وإذا كان العلم الحديث لم يكتشف العدوى عن طريق الفم إلا في العصر الحديث، فإن الرسول ﷺ نهى عن التعامل المباشر مع الأواني التي يتعامل معها كثيرون، ومن الباب المذكور أخذ العلماء المفاهيم التربوية الآتية:

أولاً-التربية الوقائية:

إن من أساليب التربية الإسلامية التربية الوقائية حيث يقوم المربي بتحذير المتربي من الأمور الضارة التي قد تلحق به وقاية له مما يضره، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية". يعني أن تكسر أفواهها ويشرب منها" وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة" ففي هذين الحديثين توجيه نبوي بالنهي عن الشرب من في السقاء وقاية للإنسان من الأخطار والأضرار.

(والوقاية هي نوع من أنواع التحذير وهي تحصين الفرد وتحذيره سلوكيًا وفكريًا من الأمور السلبية المستقبلية، أو الامتناع عن فعل ما من شأنه أن يفضي إلى مفسدة أكبر منه فالوقاية الصحية للإنسان تكمن في تحذيره من ارتياد المواطن الموبوءة أو تناول بعض الأغذية والعقاقير والمشروبات التي تتسبب في تدهور حالته الصحية، أو حقنه بجُرَع خاصة من شأنها أن تجعل لدى الجسم مناعة كافية لمقاومة مرض معين، والإسلام استخدم الوقاية للفرد المسلم وللأسرة وللمجتمع من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، وهذه التحذيرات والتوجيهات قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم، وهي بمثابة جرعة وقائية إن أخذت ستقي المجتمع من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق، وهي كذلك بمثابة حِمْية وقائية يتقي بها

من الأمراض المهلكة)[١].

وفي بيان الحكمة في النهي عن الشرب من في السقاء والقربة، قال الإمام ابن القيم: (وفي هذا آداب عديدة منها: أن تردد أنفاس الشارب فيه يكسبه زُهومة ورائحة كريهة يُعاف لأجلها. ومنها: أنه ربما غلب الداخلُ إلى جوفه من الماء فتضرر به ومنها: أنه ربما كان فيه شيء ضار لا يشعر به فيؤذيه، ومنها أن الماء ربما كان فيه قذاة أو غيرها لا يراها عند الشرب فتلج جوفه، ومنها أن الشرب كذلك يملأ البطن من الهواء فيضيق عن أخذ حظه من الماء، أو يزاحمه أو يؤذيه ولغير ذلك من الحِكَم)[٢].

(ولقد جاء النهي الصريح عن الشرب من فم القربة أو السقاء، والذي ينبغي هو صب الشراب في الإناء ثم الشرب منه وهذا النهي حمله بعض أهل العلم على التحريم، وحمله بعضهم على كراهة التنزيه وهم الأكثر، ومنهم من جعل أحاديث النهي ناسخة للإباحة، وقد ذكر أهل العلم بعض الحكم التي من أجلها جاء هذا النهي ومنها أنه ربما يخالط الماء من ريق الشارب فيتقذر غيره، ومنها: أنه ربما يكون في القربة أو السقاء حشرات أو حيوانات أو قذاة أو غيرها لا يشعر بها الشارب فتدخل في جوفه فيتضرر بها، ومنها: أن ريق الشارب ونَفَسه قد يكون ممرضًا غيره لما ثبت عند الأطباء أن العدوى قد تنتقل عن طريق الريق والنفس)[٣].

هذا وواجب المربي الحرص على وقاية المتربي مما يضره ويؤذيه وتنبيهه وإرشاده إلى ذلك.

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية، وهي من الأهمية بمكان في نجاح العملية التربوية، حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية للأمر والنهي أو التوجيه والإرشاد التربوي، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا حديث أم ثابت

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٣، ٢٣٤.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٦٩.

كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله عنها فعنها أنها قالت: "دخل عليَّ رسول الله ﷺ فشرب من في قربة معلقة قائمًا فقمت إلى فيها فقطعته".

فالممارسة العملية من النبي ﷺ بالشرب من في السقاء لبيان الجواز، فالنهي عن الشرب من فم القربة ليس على سبيل التحريم بل على سبيل التنزيه، وفعل النبي ﷺ يثبت ذلك.

(والتربية الإسلامية تربية عملية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء، أو إلى خلق فاضل، أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان كما تصوره الإسلام، وقد كان الرسول المربي ﷺ يثبت بالبراهين العملية والتجارب الفعلية أن ما يدعو إليه هو أمر ممكن التنفيذ، وآية ذلك أنه مشخص في سلوكه، والتعلم بالعمل والممارسة مبدأ تربوي هام في التربية الإسلامية وقد مارس الجيل الأول من المسلمين السنة الشريفة بغيرة وإيمان وذلك لقربهم من ينبوع الوحي)[1].

وبناء على هذا فيجب على المشتغلين بالتربية من الآباء والمعلمين والمربين الاهتمام بأسلوب الممارسة العملية لما له من أثر طيب في توجيه المتربي وإرشاده.

(وأسلوب الممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل، ويدرك الفرد العلاقة بين القول والفعل، والنظرية والتطبيق، والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب التدريب والممارسة العملية وتؤمن أن الممارسة العملية هي الترجمة الحقة لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك ملموس، لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه، وينبغي على المربي المسلم أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد)[2].



(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٦.

١١٣-باب كراهية النفخ في الشراب

الحديث رقم (٧٦٥)

٧٦٥- عن أَبي سعيد الخدري ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عَن النَّفْخ في الشَّرَاب، فَقَالَ رَجُلٌ: القَذَاةُ أراها في الإناء؟ فَقَالَ: ((اهرقها)). قَالَ: إنِّي لا أرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحدٍ؟ قَالَ: ((فَأَبِنِ القَدَحَ إذاً عَنْ فِيكَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

النفخ في الشراب: إخراج الهواء من فمه في الشراب[2].

القذاة: ما يقع في العين والشراب والماء من تراب وغيره ذلك[3].

أهرقها: من الإراقة أي فارق تلك القذاة عن الشراب ولا تنفخ فيه[4].

أروى: أي لا يحصل لي الري من الماء في تنفس واحد[5].

فَأَبِن: أي أبعده، أمر من الإبانة[6].

القدح: الإناء الذي يشرب فيه ويروي رجلين[7].

فيك: فمك[8].

---

(١) برقم (١٨٨٧). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣٢٧)، وقال الحاكم (١٣٩/٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٣٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٢٦١.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٢٢.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٠/٢.

(٥) المرجع السابق ١٦١٠/٢.

(٦) المرجع السابق ١٦١٠/٢.

(٧) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٢٣٤.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٠/٢.

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث قائم على الحوار الذي ينبيء عن التواصل بين المتحاورين، ويكسب الأسلوب حركة، وانفعالاً، وقد بدأه الراوي بالإخبار المؤكد عن النبي ﷺ بالنهي عن النفخ في الشراب، فثار في ذهن أحد المخاطبين سؤال (الْقَذَاةُ أَرَاهَا فِي الإِنَاءِ؟) أي كيف أصنع؟ فدلّه على طريقة الخلاص منها بإراقة القدر القليل الذي اشتمل عليها، وقول الرجل (فإني لا أروى من نفس واحد) أكّده بأكثر من مؤكد؛ لأنه يعلم أن كلامه مخالف لكلام الرسول ﷺ فقد توقع معارضة، أو إنكاراً، فأكّد، وكلامه يحمل استفهاماً ضمنياً، فكانت إجابة الرسول ﷺ (فَأَبِنْ الْقَدَحَ إِذَنْ عَنْ فِيكَ) أمر إرشاد وتوجيه، وفيه إيجاز بالحذف أي: أبعد القدح عن فيك وتنفس، ثم عاود الشرب، وبذلك تتحقق المصلحة من وجهيها.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[1] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم التنفس في الإناء: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧).

٢-حكم النفخ في الشراب: يكره النفخ في الشراب، "بارداً أو حاراً، ما قل، أو ما جل" ليذهب ما في الشراب من قذارة، ونحوها، لأن النافخ في آنية الماء يجوز أن يقع من ريقه فيها شيء مع النفخ، فيستقذره الناظر ويفسده عليه، فإن كان لابد، فليخرجها بشيء، أو يريق بعض الماء لتخرج تلك القذارة منها.

ويستوي في الحكم من شرب مع غيره، أو وحده، أو مع أهله، أو مع من يعلم أنه لا يستقذر شيئاً مما يتناوله[2].

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) رد المحتار ٣٠٢/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي والأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: نهى النبي ﷺ عن النفخ في الشراب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان آداب الشراب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي والأمر

ورد أسلوب النهي في الحديث في قوله "أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب" وأسلوب الأمر في قوله ﷺ "أهرقها" وأسلوب النهي والأمر من الأساليب الدعوية المهمة لما فيهما من بيان الحقائق للمدعوين، ودلالتهم على النافع وحثهم عليه وعلى الضار وتحذيرهم منه.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن النفخ في الشراب

جاء في صريح الحديث نهي النبي ﷺ عن النفخ في الشراب، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب".

قال العلماء: وهذا من طريق الأدب مخافة من تقذيره ونتنه[1]، وقال ابن القيم: (وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يُعاف لأجلها، ولا سيما إن كان متغير الفم، وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه)[2]. إذ أن النفخ في الشراب سبيل إلى نزول القذارة فيه، أو على الأقل تغيره بريح الفم، ولهذا نهى النبي ﷺ نهياً تنزيهياً عن ذلك، وأرشد الرجل الذي لا يستطيع الارتواء من نفس واحد إلى أن يستريح أثناء الشراب، ويتنفس خارج الإناء، فقد تنتقل الأمراض مع النفس أو الرذاذ[3] "فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؛ فقال أهرقها، قال: إني لا أروى من نفس واحد؟ قال: فأبن القدح إذاً عن فيك".

---

(١) شرح مسلم، النووي ص ٢٧٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٥/٤..

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥١.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان آداب الشراب

تضمّن الحديث أدباً من آداب الشراب وهو المحافظة على الشراب، وعدم إفساده على غيره بالنفخ فيه وغيره، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب، بل نهى عن استخدام النفخ في التخلص مما قد يقع في الشراب، والعدول إلى إراقة ما وقع فيه "فقال رجل القذاة أراها في الإناء؟ فقال أهرقها" أي فأرق تلك القذاة عن الشراب ولا تنفخ فيه، أي أرق بعض الماء لتخرج تلك القذاة من الإناء[1] وأمر بإبعاد الإناء عن الفم عند التنفس "قال فإني لا أروى من نفس واحد، قال فأبن القدح إذاً عن فيك" أي أبعده[2]، قال ابن عثيمين: وفي الحديث النهي عن النفخ في الإناء، لأن الإنسان إذا نفخ ربما يحصل من الهواء الذي يخرج منه أشياء مؤذية، كمرض وغيره، وأمر بإبانة الإناء حال التنفس، أي فصله عن الفم، ثم التنفس، ثم المعاودة للشرب، وفي ذلك ما يدل على كمال الشريعة من جميع الوجوه، فما من شيء إلا وقد بينه لنا رسول الله ﷺ[3] حتى آداب الطعام والشراب).

وفي ذلك دليل على أن الشريعة الإسلامية كاملة من جميع الوجوه، كل شيء قد علمنا إياه رسول الله ﷺ، قال رجل من المشركين لسلمان الفارسي ﷺ علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، قال أجل وذكر ما علمه لنا النبي ﷺ في ذلك (أن لا نستقبل القبلة بغائط ولا بول، وألا نستنجي باليمين، وألا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار وألا نستنجي برجيع أو عظم)[4]؛ فالمهم أن شريعتنا ولله الحمد كاملة من كل وجه ليس فيها نقص ولا تحتاج إلى أحد يكملها[5] وصدق الله العظيم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[6].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٠/٢.

(٢) المرجع السابق ١٦١٠/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ج١٠٧٦/٢.

(٤) أخرجه مسلم ٥٧.

(٥) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ج١٠٧٦/٢.

(٦) سورة المائدة، آية: ٣.

الحديث رقم (٧٦٦)

٧٦٦- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ نهى أن يُتَنَفَّسَ في الإناء، أَوْ: يُنْفَخَ فيهِ. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

يتنفس في الإناء: إخراج النفس داخل الإناء لخوف بروز شيء من ريقه فيقع في الماء[2].

ينفخ فيه: أي يخرج الهواء من الفم في الشراب[3].

الشرح الأدبي

يسوق الراوي الخبر مؤكداً حتى يشق طريقه إلى سمع المخاطب فقلبه دون أن تعترضه عوارض الإنكار، أو الشك، أو ليسلك طريقه في النفس، وهي تستشعر عظمته فتضعه في الموضع اللائق به من القبول، ثم ساق الخبر، وهو نهي الرسول ﷺ عن التنفس في الإناء، أو النفخ فيه، وقد عبَّر بإن المصدرية والفعل المضارع في قوله (أن يُتنفس) دون المصدر الصريح (التنفس)، لأن المصدر المنسبك من أن، والفعل بالإضافة إلى أنه يؤدي المعنى الذي يؤديه المصدر نفسه، فإنه يستحضر الصورة المنهي عنها صورة رزاز الشارب اللاهث يتقطر مع أنفاسه، الأمر الذي يحدث في النفس قناعة عقلية بالنهي بعد القناعة القلبية الحاصلة من نهي الرسول ﷺ والجار والمجرور (في الإناء)

---

(١) برقم (١٨٨٨). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣١٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٣٤).

تنبيه: حديث النهي عن التنفس في الإناء، رواه البخاري من حديث أبي هريرة، وقد تقدم برقم (٧٦٧)، وفيه أيضًا حديث أبي قتادة، رواه البخاري برقم (٥٦٣٠)، ومسلم (٦٣/٢٦٧).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٠/٢.

(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٢٦١.

يشير إلى أصل الخطأ، وهو التنفس داخل الإناء، والذي تدل عليه الظرفية المفهومة من حرف الجر (في) وقوله: (أو ينفخ فيه) أو للتنويع؛ لأن النفخ نوع آخر من الأفعال المنهي عنها فالنفخ بالفم، والتنفس من الأنف، وكلاهما منهي عنه، ثم إن بناء الفعلين لما لم يسم فاعله، يجعله عاماً لكل من يصلح منه الفعل؛ لأنه لم ينه فاعلاً مخصوصاً.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه.

ثانياً: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في الشراب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: مراعاة الإسلام للجوانب الصحية والنفسية في الشراب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه

جاءت تعاليم الإسلام لتحث على منع الضرر أو التسبب فيه، ولما كان التنفس في الإناء والنفخ فيه من القذارة والضرر، ولما فيه من فعل غير لائق بصاحب الخلق، نهى عنه رسول الله ﷺ[1] كما جاء في الحديث، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه" وهذا من الآداب التي تتم بها مصلحة الشراب[2].

قال النووي: (قال العلماء: والنهي عن التنفس في الإناء والنفخ فيه هو من طريق الأدب مخافةً من تقذيره ونتنه، وسقوط شيء من الفم والأنف فيه ونحو ذلك)[3].

ومن ذلك حرص الإسلام على راحة المسلمين، وإبعاد ما يسيء إلى نفوسهم أو يؤدي إلى تقذرهم ولو ضؤول، والتوجيه إلى مراعاة شعور المسلمين وآداب الصحة والوقاية)[4].

ثانياً- من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في الشراب

إن من الواجب على المسلم داعية كان أو مدعواً الاستهداء بهدي سيد

---

(١) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد ص ١٢٩.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٤/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥١.

المرسلين ﷺ والتأدب بآدابه، وتربية النفس على ذلك، وغرس تلك المبادئ والأخلاق السامية في قلوب الناشئة ورعايتها[1]، ومن الآداب الشرعية التي حث عليها ديننا، ورغب فيها اتباعه هدي رسول الله ﷺ في الشراب، وقد جاء في الحديث جانبٌ من هذه الآداب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه" خشية الاستقذار[2]، وهذه الآداب وغيرها مما ينبغي التأدب بها، وتعويد النشء والأولاد عليها، حتى تصبح لديهم عادة وخلقاً[3].

وفي ذلك بيان لمدى اهتمام الإسلام بالإنسان خَلْقاً وخُلقاً، فكما جاء في تعاليم الإسلام الارتقاء بأخلاق الإنسان، كذلك ورد فيها الاهتمام بخَلْق الإنسان والحفاظ على سلامته وصحته باجتناب كل ما من شأنه الإضرار بالجسم، أو نقل الضرر والعدوى إليه كالتنفس في الشراب والنفخ فيه وما شاكل ذلك، ونرى من خلال ذلك أن الإسلام دين حاز الكمال من أطرافه، ولم يغفل عن شيء يهم الناس في حياتهم وآخرتهم، بل وضحه لهم وأرشدهم إليه، وهكذا: عندما يقوم المربون بتطبيق هذه التعاليم الإسلامية على من تحت أيديهم، ويعودونهم على التقيد بها، فإنهم ولاشك ينشئون على الصحة التامة وتترعرع أجسامهم، وتقوى أبدانهم على طاعة الله عز وجل[4].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: مراعاة الإسلام للجوانب الصحية والنفسية في الشراب:

إن من يدقق النظر في الحديث يظهر له مدى اهتمام الإسلام ومراعاته للجوانب الصحية والنفسية في الشراب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه" أما عن الجانب الصحي ففي الحديث إرشاد إلى اتباع القواعد الصحية في الشراب، منعاً للعدوى وتقليلاً للأمراض وانتقالها، وحفاظاً على قوة الجسم

---

(١) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد ص ٧.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٢٩.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ج١/٢٠٥.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي، ص ٢٢٤.

وسلامة البدن، والصحة و الحيوية والنشاط[1] فهذه الوصايا التي أوصانا بها رسول الله ﷺ عند الشراب من عدم التنفس والنفخ فيه، والحرص على تناوله بطريقة صحيحة حتى لا تكون سبباً في وصول الأذى إلى الإنسان، في ذلك إشارة واضحة إلى المعرفة العميقة لرسول الله ﷺ في صحة البدن والقلب والمجتمع، فكم في السنة النبوية المطهرة من قواعد صحية سامية سبقنا بها الأمم كلها[2] أما من الجانب النفسي فإن المحافظة على آداب الشراب، سبب لإقبال الآخرين عليه وعدم معافاته، قال ابن القيم: وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة، يُعاف لأجلها[3] ويستقذر.

---

(١) المرجع السابق ١/٢٠٥.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا، ١/٢٦٧، ٢٦٨.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

مراعاة مشاعر الآخرين مطلوبة، والطب الوقائي مهم في حياة الناس، وهدي الرسول ﷺ واجب الاتباع ولهذا كان النهي عن النفخ فيما يشرب منه الإنسان، وبخاصة إذا كان آخرون سيشربون منه، طلباً للسلامة، ورعاية للمشاعر، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- تعليم آداب الشرب:

إن من الآداب التي تحرص التربية الإسلامية على تعليمها والتعريف بها تعليم آداب الشرب، ومما يرشد إلى ذلك في حديثي الباب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب..." وحديث ابن عباس رضي الله عنهما "أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه".

ففي هذين الحديثين بيان كراهة النفخ في الشراب لئلا يقذر الشراب أو الطعام، وفي هذا تعليم للمتربي آداب الشرب، قال ابن القيم: (وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يُعاف لأجلها، ولا سيما إن كان متغير الفم، وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه، ولهذا جمع رسول الله ﷺ بين النهي عن التنفس في الإناء والنفخ فيه، فإن قيل فما تصنعون بما ورد أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الإناء ثلاثًا؟ قيل: نقابله بالقبول والتسليم، ولا معارضة بينه وبين الأول فإن معناه أنه كان يتنفس في شربه ثلاثًا، وذكر الإناء لأنه آلة الشرب)[1].

وقال أبو حامد الغزالي: (وأما الشرب فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصًا لا عبًّا، ولا يشرب قائمًا ولا مضطجعًا، وما ورد أن الرسول ﷺ فعل ذلك فلعله كان لعذر، ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه، وينظر في الكوز قبل الشرب، ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز، بل ينحيه عن فمه بالحمد، ويرده بالتسمية)[2].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٥/٤.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٦٧/٢، ٦٨.

وقال ابن مفلح المقدسي: (يكره نفخ الطعام والشراب، أطلقه الأصحاب رحمهم الله لظاهر الخير، وحكمة ذلك تقتضي التسوية ولذلك سوى الشارع بين النفخ والتنفس فيه، وقال الآمدي: لا بأس بنفخ الطعام إذا كان حارًا ويكره أكله حارًا والتنفس في إنائهما. ومن الأدب أن يشرب مقطعًا ثلاثًا ويتنفس دون الإناء ثلاثًا ولا يتنفس فيه وقال في المستوعب: والنفخ في الطعام والشراب منهي عنه)[1].

والواجب على المربين الاهتمام بغرس وتعليم هذه الآداب حتى ينشأ عليها المسلم ويطبقها عمليًا عند طعامه وشرابه.

ثانيًا- السؤال والاستفسار:

إن من الأمور التي ينبغي أن يتدرب عليها المتربي السؤال والاستفسار وذلك حتى يكون إيجابيًا في العملية التربوية، ولا يكتفي بالتلقي فحسب ولكن يسأل ويناقش ويستفسر حتى يكون مشاركًا إيجابيًا ومما يرشد إلى ذلك من حديثي الباب ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ في الشراب فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؟ فقال: أهرقها قال: إني لا أروى من نَفَسٍ واحد؟ قال: فأبن إذًا عن فيك".

ففي هذا الحديث سأل رجل عن القذاة التي يراها في الإناء، وسأل عن أنه لا يروي من نفس واحد، وهذا يدلل على إيجابيته، وسؤاله واستفساره عما لم يعرف حكمه.

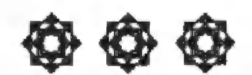
(إن كل إنسان في الحياة له طاقات معينة وبالتالي فإن معارفه محدودة ولن يحيط بكل شيء علمًا، ومن عرف أشياء غابت عنه أشياء أخرى كثيرة، ولذا تراه يبحث عن إجابات لما يجهل، ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال، وللسؤال مزايا متعددة من توفير للجهد والوقت والمال كما أن فيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين خاصة إذا كان المسؤول من أهل الخبرة والاختصاص، قال الله تعالى

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٥٢/٣.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١].

ولما كان الأمر كذلك فلا ينبغي للعاقل التردد في السؤال والسكوت عن الجهل حتى لا يحدث ما لا تُحمدُ عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل. وسكوت الإنسان عن جهله قد يكلفه غير قليل من تجارب فاشلة ومن آلام ومتاعب لأنه لو عرف الإجابة الموفقة لضمن لنفسه العمل السليم أو السلوك الصائب لاسيما في أمور تتصل بالمحاولة والخطأ والتجريب، ولأهمية السؤال حرص الصحابة رضي الله عنهم جميعًا رجالاً ونساءً على السؤال عما يخفى عليهم من أمور دينهم)[٢].



(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد ص ١٢٣، ١٢٤.

١١٤- باب بيان جواز الشرب قائمًا وبيان أنّ الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا

فيهِ حديث كبشة السابق[1].

الحديث رقم (٧٦٧)

٧٦٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سَقَيْتُ النَّبيَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ، فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ. متفق عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

الحديث بيان لحال من أحوال الرسول ﷺ، لذلك نقل الصحابة رضي الله عنهم دقائق حياته وتفصيلاتها بكل ما يحيط بها من ملابسات يمكن أن تؤدي معنى.

والحال التي يعرضها الراوي حال شربه ﷺ وهو قائم، وهو خبر أريد به لازم فائدته، وهو نقل حكم الجواز للشرب حال القيام، وقد ساق الحديث دون مؤكدات مساق الخبر المأنوس الذي لا يُتوقع له معارضة ولا شك، وقوله: (سقيت رسول الله) يوحي بمحبته للرسول ﷺ واعتزازه بما صنع معه، وصياغة الفعل في ثوب الماضي (سقيت) يفيد تحقق الوقوع، وذكر الرسول بصفته تكريم، وإضافته لله تشريف، وقوله (من زمزم) فيه إيجاز بالحذف أي: من ماء زمزم، ومن للتبعيض أي: بعض ماء زمزم، وفيه إشارة إلى شرف الموضع، وبيان لصلاحية المشروب، وتمهيد للحكم المراد تقريره، وقوله: (وهو قائم) جملة حالية تقرر الحكم المراد وهو جواز الشرب في أثناء القيام، وذكر المسند إليه (هو) مع تقدم ذكره، وإمكان الاستغناء عنه للتوكيد، والتقرير.

---

(١) تقدم برقم (٧٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٣٧)، ومسلم (١١٧/٢٠٢٧) ولفظهما سواء.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم الشرب قائمًا: اتفق الفقهاء على إباحة الشرب في غير حال القيام[١]، بينما اختلفوا في الشرب قائمًا، فذهب الجمهور إلى جوازه، وإن كان الأولى والأكمل أن يشرب قاعدًا.

بينما ذهب ابن حزم إلى تحريم الشرب قائمًا، وحمل أحاديث الرخصة على أصل الإباحة[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نقل أخبار النبي ﷺ وأحواله وهيئاته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ماء زمزم.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على نقل ما ورد عن النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على نقل أخبار النبي ﷺ وأحواله وهيئاته:

جاء في الحديثين[٤] ما يدل على حرص الصحابة على نقل أحواله وهيئاته ﷺ كما في نقل ابن عباس ﷺ لهيئة رسول الله ﷺ في شربه من ماء زمزم فقال "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم" وكذلك في حديث النزال بن سبرة ﷺ قال "أتى عليٌّ ﷺ باب الرحبة فشرب قائمًا وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني

---

(١) مراتب الإجماع ١٨١.

(٢) رد المحتار ١/١٣٩ وما بعدها، والقوانين الفقهية ٣٧٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣/٢٥٠، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥/١٩٩، والمحلى، ابن حزم ٦/٢٢٩.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٦٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٦٨).

(٤) أي حديث رقم (٧٦٧)، (٧٦٨).

فعلت" وغير ذلك من الأمثلة التي تبين نقل الصحابة ﷺ لجميع الوقائع والحوادث وتصرفات النبي ﷺ فنقلوها إلى التابعين الذين بلغوها إلى من بعدهم، وكان ذلك أحد العوامل التي كان لها أكبر الأثر في حفظ السنة دقيقها وجليلها[١].

لقد كان الصحابة ﷺ أحرص ما يكونون على تلقف كل ما يصدر عن النبي ﷺ وحفظه في صدورهم ونقله إلى غيرهم ليعم به النفع، ومن لم يكن بإمكانه منهم متابعة التلقي عن النبي ﷺ كان يتناوب ذلك مع إخوانه، ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ - وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله ﷺ، يَنزِلُ يَومًا وأَنزِلُ يَومًا، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بخَبَرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِهِ، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلِكَ))[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل ماء زمزم:

من دلائل قدرة الله المطلقة تفجير المياه من الأرض عيونًا وآبارًا، ومنها ماء بئر زمزم الذي (تفجر بطريق معجز فكان ماءً خالدًا مباركًا لا ينضب ولا يغيض، قد وسع الخلق ووسع الأجيال، وكان ماءً لكل عصر ولكل أمة، فيه غذاء وشفاء، وفيه بركة وأجر)[٣]؛ فزمزم هي عين الماء المبارك، كما جاء في الحديث شرب النبي ﷺ منه، وبين أثر الشرب منه، فعن جابر بن عبدالله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ((مَاءُ زَمْزَمَ لـمَا شُرِبَ لَهُ))[٤] فالحاصل أنه ماء مبارك، إن شربته لعطش رويت، وإن شربته لجوع شبعت، حتى إن بعض العلماء أخذ من عموم هذا الحديث، أن الإنسان إذا كان مريضًا وشربه للشفاء شفي، وإن كان كثير النسيان وشربه للحفظ صار حافظًا، وإذا شربه لأي غرض ينفعه[٥]، ونص بعض الفقهاء على أن شرب ماء زمزم لنيل

---

(١) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٥-٦٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩.

(٣) الأركان الأربعة، ابو الحسن الندوي ص ٢٥٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٣٠٦٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٨٤).

(٥) شرح رياض الصالحين، النووي، ٢/ ١٠٨٠.

المطلوب في الدنيا والآخرة شامل لمن شربه بغير محله، وذهب كثير من الفقهاء إلى أنه يستحب التزود من ماء زمزم وحمله إلى البلاد، فإنه شفاء لمن استشفى[١].

ثالثًا - من آداب المدعو: الحرص على نقل ما ورد عن النبي ﷺ:

لقد بات معلومًا أنه من الواجب الحرص على نقل ما ورد عن النبي ﷺ، وما جاء في الحديثين دليل على ما كان من الصحابة من حرص على نقل ما رأوه من النبي ﷺ حتى في هيئته وفي شربه وطعامه، كما قال ابن عباس: "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم" فلم يأل الصحابة جهدًا في طلب العلم عن رسول الله ﷺ وحفظه وتبليغه[٢]، دفعهم إلى ذلك حبهم لرسول الله ﷺ واستجابتهم لأوامره من مثل قوله ﷺ ((بلّغوا عني ولو آيةً))[٣] والمعنى ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليحصل بذلك نقل جميع ما جاء به رسول الله ﷺ[٤].

ولقد حض النبي ﷺ في كثير من الأحاديث على نقل سنته، ودعا لمن اهتم بذلك وحافظ عليها في نقلها، ومن ذلك ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، ثَلاَثٌ لاَ يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْمُنَاصَحَةُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ يُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ))[٥].

قال الطيبي: (قال التوربشتي: وجه التناسب بين قوله "نضر الله امرأً" وبين قوله "ثلاث لا يُغل عليهن..." هو أن يقال: إن النبي ﷺ لما حث من سمع مقالته على أدائها علمهم أن قلب المسلم لا يغل على هذه الأشياء، خشية أن يضنوا بها على ذوي الإحن والحقد، لما يقع بينهم من التحاسد والتباغض، وبيّن أن أداء مقالته على من يسمعها من

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥/٢٤.

(٢) السنة النبوية قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب ص ٦٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٥٧٥/٦.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٦٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٤٠).

باب إخلاص العمل لله تعالى والنصيحة للمسلمين، ومن الحقوق الواجبة المتعلقة بأحكامه، لزوم جماعة المسلمين، فلا يحل له أن يتهاون به، لأنه يخل بالخلال الثلاث)[١].

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١/٣٨٤.

الحديث رقم (٧٦٨)

٧٦٨- وعن النَّزَّالِ بن سَبْرَةَ ﵁، قَالَ: أَتَى عَلِيٌّ ﵁ بَابَ الرَّحْبَةِ، فَشَرِبَ قائِمًا، وقال: إنِّي رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ فَعَلَ كما رَأَيْتُمُوني فَعَلْتُ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: هو عليّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي "أبو الحسن" أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول الناس إسلامًا بعد خديجة، وأحد الستة الذين جعل "عمر" الأمر شورى بينهم، وابن عم النبي ﷺ وصهره، ولد بمكة قبل البعثة بعشر سنين، ورُبي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وهاجر بعد رسول الله ﷺ إلى المدينة بثلاثة أيام، وكان ﷺ قد خلّفَهُ ليؤدّي عنه الودائع والأمانات التي عنده، ثم يلحق به، فلحقه بقُباء، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا تبوك، وكان قد استعمله النبي ﷺ فيها على المدينة، فلما خرج رسول الله ﷺ وسار قليلاً تبعه عليّ ﵁، وقال يا رسول الله، تجعلني في النساء والصبيان؟! فقال له ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي))[2] وقد كان له الأثر العظيم في كل مشهد حتى لا يُعلم لأحد من الصحابة في الشجاعة والبسالة في الحروب ما له.

وقد قال فيه النبي ﷺ يوم خيبر ((لأعطين الرايةَ غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار، يفتح الله علي يديه))، ثم دعا بعليّ وهو أرمد، فتفل في عينيه وأعطاه الراية، ففتح الله عليه[3].

وقد جعل النبي ﷺ حبه ﵁ من الإيمان وبُغضهُ من النفاق، وفي ذلك كان يقول عليّ ﵁ والله إنه لَعَهدُ النَّبيّ الأميِّ إليَّ أنه لا يحبُني إلا مؤمن ولا يبغضُني إلا منافق[4].

---

(١) برقم (٥٦١٥)، والسياق للحميدي في جمعه (١٦٦/١، رقم ١٢٧)..

(٢) أخرجه البخاري، رقم (٤٤١٦) ومسلم، رقم (٢٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري، رقم (٩٦٤٢) و(٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٤) و (٢٤٠٦).

(٤) أخرجه مسلم، (٧٨).

وكان من أكابر الخطباء الفصحاء والعلماء القضاة، وكان قد بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، وهو شاب ليقضي بينهم، فقال يا رسول الله إني لا أدري ما القضاء، فضرب رسول الله ﷺ بيده على صدره وقال ((اللهمَّ اهْدِ قلبَه، وسدِّد لسانه)) فقال عليّ رضي الله عنه، والله ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين[1].

وكان يقول سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله من من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، وقد أثنى عليه جميع الصحابة، منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، واعترفوا له بالسبق والتقدم في العلم والفهم!! ورجعوا إلى قوله في الفتاوى الحادثة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن رضي الله عنهما.

وقد بويع بالخلافة يوم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنهما سنة (٣٥هـ).

وكانت الفتنة قد بلغت ذروتها، فقام جماعة من الصحابة يطلبون دم عثمان رضي الله عنه وكان من بينهم طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، فكانت واقعة الجمل وما اشتهر بها سنة ٣٦هـ، ثم قام معاوية رضي الله عنه في أهل الشام، ودعا إلى الطلب بدم عثمان رضي الله عنه، فكان من واقعة صفين ما كان وذلك سنة (٣٧هـ) والتي انتهت بالتحكيم المشهور.

وكان رأي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنهم يدخلون في الطاعة، ثم يقوم ولي دم عثمان رضي الله عنه، فيدعي به عنده، ثم يعمل ما يوجبه حكم الشريعة المطهرة، وكان من خالفه يقول: تتبعهم واقتلهم، ولم يرى عليّ ذلك؛ لأن القصاص بغير دعوى ولا إقامة بينه لا يجوز وكان كل من الفريقين مجتهد.

وكان هناك فريق من الصحابة لم يدخل في شيء من القتال، ولما قتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ظهر بأن الصواب كان مع عليّ رضي الله عنه وذلك لحديث النبي ﷺ ((إن عمار تقتله الفئة الباغية))[2] وقد اتفق أهل السنة على ذلك.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣١٠)، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٦٩).

(٢) قاله ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص (٩٣٩) وقد تواتر هذا الحديث في ذلك.

ثم أقام عليّ رضي الله عنه، في دار خلافته في الكوفة، إلى أن قتله عبدالرحمن بن ملجم غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان، وقد خلّف ٢٨ ولدًا منهم (١٧) أنثى (١١) ذكرًا من زوجات متعددات، وبلغت رواياته عن النبي ﷺ (٥٨٦) حديثًا، وكانت وفاته سنة (٤٠هـ) وقد اختلف في مكان قبره[1].

غريب الألفاظ:

باب الرَّحبة: رحبة الكوفة[2].

الشرح الأدبي

ساق الراوي الخبر دون مؤكدات في القصة التي يرويها عن علي - كرم الله وجهه- وقوله (على باب الرحبة) تحديد موقع الحدث يدل على وضوح الحدث بتفاصيله في ذهن الراوي، الأمر الذي يؤكد صدقه؛ لأنه يحكي حقيقة في ذاكرته بعكس الكاذب الذي ليس له مرجع في الواقع، فيختلق وقائع مختلفة في كل مرة يذكر فيها القصة، وقوله (فشرب قائماً) رتب الشرب على الإتيان، وبيَّن هيئة الشرب عن طريق الحال المفردة، وهذه الجملة عليها مدار الحديث، وهو حكم الشرب في أثناء القيام، وإلى هنا انتهى خبر الراوي الذي صاغه بأسلوبه، ثم بدأ حكاية قول علي رضي الله عنه.

وقد ساق عليٌّ رضي الله عنه المعنى في صورة خبرية مؤكدة بأكثر من مؤكد؛ لأنه يخاطب منكراً، أو شاكاً كما ورد في رواية أخرى لهذا الحديث قوله: (إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُ

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٩/٣-٤٠)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٥٢٢-٥٤٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٨٧/٤-١١٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٩٣٩، ٩٤٠)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٤٠٥/١) وبيت الأفكار الدولية، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٩٥/٤-٢٩٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٥٧/٥-٢٦٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٦٩/٣-١٧١)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٣٢١/١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٤/١٠.

أَحَدُهُمْ أَنْ يَشْرَبَ وَهُوَ قَائِمٌ) [١] وقد أكد الخبر بإن المتصلة بضمير المتكلم، ثم بفعل الرؤية، وهي أقوى طرق العلم، وقد صاغه في ثوب الماضي دلالة على التحقق وقوله: (فعل كما رأيتموني فعلت) تقرير لجواز الشرب في أثناء القيام عن طريق التشبيه حيث شبَّه فعل الرسول ﷺ في الماضي، وهو أمر غابوا عنه بفعل عليٍّ ﷺ في الحاضر، وهو أمر رأوه بأعينهم، والغرض من التشبيه بيان حال المشبه، وهو شرب الرسول ﷺ حال القيام، وهذا التشبيه تأكيد معنوي لما قرَّره عليٌّ رضي الله عنه بالفعل من جواز الشرب في أثناء القيام.

المضامين الدعوية [٢]

---

(١) صحيح البخاري: (٥١٨٤).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٦٩)

٧٦٩- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا عَلَى عهدِ رسول الله ﷺ نأكُلُ وَنَحْنُ نمشِي، وَنَشْرَبُ ونَحْنُ قِيامٌ. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

يحكي الراوي الحديث بأسلوب خبري يتصدره فعل الكينونة الماضي الذي يرجع بالمخاطبين إلي الوراء في صفحات الزمن، ومن شأن فعل الكون في صيغة الماضي أن يحقق التشويق، ويضمن إنصات المخاطبين لما يأتي بعده من الخبر، واتصال فعل الكينونة بناء الفاعلين، يدل على أن هذا فعل جماعة من الصحابة، وليس تصرُّف فرد واحد قد يكون مخطئاً، وهو ما يزيد الخبر توكيداً، وقوله (على عهد رسول الله) يزيد الأمر تشويقاً من ناحية، ويقرر أن ما يُذكر تشريع يجب الانتباه له، كما يوحي بأن الرسول أقرَّه، لأنه لم يتركهم على خطأ، ولا معصية، وبين نمشي، وقيام طباق يؤكد معنى الإباحة في مختلف الأحوال، وقد عبَّر بالفعل المضارع في الدلالة على الحركة في فعل المشي، وعبَّر عن الثبات في القيام باستخدام المصدر (القيام) وكثرة الضمائر الدالة على الجماعة في قوله: (نَأْكُل، وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَب وَنَحْنُ قِيَام) يؤكد معنى الجواز، ويقرر إباحته على وجه لا يدركه شك.

المضامين الدعوية[2]

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان أحوال النبي ﷺ.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام.

رابعًا- من آداب الداعي: نقل الأمور المباحة والإبانة عنها للمدعوين.

خامسًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ.

---

(١) برقم (١٨٨٠) وقال: حديثٌ صحيحٌ غريبٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣٢٢).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٦٩- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٧٠).

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديثين[1] في إخبار ابن عمر رضي الله عنهما عن أحوالهم وهيئاتهم في الشرب فقال "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي، ونشرب ونحن قيام". وكذلك عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في الحديث الثاني عن رؤيته للنبي ﷺ فقال: "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا".

إن أسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من إيقاف المدعو على الحقائق، ودعوته إلى الامتثال بها والانقياد لها، انقيادًا مبنيًا على بصيرة من الأمر وبينة من الدين، كما جاء في الحديث من إخبار ابن عمر رضي الله عنهما جواز الأكل للإنسان وهو يمشي والشرب وهو قائم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان أحوال النبي ﷺ:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على بيان أحوال النبي ﷺ دقيقها وجليلها، ونقلها إلى من بعدهم، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا" فالصحابة رضي الله عنهم تلقوا السنة عن رسول الله ﷺ وشاركوا في تطبيقها وتجاوبوا مع رسول الله ﷺ بقلوب عظيمة انطوت على رغبة ملحة وإرادة قوية في اتباع ما به يتم إيمانهم، ويقطع صلتهم بما كانوا فيه من ضلال، كل ذلك كان له الأثر الكبير في حفظ الصحابة للسنة دقيقها وجليلها، ثم نقلها إلى التابعين الذين نقلوها إلى من بعدهم[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام:

إن من أهم المبادئ التي بنيت عليها تعاليم الإسلام اليسر ورفع الحرج، وهذا الحديث دليل عملي على ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام" فهذا الحديث فيه دلالة على جواز الأكل

---

(١) الحديث رقم (٧٦٩)، (٧٧٠).

(٢) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٧.

ماشيًا والشرب قائمًا. كما نرى في الحديث الآخر تطبيقًا عمليًا لرسول الله ﷺ لما ينبغي أن يكون الداعية ملتزمًا به من التيسير وإظهاره للمدعوين، "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا" وفي ذلك دعوة وإعلام عملي لما تضمنه الإسلام من مقاصد التيسير ورفع الحرج، قال الإمام الشاطبي: (إن الشارع لو كان قاصدًا المشقة في التكليف، لما كان ثمَّ ترخيص ولا تخفيف)[1] فإن الله سبحانه لم يكلف المسلمين بالمشقة، وليست المشقة مقصدًا من مقاصد التشريع[2]. بل إن التيسير والتخفيف ورفع الحرج هو أبرز مقاصد التشريع الإسلامي، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾[4] فتلك هي إرادة الله، وتلك هي السمة البارزة في التشريع الإسلامي.

قال قتادة: (قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[5] فأريدوا لأنفسهم الذي أراد الله لكم)[6]. فلا جرم أن كانت الشريعة الإسلامية هي الموصوفة بالحنيفية السمحاء، قال ابن القيم: (جمع الله عز وجل في هذه الشريعة بين كونها حنيفية وكونها سمحة، فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل)[7].

وأما الأحاديث التي نهت عن الأكل والشرب عن قيام، كحديث أنس "أن النبي ﷺ نهى أن يشرب الرجل قائمًا، فقيل الأكل؟ قال: ذاك أشر" فهي محمولة على كراهة التنزيه[8] فالأكل والشرب عن قيام محمول على الجواز، وإن كان منهيًا عنه

---

(١) الموافقات للإمام الشاطبي، ج٢/١٢٢.

(٢) التيسير ورفع الحرج في الدعوة إلى الله تعالى، د. جمال عبدالستار محمد ص ٢٩.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٨.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٣/٧٦.

(٧) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١/١٥٨.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦٠٧.

فالنهي فيه تنزيهي لا تحريمي[١]. ومثل هذا الحديث دليل على ما في الإسلام من يسر ورفع للحرج، وتلك هي سنة رسول الله ﷺ وطريقته سلوك الطريق الوسط واتباع اليسر، فالسهولة والرفق والأخذ بالأيسر، ومراعاة الأحوال ديدنه عليه أفضل الصلاة والسلام، مما يؤكد سير الشريعة على الطريق السهل، وعلى السماحة التامة، والبعد عن التكلف[٢].

فالواجب التوسط فلا إفراط ولا تفريط، إذ أن اليسر والسماحة والسهولة ورفع الحرج في الإسلام، راجع إلى الاعتدال والوسط، فلا إفراط ولا تفريط، فالتنطع والتشدد حرج من جانب عسر التكليف، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدي إليه من تعطيل المصالح، وعدم تحقيقه مصالح الشرع، وإنما الواجب التوسط الذي هو سمة الأمة الإسلامية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٣] فالتيسير على الناس والتوسط، هو منبع الكمالات، والتخفيف والسماحة ورفع الحرج على الحقيقة، هو في سلوك طريق الوسط والعدل[٤]. ولقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالتخفيف والتيسير، ونهاهم عن التعميق والتشديد، وأنكر على من ظهرت في سلوكه بوادر التشديد والتعسير[٥].

رابعًا- من آداب الداعي: نقل الأمور المباحة والإبانة عنها للمدعوين:

إن مما يجب على الداعي نقل الأمور المباحة، والإبانة عن الأحكام الجائزة، وعدم الاقتصار على الأمور الممنوعة، دونما بيان لما جاء لها من نسخ وجواز، وفي الحديث بيان لجواز الأكل للماشي والشرب للقائم "كنا على عهد رسول الله ﷺ نأكل ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام"، وحمل الأحاديث التي نهت على ذلك على بيان الأفضل والأكمل[٦]. وفي توجيه للذين يحاولون سلوك منهج التعمق والتشدد ظانين أن ذلك طريق

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان، ١٠٣٠.

(٢) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٤) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد ص ١٣.

(٥) انظر: الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي ص ١٢٥.

(٦) رياض الصالحين، النووي ص ٣٢٣.

النجاة، وأن الأخذ بالأشد هو الأتقى والأقرب إلى الله سبحانه، ففي هذه الأحاديث العملية بيان أن اتباع اليسر والسهولة والأخذ برخص الله، هو منهج رسول الله ﷺ فهو أعلم الناس بشرعه وأشدهم له خشية[1].

خامسًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ:

إن في حرص الصحابة رضوان الله عليهم على نقل ما رأوه من النبي ﷺ في شؤونه كلها دعوة إلى الاقتداء به ﷺ ففي الحديث "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا" بيانٌ للجواز والرخصة، وقد أرشدنا الحق تبارك وتعالى إلى الاقتداء به ﷺ في أموره كلها فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2] وجُعل متعلق الائتساء ذات الرسول ﷺ دون وصف خاص ليشمل الائتساء به في أقواله وأفعاله جميعها[3] والاقتداء برسول الله ﷺ وموافقته أقوى شاهد على صدق الحب له ﷺ[4] كما أن فيه دليلاً على محبة العبد لله، وجلب لمحبة الله للعبد، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله[6].

---

(١) انظر: اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٢٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣٠٢/٢١/٨.

(٤) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢.

الحديث رقم (٧٧٠)

٧٧٠- وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جَدِّهِ ﵁، قَالَ: رأيتُ رسول الله ﷺ يَشْرَبُ قَائِمًا وقَاعِدًا. رواه الترمذي[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه يقرر بطريقة عملية عن طريق نقل السنة الفعلية إباحة الشرب حال القيام وحال القعود، وذلك بنقل فعل الرسول ﷺ في ذلك، وقد استخدم الصحابي ﵁ الأسلوب الخبري الخالي من المؤكدات، ولعله لم يكن مقابلاً بإنكار، أو شك، وقوله (رأيت) يؤكد المعنى لأن الرؤية أقوى طرق العلم - كما ذكرنا سابقاً - وقد اعتمد أسلوب الطباق لتقرير المعنى الذي يريده بين (قائماً، وقاعداً)، والفعل المضارع (يشرب) يستحضر الصورة، ويجعل النفس تأنس للحكم بالإباحة، ويطمئن إليه القلب لكون الفاعل هو المشرِّعُ ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (١٨٨٣). تنبيه: تقدم حديث ابن عباس برقم (٧٧١)، والنزال بن سبرة برقم (٧٧٢)، في الشرب قائما، الأول في الصحيحين، والثاني في البخاري.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٧١)

٧٧١- وعن أنس ﷺ ، عن النبيِّ ﷺ : أنه نهى أن يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا. قَالَ قتادة: فَقُلْنَا لأنَسٍ: فالأَكْلُ؟ قَالَ: ذَلِكَ أَشَرُّ - أَوْ أَخْبَثُ- رواه مسلم[1].

وفي رواية لَهُ[2]: أنَّ النبيَّ ﷺ زَجَرَ عَن الشُّرْب قائِمًا.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

زَجَر: نهى[3].

الشرح الأدبي

جاء المعنى في هذا الحديث في ثوب الخبر المؤكد بأكثر من مؤكد، ومنها حرف التوكيد (أن) وضمير الشأن المتصل به على جهة التفخيم، والتعظيم، لأن المعنى قد يقابل بشك، أو إنكار لوجود ما يشبه تعارض النقول في هذا الأمر، وقد تقدّم في الحديث السابق الإباحة، وتوجيه هذا على ما ذكر في الجانب الفقهي، وقوله: نهى أن يشرب الرجل قائماً) صياغة النهي في صورة الماضي تفيد التحقيق، والفعل المضارع (يشرب) يفيد التجدد، والحدوث، ويستحضر الصورة، وأل في (الرجل) للاستغراق، و (قائما) حال من الفعل تبيِّن موضع الخطأ، وقول قتادة ﷺ : (فقلنا: فالأكل) فيه إيجاز بالحذف، وتقديره: فما حكم الأكل حال القيام؟، وإجابة أنس ﷺ (ذاك أشر أو أخبث) الإشارة فيها لتمييز المشار إليه أكمل تمييز، وهي إشارة للقريب؛ لأنه آخر مذكور، وصياغة المسند (أشر) على أفعل التفضيل للمبالغة، وقول (أو أخبث) شك من

---

(١) برقم (٢٠٢٤/١١٣).

(٢) برقم (٢٠٢٤/١١٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز ج ر).

الراوي، وهو من شدة تحريهم للصدق لا يجزم الواحد منهم بأمر إلا بعد تمام اليقين، فإن شك نقل شكه للمخاطب ليكون على علم بالأمر.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الشرب والأكل قائمًا.

رابعًا: من آداب المدعو: احترام السنة، وعدم تعمد الشرب والأكل قائمًا.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديثين في قول أنس عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائمًا" وقوله ﷺ "لا يشرب أحد منكم قائمًا" وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إيقاف المدعوين على المنهيات، وتحذيرهم منها، وحملهم على التجافي عنها.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قوله ﷺ "فمن نسي فليستقيء" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المهمة التي لها بالغ الأثر في إيقاف المدعو على المأمورات وحمله على الإتيان بها، وقد ورد أسلوب الأمر في القرآن في مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2] وقوله ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الشرب والأكل قائمًا:

ورد في الحديثين النهي عن الأكل والشرب عن قيام "نهى أن يشرب الرجل قائمًا"

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٧١- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٧٢).

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

وقوله "لا يشرب أحد منكم قائمًا فمن نسي فليستقيء" أي فليتقيأ والسين للمبالغة، وخص النسيان بالذكر، لكون شأن المؤمن ألا يفعل ذلك بعد النهي غالبًا إلا نسيانًا[1].

قال المازري: (اختلف الناس في الشرب قائمًا فأجازه عمر وعثمان وعلي وجمهور الفقهاء رضي الله عنهم ومالك بن أنس، وكرهه قوم لهذا الحديث.

وقد قال بعض شيوخنا: لعل النهي منصرف لمن أتى أصحابه بماء بارد فشربه قائمًا قبلهم، استبدادًا به، وخروجًا عن الأحسن، من كون ساقي القوم آخرهم شربًا.

وأيضًا فإن حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "فمن نسي فليستقيء" ولا خلاف بين أهل العلم أن من شرب قائمًا ناسيًا فليس عليه أن يستقيء.

وقال بعض الشيوخ: والأظهر أن هذا موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه، ولا خلاف في جواز الأكل قائمًا، وإن قال قتادة، قال: قلنا: فالأكل قال: ذلك شرٌ وأخبث، ولكن هكذا حكى بعض شيوخنا: أن الخلاف في جواز الأكل قائمًا، فالذي يظهر لي أن الأحاديث الواردة بشربه صلى الله عليه وسلم قائمًا تدل على الإباحة والجوار.

ويحمل حديث النهي على جهة الاستحسان، والحث على ما هو أولى وأجمل، أو يكون لأن في الشرب قائمًا ضررًا، وقد قال النخعي في النهي عن ذلك: إنما ذلك لداء في البطن، وهذا نحو ما قلناه، هذا الأظهر عندي إن كان لا بد من بناء الحديثين)[2].

وقال القاضي عياض: (وشرب النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم، لا يقال فيه: ترك ما هو الأولى لعلة، إنما كان في الحج - والله أعلم - على ما جاء في كتاب الحج، وحاله حينئذ من ألا يخفى في أعمال الحج، وقلة التمكن للجلوس لكثرة الناس، بحيث لا يخفى أو لا يراه الناس فيعلموا أنه غير صائم، وإنما كان في غير هذا اليوم، فليس إباحة ذلك إن كان النهي أولاً على ما تقدم، ولئلا يظن نهيه على العموم وللوجوب، أو ليبين نسخ ذلك إن كان النهي أولاً على الوجوب)[3].

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٣٢.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٢/٢١٧ - ٢١٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤٩١ - ٤٩٢.

وقال النووي: والصواب أن النهي فيها محمول على كراهة التنزيه[١] فقد شرب النبي ﷺ قائمًا لبيان الجواز[٢]. والأحاديث التي ورد فيها النهي، حملها العلماء على الاستحباب، والحث على ما هو أولى وأكمل، ولاشك أن في ذلك فوائد صحية وتعبدية سنها رسول الله ﷺ للمسلمين ليتبعوها ويعملوا بما فيها[٣].

رابعًا - من آداب المدعو: احترام السنة وعدم تعمد الشرب والأكل قائمًا:

لقد جاءت النصوص النبوية بالأكل والشرب عن قيام وقعود، وحمل العلماء أحاديث الأكل والشرب عن جلوس على بيان الجواز[٤]. وأن الأولى الشرب من جلوس وعدم اللجوء إلى الشرب والأكل من قيام إلا لعذر أو مانع، وفي الحديث دعوة وحث على اتباع السنة المطهرة في دقيق الأمور وجليلها، وسريان التعبد في كثير من الأمور العادية[٥].

أما تعمد الأكل والشرب قيامًا، فهذا لا يجوز، فإن احترام سنة رسول الله ﷺ من مستلزمات احترام رسول الله ﷺ وتوقيره، وقد أمرنا الله بذلك فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾[٦] فقوله "تعزروه وتوقروه" أي تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه بأن تعظموه وتجلوه وتقوموا بحقوقه[٧] ومن حقوقه اتباع سنته ﷺ فذلك من صفات الإيمان

---

(١) شرح مسلم، النووي ص ١٢٨٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٢٨٢.

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا، ١/ ٢٦٠، ٢٦٥.

(٤) انظر: رياض الصالحين، النووي ص ٣٢٣، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٢.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥٣.

(٦) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٣٦.

وأسباب الفلاح، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] وسبب للهداية ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2].

فإن احترام النبي ﷺ وتوقيره هو ما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتمام التوقير، وهو من أعظم مظاهر حبه، ومن آكد حقوقه ﷺ على أمته، كما أنه من أهم واجبات الدين.

وهذا التعظيم مثل المحبة، من حيث كونه تابعًا للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون التعظيم وتكون المحبة، وذلك يتجسد في العمل بطاعته ﷺ وتجريد متابعته وموافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغضه، والسعي في إظهار دينه، ونصرة شريعته، والذب عنه وصون حرمته[3].

وإن ما يناقض محبته ﷺ ويلحق بالجفاء: الاستهانة بهديه ﷺ وسنته، وقلة المبالاة بها[4].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٣) الصارم المنكي في الرد على السبكي، الحافظ شمس الدين بن عبدالهادي ص ٣٤١.

(٤) محبة الرسول، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٩.

الحديث رقم (٧٧٢)

٧٧٢- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((لاَ يَشْرَبَنَّ أحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِيء)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فليستقيء: هو من الاستقاء وهو استخراج واستفراغ ما في الجوف[2].

الشرح الأدبي

الحديث في نفس موضوع سابقه في النهي عن الشرب حال الوقوف، وقد رواه أبو هريرة رضي الله عنه في أسلوب خبري خال من المؤكدات، ولعله لم يواجه بإنكار من المخاطبين، أو يتوقع ذلك أما المعنى الذي ساقه الرسول ﷺ فقد جاء في صورة النهي (لا يشربن أحدكم قائماً) وتوكيد الفعل المنهي عنه بالنون يشير إلى أهمية الانتهاء عن هذا الفعل، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وقوله (فمن نسي فليستقيء) الفاء للترتيب، والتعقيب المؤذن بسرعة رد الفعل تصحيحاً لتجاوز الحكم، و (من) اسم موصول متضمن معنى الشرط، وفعل الشرط (نسي) أي تحقق نسيانه، وقوله: (فليستقئ) الفاء في جواب الشرط تنادي بالسرعة، واللام للأمر بالقيء، وحاصل العبارة التشديد في النهي، والتحذير من الشرب في أثناء القيام.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٢٠٢٦/١١٦).

تنبيه: الحديث أخرجه مسلم ٦٨١/٣١١) مطولا، والترمذي مختصراً.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ي أ)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص١٢٨٢.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تناول الطعام والشراب مرده إلى الأعراف، مع مراعاة السنة عند التناول، كالتسمية في البدء والشكر في النهاية، وأما الحال التي يكون عليها الأكل والشرب فمردها إلى ظروفه، وخير ذلك ما كان من جلوس، ولا حرمة مع القيام، مع مراعاة ما يلي:

أولاً- بيان آداب الشرب:

من الآداب التي ينبغي على المتربي أن يعرفها ويطبقها آداب الشرب، ومن ذلك جواز الشرب قائمًا وأن الأفضل والأكمل الشرب قاعدًا، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم" وحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام" وحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا، وحديث أنس رضي الله عنه "نهى النبي ﷺ أن يشرب الرجل قائمًا...".

ففي جملة هذه الأحاديث بيان جواز الأمرين وأن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا، وأن الشرب قائمًا النهي فيه للتنزيه.

قال ابن القيم: (وكان من هديه ﷺ الشرب قاعدًا، هذا كان هديه المعتاد وصحّ عنه أنه نهى عن الشرب قائمًا، وصح عنه أنه أمر الذي شرب قائمًا أن يستقيء، وصح عنه أنه شرب قائمًا.

قالت طائفة: هذا ناسخ للنهي، وقالت طائفة: بل مبين أن النهي ليس للتحريم بل للإرشاد وترك الأولى، وقالت طائفة: لا تعارض بينهما أصلاً فإنه إنما شرب قائمًا للحاجة، فإنه جاء إلى زمزم وهم يستقون منها، فاستقى فناولوه الدلو فشرب وهو قائم

وهذا كان موضع حاجة)[(١)].

إن واجب المربي أن يبين للمتربي آداب الشرب، وذلك حتى يكون المسلم على أكمل الأحوال وأحسن الآداب.

(ومن آداب الشرب أن يشرب قاعدًا وهو أفضل، قال ابن عثيمين رحمه الله: الأفضل في الأكل والشرب أن يكون الإنسان قاعدًا لأن هذا هو هدي النبي ﷺ ولا يأكل وهو قائم ولا يشرب وهو قائم، وما ورد من النهي عن ذلك فليس للتحريم ولكنه لترك الأولى بمعنى: أن الأحسن والأكمل أن يشرب الإنسان وهو قاعد وأن يأكل وهو قاعد، ولا بأس أن يشرب وهو قائم وأن يأكل هو قائم)[(٢)].

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية حيث يقوم المربي بتطبيق ما يدعو إليه عمليًا، ويطبقه واقعيًا، ومما يدل على ذلك من أحاديث الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم".

وكذلك حديث النزَّال بن سبرة رضي الله عنه قال: "أتى عليٌّ رضي الله عنه على باب الرحبة بماء فشرب قائمًا وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت".

وكذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نأكل علي عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام".

وكذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا".

ففي جملة هذه الأحاديث قام النبي ﷺ بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية بالشرب قائمًا واقتدى به الصحابة رضي الله عنهم لبيان الجواز، وأن النهي للتنزيه وليس للتحريم، وإلا لما فعله رسول الله ﷺ.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٢٩/٤.

(٢) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ٤٦١/١.

(إن أسلوب التدريب والممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل ويدرك الفردُ العلاقةَ بين القول والفعل، والنظرية والتطبيق، والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب التدريب والممارسة العملية وتؤمن أن تلك الممارسة هي الترجمة الحقة لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك ملموس، لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه، وينبغي للمربي المسلم أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد. وهذا يعني أن المعلم المسلم لا يقتصر على المعرفة اللفظية وإنما يجب أن يتعدى ذلك ليربط بين الفكر والعمل والنظرية والتطبيق ويترك استخدام هذا الأسلوب في التربية الإسلامية بعض الآثار التربوية المهمة في تنشئة الفرد إذ يعوده الدقة في العمل وتوخي صحة النتائج وشعوره بالمسؤولية وتواضعه وحبه للعمل)[1].

إنه من خلال الممارسة العملية تحدث القناعة لدى المتربي بما يطلب منه من أوامر أو نواهٍ مما ينعكس إيجابيًا على نجاح العملية التربوية.

ثالثًا-بيان يسر الشريعة:

من أهداف التربية الإسلامية بيان يسر الشريعة الإسلامية وسماحتها، ويتضح هذا في أحاديث الباب من خلال جواز الشرب قائمًا وقاعدًا وأن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا، ومن شرب قائمًا فلا حرج عليه، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام" وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا".

(إن المتتبع لأبواب الشريعة بل لجزئيات هذه الأبواب يستطيع في مقام الموازنة أن يثبت أن باب العبادات يتجلى فيه اليسر أكثر من غيره وذلك أمر طبعي، لا يستدعي من التأمل سوى معرفة أن العبادة صلة محضة بين العبد وربه، والرب سبحانه رحيم بخلقه، لطيف بهم، ومن أجل ذلك كانت تلك الصلة مبنية على التسامح، وعدم

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٦، ٨٧.

الحرج والمشقة ولا أدل على ما نقوله من الأمثلة الحية التي نطبقها في حياتنا اليومية أكثر من مرة)[1].

وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي التعصب لرأي، ولا التمسك بقولٍ طالما أن في الأمر سعة فإن الشريعة مبنية على التيسير ورفع الحرج والمشقة.

روي عن ابن وهب عن القاسم بن محمد أنه قال: لقد أعجبني قول عمر بن العزيز: ما أحب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون، لأنه لو كان قولاً واحدًا لكان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان سنة (وهذا كله لا يعني أن ثَمَّةَ إعراضًا عن معرفة دليل المخالف أو الاستماع إليه أو اعتباره في النظر بأي وجه من الاعتبار لأن طريق المتمسك بالحق هو المناقشة الحرة والاستماع إلى دليل المخالف برحابة صدر واتساع أفق، والرد المشفق الذي يرجى فيه إرشاد المخالف وتبصرته لكي يكون التآلف والاجتماع لا التنافر والاختلاف وما روح الإنصاف والبعد عن التعصب الذي شاع في كثير من فتاوى وكتابات الأئمة الأربعة عنّا ببعيد، فاللبيب عليه أن يتأمل بماذا يعود عليه الانتصار للقول والتعصب للرأي)[2].

رابعًا: من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية يمكن الاستفادة منها، من ذلك:

أ-الإلقاء: كما في قوله ﷺ "لا يشربن أحد منكم قائمًا، فمن نسي فليستقئ" والإلقاء يقوم على عرض شفهي للمعلومات من جانب المعلم، لذا فهو يناسب المتعلمين الذين تتوافر عندهم القدرات على الاستيعاب السريع كالمتعلمين في المرحلة الثانوية والجامعية، فهو يمكن المتعلم من عرض قدر كبير من المعلومات في أقصر وقت ممكن.

ب-المناقشة والحوار: كما في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائمًا. قال قتادة: فقلنا لأنس: فالأكل؟ قال: ذلك أشر أو أخبث.

---

(١) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز عبدالرحمن بن علي الربيعة ص ٤٧.

(٢) الفوائد التربوية من فتاوى ابن تيمية، جمع وشرح أحمد يوسف الأنصاري ص ٢٦.

والمناقشة والحوار من الأساليب التي تتيح للمتعلمين الفرصة ليعبروا عما بداخلهم وعن آرائهم وأفكارهم في جو مشجع ومحفز. لذا ينتقل المتعلم إلى المشاركة الإيجابية في العملية التعليمية، فيحس بقيمة ما تعلمه واستفاده.

خامسًا: التربية على الاقتداء بالنبي ﷺ:

لقد شرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه قائمًا ثم بيّن أنه فعل ذلك اقتداء بصاحب الشرع ﷺ: "إني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت" إنه رضي الله عنه فعل كما فعل النبي ﷺ وعمل كما عمل وشرب كما شرب، إنه يريد أن يلفت الذين خاطبهم إلى أنه مقتدٍ به ﷺ متأسٍ به، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يدعوهم إلى أن يفعلوا مثلما فعل ويقتدوا مثلما اقتدى ويهتدوا بهديه ﷺ مثلما اهتدى.

وهذا ما يوضح أيضًا قول ابن عمر رضي الله عنهما: كنا على عهد رسول الله ﷺ نأكل ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام، إنه رضي الله عنه يبين أن النبي ﷺ كان مطلعًا على ذلك وأقَرّنا فكان ذلك من سنته ﷺ التي ينبغي على المسلمين أن يلتزموا بها.

والمقصود أن على المربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على الاقتداء به ﷺ في حياتهم ومعاشهم، لأن هديه ﷺ خيرُ الهدى وسنته هي الطريق القويم ومنهاجه أقوم المناهج وأرشدها.



١١٥- باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شرباً

الحديث رقم (٧٧٣)

٧٧٣- عن أَبي قتادة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((ساقي القوم آخِرُهُمْ شُرْباً)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يسنُّ أدبا عالياً علّمه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، ومنهم للأمة في كل زمان، ومكان، وقد ساقه بأسلوب خبري يتسم بسوق الحقيقة مجردة مساق الأمر المأنوس الذي لا يعترضه معترض، ولا يشك فيه شاك، وقوله (ساقي القوم آخرهم شرباً) ساق القوم هو: الذي يقوم على أمر شرابهم، والقوم عشيرة الرجل من الرجال خاصة، وقوله: (آخرهم) حتى لا يخص نفسه دونهم إذا انتهى الشراب، وفيه تربية لخلق الإيثار، وحب الناس، وقوله (شراباً) تمييز للمحكوم به على المسند.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

أدب الساقي: يستحب لمن يتولى سقاية القوم "الماء واللبن ونحوهما" أن يتأخر في الشرب حتى يشربوا جميعاً، ويفرغوا عن آخرهم، وفي معناه ما يفرق على الجماعة، من المأكول كلحم، وفاكهة، ومشموم، وغير ذلك، فيكون المفرق آخرهم تناولاً لنفسه، فهو أبلغ في الأدب، وأدخل في مكارم الأخلاق، وحسن العشرة، وجميل المصاحبة[2].

---

(١) برقم (١٨٩٤).

(٢) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٢٩/٤، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٤/٥، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٢١/٨، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٥٢٤/٨ وما بعدها، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٧٣/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من آداب سقاية القوم.

ثانياً: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

ثالثاً: من مهام الداعي: غرس الآداب الاجتماعية في نفوس المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: من آداب سقاية القوم:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بكريم الأخلاق، ورفيع الآداب، وحثت عليها؛ بغية التسامي، والارتقاء، وتهذيب الأخلاق، وإصلاح العادات، ومن تلك الآداب ما جاء في الحديث من آداب سقاية القوم وإكرامهم فقال ﷺ "ساقي القوم آخرهم" وهذا أدب من آداب ساقي الماء واللبن ونحوهما، وفي معناه مَنْ يفرق على الجماعة مأكولاً كلحم وفاكهة وغيرهما، فليكن المفرق آخرهم تناولاً من لنفسه، قال ابن رسلان: (وفي الحديث إشارة إلى أن من ولي شيئاً من أمر الأمة، فعليه السعي فيما ينفعهم ودفع ما يؤذيهم، وتقديم مصلحتهم على مصلحته[1] وأن يكون غرضه إصلاح حالهم، وجر المنفعة إليهم، ودفع المضار عنهم، والنظر لهم في دق أمورهم وجلها[2] وقدأعطانا النبي ﷺ لذلك مثالاً تطبيقياً كما جاء في حديث قتادة الطويل قال: ((فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ، حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ صَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِي: اشْرَبْ، فَقُلْتُ: لاَ أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا، قَالَ: فَشَرِبْتُ، وَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ))[3]. ففي هذا الحديث أدب من آداب شاربي الماء واللبن ونحوهما [4].

ثانياً - من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

لقد أمر الله تبارك وتعالى بالاستجابة المطلقة لتوجيهات رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٣٣.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٢/٢.

(٣) أخرجه مسلم ٦٨١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨٠.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[١] وقال ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[٢].

وقد ورد في الحديث توجيهاً من توجيهاته ﷺ التي ينبغي الاستجابة لها وعدم إغفالها فقال ﷺ "ساقي القوم آخرهم" وفي هذا الحديث دلالة ظاهرة في أن من تولى سقاية قوم، فإنه يقدمهم على نفسه، ويكون هو آخرهم شرباً، اقتداءً برسول الله ﷺ[٣]. وتأسياً به في شؤونه كلها، فإن في ذلك السعادة وتمامها، قال ابن القيم: (وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم)[٤].

والسبيل العملي للتأسي برسول الله ﷺ هو تطبيق السنة تطبيقاً يشمل جميع جوانب الدين والحياة.

ثالثاً – من مهام الداعي: غرس الآداب الاجتماعية في نفوس المدعوين:

من أهم الآداب والصفات التي ينبغي على الداعية الاضطلاع بها غرس الآداب في نفوس المدعوين، وكما جاء في الحديث جانبٌ من جوانب الآداب العامة "ساقي القوم آخرهم" وكانت تلك عادة النبي ﷺ، ودأبه في ملاحظاته، وتفقداته لأصحابه رضي الله عنهم[٥] ومن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا. نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ «غَضُّ

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٧٠، ١٧١.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/ ٦٩، ٧٠.

(٥) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/ ٧٣٠.

الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ))[١]، وكذلك من ملاحظاته ﷺ وغرسه الآداب في نفوس الصغار ما روي عن عمرو بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: ((كنتُ غلاماً في حَجرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يَدي تطيشُ في الصَّحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ يا غُلامُ سَمِّ اللهَ. وَكُلْ بِيَمينِكَ. وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ))[٢] وتلك بعض النماذج الحية الواقعية، التي تؤكد حرص النبي ﷺ على تربية الناس ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم، والرفع من مستواهم[٣].

فما أحرى بالمسلم أن يتخلق بمكارم الأخلاق، ويتحلى بأحاسن الآداب، فإن ذلك من مقامات الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع سنته، المأمور به في مثل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤] إن هذا هو مقام من أراد التخلق بأخلاق الشرع الحنيف، وتأدب بآداب الله التي أدب بها عباده في كتابه الكريم، وما ورد عن رسول الله ﷺ وما اتصف به؛ حيث قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥] والرسول ﷺ هو القائل: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ))[٦] وفي رواية: "مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ".

إن تأسي المسلم بالنبي ﷺ من دلائل إيمانه والتزامه بما جاء به ﷺ، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على التأسي برسول الله ﷺ فكانوا يراعون ما يفعل وينظرون إليه كيف يفعل، ويتحينون الفرص لأجل أن يقتدوا به ﷺ[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢٩، ومسلم ٢١٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

(٣) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ٢٩٥-٢٩٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٥٣.

(٧) أفعال الرسول ﷺ، محمد سليمان الأشقر ص ٧٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الإيثار خير من الأثرة ومن يخدُم خيراً ممن يخدم، وروح الأنانية منهي عنها في الإسلام، وأحاديث الباب جاءت بمضامين تربوية منها:

أولاً-غرس روح الإيثار:

إن من القيم والآداب الاجتماعية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين غرس روح الإيثار لما في ذلك من تحقيق التواصل الاجتماعي، وتوطيد روح الجماعة، وتنمية بذور المحبة والمودة بين الجماعة المؤمنة، ولعل الحث على روح الإيثار تتضح من خلال حديث الباب الذي أورده النووي وفيه عن أبي قتادة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: "ساقي القوم آخرهم شربًا".

ففي هذا أدب من آداب الجماعة أن يكون ساقي القوم آخرهم شربًا فهو يؤثرهم على نفسه، ويقدمهم عليها، وهذا له مردوده الإيجابي في نفس الجماعة.

(إن هدف التربية هو إعداد الإنسان وتربيته تربية صالحة تحقق فضائل الحياة الاجتماعية من تعاون وتكافل وتضامن ومحبة كما أنها تنمي الحاجة إلى الأنس بالمجتمع عند الناشئ والحاجة إلى الانتماء، والميل إلى التقليد الحسن والاعتزاز بالأمة، وتغرس فيه ذلك كله بعيدًا عن الانحراف أو الاستهتار أو الانقياد الأعمى، ودون فقدان للمواهب الخاصة أو إذابة لمقومات الشخصية للمواهب، إنها تجمع باتّزان بين تربية الذات الفردية وتربية النزعة الاجتماعية من غير أن تطغى إحداهما على الأخرى أو تنحرف أي منهما عن الخير وعن طاعة الله تعالى وتحقيق شريعته وعن جادة الصواب والاستقامة في الحياة)[1].

وما من شك أن (الإيثار قيمة خلقية سامية رفيعة تسود كل الخصال السامية التي تشكل بمجملها الإطار الكامل للأريحية المعطاءة الباذلة التي تسعد بالبذل مثلما يسعد

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ١٢٣.

الآخرون بالأخذ وهي أريحية تتم البناء النفسي الصحيح، والإيثار هو المعنى الرديف للمروءة تلك السمة الخلقية العظيمة التي تحمل النفس الإنسانية على فعل الخير ودرء الشر وبذلك تكون مفتاح عمارة الشخصية بالكمال الأخلاقي الذي يجنبها السفه والانحطاط وينأى بها عن الجشع وهي كذلك عنوان علوّ الهمة وشرف النفس ودليل الكرم، وهي من دواعي الألفة ودوام المحبة)[1].

إن واجب المشتغلين بالتربية، تعميق روح الإيثار في نفوس المتربين لنجاح العملية التربوية على مستوى الأفراد، وعلى مستوى المجتمعات (فالإيثار قيمة سامية تدفع إلى الاتحاد والتعاون فقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسان اجتماعيًا بطبيعته لا يمكنه القيام بأعباء هذه الحياة منفردًا، ولا الحصول على لوازمه كلها بمفرده بل لابد له من مشاركة غيره وهذه المشاركة هي التي عناها الخالق سبحانه بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[2] ثم إن تقديم الآخرين على الذات وتفضيلهم على النفس هو غاية نبيلة تؤدي إلى زوال الأنانية وتوثيق الروابط بين الأفراد بل بين المجتمعات، وبذلك ترتقي قيمة الفرد المتطلع إلى إقامة العلائق الاجتماعية على أسس سليمة)[3].

ثانيًا-التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية الناجحة التربية بالتوجيه المباشر حيث يقوم المربي بتوجيه النصح والإرشاد أو الموعظة والتوجيه التربوي مباشرة إلى المتربي، وفي حديث الباب تتضح التربية بالتوجيه المباشر من خلال قوله ﷺ "ساقي القوم آخرهم شربًا" (وتعتمد التربية بالتوجيه المباشر على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المرادُ تغييرُ سلوكه أو تقويمه

---

(١) إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق العربية والإسلامية، الدجوي، تحقيق علاء الدين زعتري ص ١٠٨ نقلا عن موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، ١٠/١٠، ١١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون ١٠/١٢، ١٣.

تلقينًا مباشرًا بإلقاء الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر أو النهي، وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المتربي)[1].

والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم، يتخلل ذلك أحيانًا مناظرة من المعلم يرافقها تصحيح لأخطائه)[2].



(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ١٥٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٨٤.

١١٦- باب جواز الشرب

من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة

وجواز الكرع - وَهُوَ الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد - وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

الحديث رقم (٧٧٤)

٧٧٤- عن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فقامَ مَن كَانَ قَريبَ الدَّارِ إِلَى أهْلِهِ، وبَقِيَ قَوْمٌ، فأُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ[1]، فَصَغُرَ المِخْضَبُ أنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ كُلُّهُمْ. قالوا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَمَانِينَ وزيادة. متفق عَلَيْهِ، هذه رواية البخاري[2].

وفي رواية لَهُ ولمسلم[3]: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم دَعَا بإناءٍ مِنْ ماءٍ، فَأُتِيَ بقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ماءٍ، فَوَضَعَ أصابعَهُ فِيهِ. قَالَ أنسٌ: فَجَعَلْتُ أنْظُرُ إِلَى الماءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أصَابِعِهِ، فَحَزَرْتُ مَنْ تَوضَّأ منه مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بمخضب: الإناء الذي يغسل فيه الثياب من أي جنس كان، وقد يطلق على الإناء صغيرًا أو كبيرًا[4].

---

(١) عند البخاري زيادة: (فيه ماء).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٠) واللفظ له، ومسلم (٤/٢٢٧٩).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٣٦١.

فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه: أي لم يسع المخضب بسط كفه ﷺ[١].

القدح: الإناء الذي يشرب فيه[٢].

الرحراح: الواسع القصير الجدار[٣].

حزرت من توضأ: قدَّرتهم بالتخمين[٤].

الشرح الأدبي

في الحديث معجزة من معجزات النبي ﷺ رآها أصحابه - رضوان الله عليهم - وهي نبع الماء من بين أصابعه كما نص على ذلك أنس رضي الله عنه في الرواية الثانية التي رواها مسلم لهذا الحديث، والتي أثبتها صاحب رياض الصالحين عند ذكر هذا الحديث: (فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه)[٥]. وقد ساق أنس رضي الله عنه الحديث في أسلوب قصصي دون مؤكدات، وقوله (حضرت الصلاة) فيه إيجاز بالحذف أي: حان وقتها، وقوله: (فقام من كان قريب الدار إلى أهله) وفي الكلام إيجاز بليغ أي ليتوضأ، والربط بالفاء إيذان بالسرعة التي تعكس حرصهم على أداء الصلاة على وقتها، وقوله) فصغر المخضب) وهو إناء من حجارة لم يتسع لبسط كف رسول الله ﷺ لصغره، وهو ما تبدو خلاله المفارقة بين ضيقه لدرجة لا يتسع فيها لبسط كف، وبين وضوء العدد الكبير من مائه بمعجزة رسول الله ﷺ والذي يؤكده قوله) فتوضأ القوم كلهم) حيث جعل فاعل الوضوء (القوم) وأكده بلفظ (كل) المضاف إلى ضمير الجماعة، وقد صعَّد هذا التوكيد إجابته على سؤال السائلين (كم كنتم؟) وهو استفهام على حقيقته مع ما يلوح منه من تعجب فقال (ثمانين، وزيادة) وفيها إيجاز

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/١.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ق د ح).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٤.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ذ ر).

(٥) البخاري رقم (٢٠٠).

ينشط العقل، ويحفظ على الأسلوب طبقته في الكلام العالي أي: كنا ثمانين، وهو ما يجعل الحدث يخرج عن حد العادة إلى حد الإعجاز للرسول ﷺ، وقوله: (وزيادة) تتميم بلاغي ينفي وهم المبالغة عن العدد المذكور، ويضيف احتمال ارتفاع العدد على الثمانين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على أداء الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على نقل أخبار النبي ﷺ معهم.

ثالثًا: من معجزات النبي ﷺ: نبع الماء من بين يديه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على أداء الصلاة:

من موضوعات الدعوة التي في هذا الحديث الحث على أداء الصلاة. ويظهر ذلك في قول أنس ﷺ: "حضرت الصلاة فقام من كان قريب...".

فالصلاة من أهم العبادات التي يجب على كل مسلم أن يفقه أحكامها درسًا وتطبيقًا، لعظم قدرها، وسمو مكانتها في الإسلام، فإذا كان الإيمان قولاً باللسان واعتقادًا بالجنان، فالصلاة عمل بالأركان وطاعة للرحمن.

ولما كانت الصلاة عبادة يتحقق فيها التجرد لله وحده، وتربية النفس على المعاني الإيمانية، التي تعد المؤمن لحياة كريمة في الدنيا، وسعادة سرمدية في الآخرة، كانت سنة متتابعة عبر الرسالات، وصلة بخالق الأرض والسماوات، وزادًا يعين النفس على التزام الطاعات والبعد عن المحرمات. والصلاة عبادة يجب أن تؤدى على وجهها المشروع، لقول الرسول ﷺ: ((... وصلوا كما رأيتموني أصلي...))[1]. فلابد للمسلم أن يتعلم كل ما يتعلق بأحكام الصلاة، حتى يؤدي العبادة على الوجه الصحيح.

ومن هنا تبدو أهمية الدعوة في التعريف بالصلاة ومكانتها وآثارها في حياة المسلم،

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١، ومسلم ٦٧٤.

وكيف يؤدي الإنسان الصلاة صحيحة تامة، كما علمنا إياها رسول الله ﷺ[١].

والصلاة لها مكانة عظيمة في الإسلام، فهي ثاني أركان الإسلام، وثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[٣] وقال تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾[٤] وقال رسول الله ﷺ ((بُنِيَ الإِسلامُ عَلى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إِلهَ إِلاّ اللّهُ، وَأَنَّ محمداً رسولُ اللّهِ، وَإِقامِ الصلاةِ، وإِيتاءِ الزَّكاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضان))[٥] وقد نسب رسول الله ﷺ تاركها إلى الكفر فقال: ((إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ))[٦]. فالصلاة عمود الدين الذي لا يقوم إلا به[٧].

فهي أهم ركن في الإسلام بعد الشهادتين، ومما يدل على ذلك أنها كانت آخر وصية أوصى بها رسول الله ﷺ أمته قبل وفاته، فعن أنس رضي الله عنه قال: ((كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: الصَّلاَةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَرْغِرُ بِهَا صَدْرُهُ، وَمَا يَكَادُ يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ))[٨].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نقل أخبار النبي ﷺ معهم:

يظهر هذا من عموم الحديث، حيث ذكر أنس رضي الله عنه فعل النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم عند حضور الصلاة، ولم يجدوا الماء الكافي لوضوئهم؛ فالصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا رسول الله ﷺ وأخذوا عنه سنته، وعايشوه في أحواله المختلفة،

---

(١) انظر: الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٩، ١٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١١٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٥) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٦) أخرجه مسلم ٨٢.

(٧) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥١/٢٧.

(٨) أخرجه أحمد ١١٧/٣ رقم ١٢١٦٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٠٩/١٩.

فكانوا حريصين على نقل أخباره التي وقعت معهم، وأفعاله المختلفة، حتى تعلم الأمة سنة رسولها وشريعة ربها ومعجزاته التي أيد بها رسوله. وقد دعا رسول الله ﷺ لمن نقل عنه قوله إلى غيره، وحث على هذا التبليغ بقوله ﷺ ((نَضَّرَ الله امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ))[1].

ثالثًا- من معجزات النبي ﷺ: نبع الماء من بين أصابعه:

من معجزات النبي ﷺ التي أيده الله بها نبع الماء من بين أصابعه، ويظهر ذلك في قول أنس: "... فوضع أصابعه فيه، قال أنس: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه" وهذا من معجزات النبي ﷺ. وفي كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضي عياض وغيره، أحدهما ونقله القاضي عن المزني وأكثر العلماء: أن معناه: أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه ﷺ وينبع من ذاتها، قالوا: وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر، ويؤيد هذا أنه جاء في رواية: فرأيت الماء ينبع من أصابعه، والثاني: يحتمل أن الله كثر الماء في ذاته، فصار يفور من بين أصابعه لا من نفسها، وكلاهما معجزة ظاهرة وآية باهرة)[2].

وقال القرطبي: (قضية نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي... قال: ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ)[3].

ونقل ابن عبدالبر عن المزني قوله: (نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر، حيث ضربه موسى عليه السلام بالعصا فتفجرت منه المياه، لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم)[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٦٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٩).

(٢) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٣٩١/٧، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٤.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٢/٦ - ٥٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٧٧/٦.

الحديث رقم (٧٧٥)

٧٧٥-وعن عبد الله بن زيد ﷺ، قَالَ: أتَانَا النبيُّ ﷺ فَأَخْرَجْنَا لَهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ فَتَوَضَّأَ. رواه البخاريُّ[1].

"الصُّفْر" بضم الصاد، ويجوز كسرها، وهو النحاس، و"التَّوْر": كالقدح، وهو بالتاء المثناة من فوق.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن زيد بن عاصم: وهو عبدالله بن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن مندول، المازنيُّ، النجاريُّ، المدنيُّ، الأنصاري، يكنى بأبي محمد، يعرف بابن أم عمارة، وهو من فضلاء الصحابة، روى عن النبي ﷺ حديث الوضوء، وعدة أحاديث، روى له الجماعة، له في كتب الحديث (٤٨) حديثًا، له ولأبويه وأخيه حبيب صحبة.

اختُلِفَ في شهوده بدرًا، والأصح أن أُحُدًا هي أول مشاهده، شهدها هو وأمهُ أم عمارة، مع النبي ﷺ، ثم شهد بعدها المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان ممن بايع رسول الله ﷺ وقال يوم الحَرَّة لا أبايع على هذا - أي الموت- أحدًا بعد رسول الله ﷺ[2].

وكان مسيلمة الكذاب قد قتل حبيب بن زيد أخَ عبدالله وقطعه عضوًا عضوًا، وكان حبيب قد بعثه النبي ﷺ إلى مسيلمة الكذاب باليمامة، فكان مسيلمة إذا قال له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، وإذا قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: أنا أصمُّ لا أسمع، فعل ذلك مرارًا فقطعه مسيلمة عضوًا عضوًا، ومات شهيدًا، فشاء الله تبارك وتعالى أن يغزو المسلمون اليمامة، وكان منهم عبدالله بن زيد، فانتقم لأخيه وشارك وحشيٌّ بن حرب في قتل مسيلمة الكذاب.

---

(١) برقم (١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٩).

أما عن وفاته فيقال إنه قُتِل يوم الحَرَّة سنة (٦٣) وهو ابن (٧٠) سنة، وقتل معه ابناه خلاّد وعلي، وكان ذلك في أيام يزيد بن معاوية[1].

الشرح الأدبي

قول الصحابي ﷺ أتانا النبي ﷺ بصيغة الجمع يشعر باعتزازه بزيارة النبي ﷺ وسعادته بنزوله عليه كما يخبر من حظي بتشريف الملك بقوله: (زارنا الملك) على سبيل الافتخار، والاعتزاز، وأي ملك يساوي تاجه نعل رسول الله ﷺ؟ وحُقَّ للصحابي هذا الاعتزاز، وما يؤكد ذلك تكراره ضمير الجماعة (أتانا، فأخرجنا) وكأنه يستكثر على نفسه أن يكون تشريف الرسول ﷺ مخصوصاً بفرد، ثم إن فاء العطف المتصلة تؤذن بهذا المعنى؛ فإن من أتاه ضيف عزيز أسرع في إكرامه، وتلبية حاجته وقوله (فأخرجنا) توحي بعموم هذه الحالة من الاعتزاز، والسعادة برسول ﷺ للجميع، وإسراعهم جميعاً لإكرامه، وقوله: (في تور من صفر) هو إناء من النحاس، وهو أغلى ما لديهم يومئذ، وهو ما يؤكد حفاوتهم بالرسول ﷺ، وقوله: (فتوضأ) إشارة إلى أنه لم يعترض على استعمال هذا اللون من الآنية لمشابهته للون الذهب.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: التواصل مع المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على خدمة النبي ﷺ.

أولاً - من آداب الداعية: التواصل مع المدعوين:

يظهر ذلك في قول عبدالله بن زيد ﷺ: (أتانا رسول الله ﷺ)، فدل هذا على

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٠٥)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٥٠/٣، ٢٥١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيني (٧٧٥)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٣٧٧/٢، ٣٧٨)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٣٨/٤، ١٣٩)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٣٩/٢)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٨٨/٤).

تواصل النبي ﷺ مع أصحابه وزيارته لهم.

فإن المدعو يؤتى ويدعى حيث كان، ولا ينبغي للداعية انتظار مجيء الناس إليه، وهكذا كان يفعل إمام الدعاة محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، وسائر الأنبياء والرسل عليهم السلام، في جميع الأزمنة والأمكنة؛ فكان رسول الله ﷺ يأتي مجالس قريش ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في منازلهم ويدعوهم إلى الله تعالى، ويذهب إلى ملاقاة من يقدم إلى مكة في المواسم فيدعوهم[1].

وكان رسول الله ﷺ يحرص على التواصل مع المسلمين ويقوم بزيارتهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: ((إن كان النبيُّ ﷺ ليخالِطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: يا أبا عُمَير، ما فَعلَ النغَير))[2].

وعن عثمان رضي الله عنه قال: ((إنَّا وَاللهِ، قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ في السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِمُونِي بِهِ، عَسَى أَلاَّ يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ))[3].

وقد كان رسول الله ﷺ يحرص على التواصل مع المدعوين، فهو يتوفر لطلابه في معظم أحيانه، فهم يجدونه في المسجد، فإن لم يكن ذهبوا إلى بيته، وكان ﷺ يستقبلهم، ويجيب على أسئلتهم، ولم يكن من عادته حجب الناس عنه أوردهم، بل كان يستقبلهم، ويبتسم لهم دائمًا.

عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: ((ما حَجَبني النبيُّ ﷺ منذ أسلمتُ، ولا رآني إلا تبسَّمَ في وجهي))[4]. وعن عبدالله بن الحارث قال: ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ))[5].

---

(١) انظر: أصناف المدعوين، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٢٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١/٧٠ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١/٥٣٢.

(٤) أخرجه البخاري ٣٨٢٢، ومسلم ٢٤٧٥.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٦٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٨٠).

وكان ﷺ يستقبل أنواع الناس على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم، يستقبل الأعرابي والمتعلم، والمرأة والرجل، والطفل والشاب، والكهل والشيخ والعجوز والسيد والمولى والجارية، وكلٌّ يحسُّ بحظوة عنده ومكانة كأنها ليست لغيره، وهي للجميع، وربما أطال من جلس عنده، فاستحيا منه الرسول ﷺ ولم يشعر بذلك، وربما أطال من استوقفه في الطريق أو في المسجد، فلم يعنفه أو ينصرف عنه، وقصصه في هذا كثيرة جدًا، لا يسع المقام لذكرها[1].

فعلى الداعية أن يحرص على التواصل مع المدعوين ومخالطتهم، ويحرص على تبادل المودة والمحبة بينه وبينهم، حتى يقبلوا على دعوته.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على خدمة النبي ﷺ:

يظهر ذلك في قول عبدالله بن زيد ﵁ فأخرجنا له ماء.

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين على خدمة رسول الله ﷺ فعن ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: ((كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: سَلْ فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))[2].

لقد عرف أصحاب رسول الله ﷺ قدره، فعزروه ونصروه، وحرصوا على خدمته وأحبوه أكثر من أنفسهم وأموالهم وأهلهم، فهو رسول الله وصفوته من خلقه.

فكيف لا يحرصون على خدمته ﷺ؟ وهو حقه أن يفدى بالأنفس والأموال، وأن يؤثر بكل عزيز وغال. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[3].

فحرم الله على المؤمنين التخلف عن نصرة نبيه والرغبة بالأنفس عنه، وأوجب على

(١) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٩.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٠.

المؤمنين نصرته، وذلك في آيات عدة من القرآن منها: قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وامتدح الله المهاجرين بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[2].

كما أثنى على الأنصار بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[3].

ونصر الرسول ﷺ يشمل نصره باللسان والسنان والبنان، بالقول والفعل، نصرًا له في ذات نفسه حماية لعرضه، وصونًا لحرمته، وإرغامًا لأعدائه ومبغضيه، وانتصارًا له من كل من يؤذيه، وإجلالاً لمقام النبوة من أي قدح أو عيب[4].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) سورة الحشر، آية: ٨.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٧٤.

(٤) محبة الرسول ﷺ، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٨١، ٨٢.

الحديث رقم (٧٧٦)

٧٧٦- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ هذِهِ اللَّيْلَةَ فِي شَنَّةٍ وَإِلاَّ كَرَعْنَا)) رواه البخاري[1].

(الشنّ): القِربة.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شَنَّةٍ: الشن: القِربة[2].

كرعنا: تناولنا الماء بالفم من غير إناء ولا كف.

الشرح الأدبي

سرد الصحابي الحديث في ثوب الخبر المؤكد بأكثر من مؤكد، ولعل ذلك يرجع إلى إحساسه بعظمة من يحدِّث عنه، ورغبته في تعظيم الخبر في أسماع المخاطبين، وقلوبهم، وقوله: (دخل) يفيد تحقق الوقوع، وتنكير كلمة رجل في قوله: (على رجل) يشير إلى تواضع الرسول ﷺ ولين جانبه، وحسن معاملته لكل أمته دون تمييز بينهم من ناحية الغنى، الفقر، أو الشرف، والوضاعة، بل لم يكن من مقياس للتفاضل بينهم إلا بالتقوى، وصياغة الرسول ﷺ لطلبه في صورة الشرط (إن كان عندك ماء) من أدبه العالي حتى لا يكلف الرجل ما لا ليس عنده، ولذلك قدم الظرف (عندك) وقوله: (في شنة) أي قربة، وهي وعاء يحفظ فيه الماء، وقوله: (وإلا كرعنا) فِيهِ حَذْفٌ تَقْدِيره: فَاسْقِنَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدك كَرَعْنَا، وَالْكَرْع بِالرَّاء تَنَاوُل الْمَاء بِالْفَمِ مِنْ غَيْر إِنَاء وَلَا

(١) برقم (٥٦١٣).

(٢) رياض الصالحين ٣٢٦.

كَفّ، وهو من تواضعه ﷺ فإنه لا يتكبر عن الشرب من مجرى الماء بفمه دون إناء مادام طاهراً.

فقه الحديث

حكم الكرع: الكرع جائز(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البساطة والتواضع وعدم التكلف مع المدعوين.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان السعة واليسر في الأمور.

أولاً - من صفات الداعية: البساطة والتواضع وعدم التكلف مع المدعوين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنة وإلا كرعنا".

ويدل هذا على بساطة وتواضع النبي ﷺ وعدم تكلفه مع المدعوين، والتواضع ولين الجانب، وبسط الوجه للناس، وسماحة النفس والبشاشة، أخلاق كريمة، تنشأ من طيب معدن النفس، وكذلك من معرفة الإنسان بنفسه وقدرها وحقيقتها، وأنه إن لم يأخذ بنفسه إلى خلق جميل، جمحت به وأوردته في مهابط الرذيلة والأخلاق السافلة، ومنها الكِبْر، والتعاظم في النفس، والترفع على الخلق، ومعرفة العبد بأن الناس جميعًا من نفس واحدة ومردهم إلى أصل واحد، وما جعل الله الناس شعوبًا وقبائل إلا للتعارف والتآلف، وأنه لا تمايز بينهم بعِرْق أو لون، وإنما التمايز بالإيمان والتقوى والعلم النافع والعمل الصالح، الذي يورث النفس الخشية والإنابة، فمتى كان ذلك متمكنًا في النفس أكسبها التواضع، وخفض الجناح، والبساطة، وعدم التكلف مع الناس(٢).

والداعي إلى الله أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام، فكيف يكون عاريًا من التواضع، وهو من ركائز أخلاق

---

(١) في المسألة تفصيل، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٧٧.

(٢) انظر: صفات الداعية الناجح، صالح بن محمد العليوي ص ٤٢، ٤٣.

الإسلام؟ ثم إن من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم، ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقًا وصدقًا، هكذا جبلت طبائع الناس، فإنهم ينفرون عن المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده. فلا يصل إليهم من قوله شيء، بل قد يكون ذلك سببًا إلى كرههم الحق منه ومن غيره. فعلى الداعي أن يفقه هذا الأمر جيدًا، وليتق الله ربه، ولا يكون سببًا لنفرة الناس من الدعوة إلى الله[١].

وعلى الداعية النظر في خلق رسول الله ﷺ وسيرته، فهو القدوة المثلى للمسلمين جميعًا، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢]. وعن أنس ﷺ قال: ((كانتِ الأمَةُ من إماء أهلِ المدينة لَتَأخُذُ بيد رسولِ الله ﷺ فتنطَلقُ به حيث شاءت))[٣].

فحري بالداعية أن يلتزم خلق البساطة والتواضع، وعدم التكلف مع المدعوين، حتى يكون قريبًا منهم ومحبوبًا، ولابد أن يكون على صلة مستمرة بالناس ولا يتحقق ذلك إلا بالتواضع والبساطة، وعدم التكلف، كي يكسب محبتهم، وتقديرهم، واحترامهم وقبول السمع والطاعة لما يقول[٤].

ثانيًا- من مهام الداعية: بيان السعة واليسر في الأمور:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ "إن كان عندك ماء... وإلا كرعنا" حيث بين رسول الله ﷺ لمن دخل عليه أن الأمر فيه سعة ويسر، فإذا لم يكن عنده ماء في القرية شربوا من غير إناء.

وقد كان رسول الله ﷺ يختار الأمر الميسور في عمله ويحث أصحابه على اليسر

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٦٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

(٤) انظر: صفات الداعية الناجح، صالح بن محمد ا لعليوي ص ٤٥.

والسعة في الأمور؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسَرَهما ما لم يكن إثمًا))[1].

وما يدل على أن رسول الله ﷺ كان يبين لأصحابه سعة الأمور ويسرها قوله: ((عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ))[2].

فالدين الإسلامي دين السعة واليسر وليس دين الغلو والتشدد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[4].

إن الدين الإسلامي قائم على السماحة والتيسير وعدم التعسير، ورفض الغلو، وإنكار التمادي ومجاوزة الاعتدال، قال تعالى: "لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها"، وهذا ما أكده ﷺ في قوله: ((يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا))[5]، وكان ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره، أمره بالتبشير والتيسير: ((بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا))[6].

قال النووي: (إنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده، لأنه قد يفعلهما في وقتين فاقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات، وعسر في معظم الحالات، فإذا قال: ولا تعسروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه، وهذا هو المطلوب، وكذا يقال في يسرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا، لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت، وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء. وفي هذا الحديث

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ومسلم ٢٣٢٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧٣٠، ومسلم ٧٨٢.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) أخرجه البخاري ٦١٢٥، ومسلم ١٧٣٤.

(٦) أخرجه مسلم ١٧٣٢.

الأمر بالتبشير بفضل الله، وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي، كلهم يتلطف بهم، ويدرجون في أنواع الطاعة قليلاً قليلاً، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج، فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها، سهلت عليه، وكانت عاقبته غالبًا التزايد منها، ومتى عسرت عليه أو شك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أو شك أن لا يدوم أو لا يستحليها)[1].

وكان رسول الله يقول لأصحابه: ((فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمر فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))[2].

فيجب على الداعية أن يبين للمدعوين السعة واليسر في أمور الدين.

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١١٦ - ١١١٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٣٣٧.

الحديث رقم (٧٧٧)

٧٧٧- وعن حذيفة رضي الله عنه، قَالَ: إنَّ النبيَّ ﷺ نَهَانَا عَن الحَرِير، وَالدِّيباج، والشُّرب في آنيَة الذَّهَب والفِضَّةِ، وقال: ((هِيَ[1] لَهُمْ في الدُّنْيَا، وهِيَ لَكُمْ في الآخِرَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

الديباج: الثوب الذي سداه ولحمته من الحرير[3].

الشرح الأدبي

استهل الصحابي رضي الله عنه الحديث بأسلوب خبري مؤكد بـ (إن) مع اسمية الجملة؛ لأنه قوبل بما يُشبه الإنكار كما دلَّت على ذلك رواية البخاري: (كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَايِنِ فَاسْتَسْقَى فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ بِقَدَحِ فِضَّةٍ فَرَمَاهُ بِهِ فَقَالَ إِنِّي لَمْ أَرْمِهِ إِلاَّ أَنِّي نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتَهِ وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنْ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَقَالَ هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ)[4] وقوله (نهانا) إخبار بالتحريم، والأنواع المذكورة فيها إفراط في الترف، وإسراف في الاستخدام، مما يثير الحسد، والحقد بين الناس، وخاصة الفقراء الذين لا يجدون طعامهم الضروري، وقول الرسول ﷺ (هي لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة) يقرر أن النعيم المطلق للمؤمن في الآخرة، وليس في الدنيا، وإعادة المسند إليه في الجملتين إيذاناً باستقلال الحكم في الجملتين، ولأنها

---

(١) لفظ البخاري: (هنَّ).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٢) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٧/٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٧). وسيكرره المؤلف برقم (١٧٩٨).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ١٨٨.

(٤) البخاري حديث (٥٢٠١).

مدار النهي، وعلته، وفي العبارة طباق يوضح أبعاد المسألة، وأسلوب القسمة بين (لهم، ولكم، وبين الدنيا والآخرة).

وهذه العبارة تحقق القناعة بعدل الله، وترضي المؤمن بقسمه؛ لأنه يعلم أن الدنيا مهما حلت فهي إلى زوال، وليس فيها متعة إلا وهي منغصة بتذكر زوالها عن صاحبها بهلاكها، أو زوال صاحبها عنها بموته.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم استعمال أواني الذهب والفضة: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يحرم على الرجال والنساء جميعًا استعمال أواني الذهب والفضة، في الأكل والشرب والوضوء والاغتسال ونحو ذلك[١].

بينما نقل عن التابعي معاوية بن قرة، أنه لا بأس بالشرب في قدح من فضة[٢].

وعن داود جواز الأكل، وسائر وجوه الاستعمال فيهما[٣].

وعن الشافعي في القديم أن النهي عن استعمال الذهب والفضة في غير التحلي مكروه تنزيهًا، وقد رجع عنه[٤].

يقول النووي: (أجمع المسلمون على تحريم الأكل والشرب في إناء الذهب والفضة، على الرجل والمرأة، ولم يخالف في ذلك أحد من العلماء، إلا ما حكاه أصحابنا

---

(١) مراتب الإجماع ٢٨، والاختيار ١٣/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، ابو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣٥/٤، ٣٦، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٩/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٤/١.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨٤/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦/١٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨٤/١.

(٤) المرجعان السابقان.

العراقيون أن للشافعي قولاً قديمًا أنه يكره ولا يحرم، وحكوا عن داود الظاهري تحريم الشرب وجواز الأكل، وسائر وجوه الاستعمال، وهذان النقلان باطلان)[١].

حكم استعمال الأواني من غير الذهب والفضة: أما سائر الآنية فمباح اتخاذها واستعمالها، سواء أكانت ثمينة، كالياقوت والبلور والعقيق والصفر والمخروط من الزجاج، أم غير ثمينة، كالخشب والخزف والجلود.

ولا يكره استعمال شيء منها في قول جمهور الفقهاء، وقال بعض المالكية: إنه لا يجوز استعمال الأواني النفيسة، لكن ذلك ضعيف جدًا. وهو قول عند الشافعية.

كما روي عن ابن عمر أنه كره الوضوء في الصفر والنحاس والرصاص وما أشبه ذلك. واختاره الشيخ أبو الفرج المقدسي؛ لأن الماء يتغير فيها، لأن تحريم الأثمان تنبيه على تحريم ما هو أعلى منه؛ ولأن فيه سرفًا، وخيلاء وكسر قلوب الفقراء، فكان محرمًا كالأثمان[٢].

٢-حكم لبس الحرير والديباج: اتفق على أن لباس الحرير الخالص، مباح للنساء محرم على الرجال في غير حالة الحرب أو المرض أو ما في معناهما[٣].

---

(١) المرجعان السابقان.

(٢) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر بن علي اليمني ١٥٨/٦، وحاشية الصاوي ١٠٠/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٤/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٧/١.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥١٩/٦ وما بعدها، والقوانين الفقهية ٣٧٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١١/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرمة لبس الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من إتيان عادات الكفار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرمة لبس الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث حرمة لبس الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة. يظهر ذلك في قول حذيفة ﷺ قال: "إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة"، قال النووي: (وأما لبس الحرير والاستبرق والديباج والقسي وهو نوع من الحرير، فكله حرام على الرجال، سواء لبسه للخيلاء أو غيرها، إلا أن يلبسه للحكة فيجوز في السفر والحضر، وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير وجميع أنواعه)[1]. قال ﷺ: ((إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ))[2].

قال القرطبي: (وقوله: "إنما يلبس هذه" وفي رواية: "الحرير، من لا خلاق له في الآخرة" الخلاق: قيل فيه: الحظ، والنصيب، والقدر. ويعني بذلك: أنه لباس الكفار والمشركين في الدنيا، وهم الذين لا حظ لهم في الآخرة. واختلف الناس في لباس الحرير فمن مانع، ومن مجوِّز على الإطلاق، وجمهور العلماء منعه للرجال، وإباحته للنساء. وهو الصحيح لهذا الحديث، وما في بابه وهي كثيرة)[3]. ونهى عن استعمال آنية الذهب والفضة في الشرب، قال النووي: (فيه تحريم الشرب فيه)[4].

فإن استعمال الذهب والفضة حرام في مذهب الأئمة الأربعة، لأن النبي ﷺ قال:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٦٩.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٣٨٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١٠.

((لا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ))[1]. ونهى ﷺ عن الشرب في آنية الفضة، فقال: ((مَنْ شَرِبَ فِيهَا فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرَبْ فِي الآخِرَةِ))[2]. والنهي يقتضي التحريم. والعلة في تحريم الشرب فيما يتضمنه ذلك من الفخر وكسر قلوب الفقراء.

والنهي وإن كان عن الأكل والشرب، فإن العلة موجودة في الطهارة منها واستعمالها كيفما كان.

وإذا حرم الاستعمال في غير العبادة ففيها أولى، وفي المذهب القديم للشافعي أنه مكروه تنزيهًا.

فإن توضأ منها، أو اغتسل، صحت طهارته عند الحنيفة والمالكية والشافعية وأكثر الحنابلة، لأن فعل الطهارة وماءها لا يتعلق بشيء من ذلك، كالصلاة في الأرض المغصوبة.

وذهب بعض الحنابلة إلى عدم صحة الطهارة، لأنه استعمل المحرم في العبادة، فلم يصح كالصلاة في الدار المغصوبة. والتحريم عام للرجال والنساء[3].

وهذا من موضوعات الدعوة التي ينبغي على الداعية أن يذكرها للمدعوين، ويبين لهم أن الرجال محرم عليهم استعمال آنية الذهب والفضة ولبس الحرير، وقد ورد عن علي بن أبي طالب: ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيرا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وَأَخَذَ ذَهَبا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي))[4].

كما أن النساء محرم عليهن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة، ولكن أبيح لهن التزين بهما ولبسهما، وكذا الحرير حلال لهن.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤٢٦، ومسلم ٢٠٦٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٦٦.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١/١١٧-١١٨.

(٤) أخرجه النسائي برقم ٥١٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٧٥١، ٤٧٥٢).

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: التحذير من إتيان عادات الكفار:

فقد نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير والديباج، واستعمال آنية الذهب والفضة في الشرب، لأنهما من عادات الكفار. وبيّن ذلك قوله ﷺ هي لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة. أي أن الكفار إنما يحصل لهم ذلك في الدنيا، وأما الآخرة فما لهم فيها من نصيب[1]. فحذر المسلمين من ذلك حتى لا يحرموه في الآخرة، وقد قال ﷺ ((لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ. فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ))[2]؛ فحذر المسلمين من لبس الحرير واستعمال أواني الذهب والفضة، حتى لا يقعوا في أفعال الكفار، فيعاقبوا بعقابهم في الآخرة، بالحرمان من لبسهم واستعمالهم.

وعن عبدالله بن عمرو ﷺ قال رأى رسول الله ﷺ على ثوبين معصفرين فقال: ((إنَّ هذهِ ثيابُ الكفارِ، فلا تَلْبَسْهَا))[3] قال ابن تيمية: (علل النهي عن لبسها بأنها: من ثياب الكفار، وسواء أراد أنها مما يستحله الكفار، بأنهم يستمتعون بخلاقهم في الدنيا، أو مما يعتاده الكفار لذلك.

كما أنه في الحديث الذي معنا قال: إنهم يستمتعون بآنية الذهب والفضة في الدنيا، وهي للمؤمنين في الآخرة، ولهذا كان العلماء يجعلون اتخاذ الحرير وأواني الذهب والفضة تشبهًا بالكفار[4].

ففي الصحيحين عن أبي عثمان النهدي، قال: (كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ ﷺ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ مع عتبة بن فرقد: يَا عُتْبَةُ بْنَ فَرْقَدٍ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ وَلاَ مِنْ كَدِّ أَبِيكَ وَلاَ مِنْ كَدِّ أُمِّكَ. فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ، مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلَبُوسَ الْحَرِيرَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ لَبُوسِ الْحَرِيرِ. قَالَ إِلاَّ هكَذَا.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٨٣٤، ومسلم ٢٠٦٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٧٧.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ١/٣٦٠-٣٦١.

وَرَفَعَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ بِإِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةَ وَضَمَّهُمَا) [١].

وروى أبو بكر الخلال بإسناد عن محمد بن سيرين: (أن حذيفة بن اليمان أتى بيتًا، فرأى فيه حارستان: فيه أباريق الصفر والرصاص، فلم يدخله. وقال: من تشبه بقوم فهو منهم) [٢]، وفي لفظ آخر: (فرأى شيئًا من زي العجم فخرج وقال: من تشبه بقوم فهو منهم).

وقال علي بن أبي صالح [٣] السواق: (كنا في وليمة، فجاء أحمد بن حنبل فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة، فخرج فلحقه صاحب الدار، فنفض يده في وجهه وقال: زي المجوس! زي المجوس) [٤].

وقال في رواية صالح [٥]: (إذا كان في الدعوة مسكر، أو شيء من آنية المجوس: الذهب والفضة، أو ستر الجدران بالثياب خرج ولم يطعم).

وفي النهاية قال ابن تيمية: (ولو تتبعنا ما في هذا الباب عن النبي ﷺ مع ما دل عليه كتاب الله لطال) [٦].

وقال ابن تيمية مبينًا أهمية عدم التشبه بالكفار: (إن المشاركة في الهدي الظاهر، تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب أهل العلم - مثلاً - يجد في نفسه نوع انضمام إليهم،

---

(١) أخرجه البخاري ٥٨٢٩، ومسلم ٢٠٦٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٣٠١، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبيداود ٣٤٠١)

(٣) كذا في النسخ: ابن أبي صالح، والصحيح: ابن أبي صبح. انظر: طبقات الحنابلة ٢٣٤/١.

(٤) ذكره ابن أبي يعلي في طبقات الحنابلة ٢٣٤/١، وذكر بدل كلمة (عليه فضة: عليه صورة) نقلاً عن محقق اقتضاء الصراط المستقيم ٣٦٢/١.

(٥) هو: صالح بن أحمد بن حنبل، ابو الفضل، وأكبر أولاد أحمد، ولي قضاء أصبهان وطرسوس، من الفضلاء الصالحين الثقات، اشتهر بالكرم والسخاء، مات بأصبهان سنة ٢٦٦ هـ، وكانت ولادته سنة ٢٠٣ هـ، انظر: طبقات الحنابلة ١٧٣/١ - ١٧٦، نقلاً عن اقتضاء الصرط المستقيم ٣٦٢/١.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم ٣٦١/١ - ٣٦٢.

واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك)[١].

لذا ينبغي على المسلم أن يحذر إتيان عادات الكفار والتشبه بهم.

رابعًا - من أساليب الدعوة: التبشير:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "هي لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة" قال النووي: (وأما المسلمون فلهم في الجنة الحرير والذهب وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[٢]، فبشر رسول الله ﷺ المسلمين بلبس الحرير في الجنة واستعمال آنية الذهب والفضة ولبسهما، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾[٣]. وقد استخدم أسلوب التبشير بما أعده الله للمؤمنين في الحياة الآخرة، من التكريم والتنعيم للمؤمنين في الجنة، بلبس الذهب والحرير واستعمال آنية الذهب والفضة. وهذا من الأساليب التي تجذب الناس إلى قبول الدعوة، والحرص على الالتزام بها للفوز بجنات النعيم، وما أعده الله فيها للمؤمنين من النعيم المقيم.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١٠.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٣.

الحديث رقم (٧٧٨)

٧٧٨- وعن أُمِّ سلمة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلم[2]: ((إنَّ الَّذِي يَأكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ)).

وفي رواية لَهُ[3]: ((مَنْ شَرِبَ فِي إنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ)).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

يجرجر: يُحدر، فجعل الشرب والجرع جَرجَرة، وهي صوت وقوع الماء في الجوف[4].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث خبري مؤكد ببعض المؤكدات التي تصعِّد الشعور بخطر الخبر، وأهميته التي تستلزم أن تتلقاه القلوب بيقظة، وانتباه، وتلك إحدى فوائد توكيد الخبر، وقول الرسول ﷺ (الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ) استعمال الموصول في تعريف المسند إليه، لتنبيه المخاطب على خطأ، والفعل المضارع (يشرب) يستحضر الصورة موضع الخطأ بين سمع المخاطب، وبصره، والظرف، والمظروف في قوله: (في آنية) يبين طبيعة الخطأ، وأنه يرجع إلى الشرب فيها خاصة، وقوله: (إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ) أسلوب قصر لهذا النوع من الشرب على نار جهنم أي: لا يشرب غيرها، والفعل (يجرجر) فاعله عَلَى رِوَايَة النَّصب هُوَ الشَّارِب مُضمَر فِي يُجَرْجِر، أَيْ يُلْقِيهَا فِي بَطْنه بِجَرْع

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٢٠٦٥/١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٦).

(٢) مسلم بعد حديث (٢٠٦٥/١، بدون رقم). أوردها المنذري في ترغيبه (٣١٢٦).

(٣) مسلم (٢٠٦٥/٢). أوردها المنذري في ترغيبه (٣١٢٦).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ر ج ر).

مُتَتَابَع يُسْمَع لَهُ جَرْجَرَة، وَهُوَ الصَّوْت لِتَرَدُّدِهِ فِي حَلْقه، وَعَلَى رِوَايَة الرَّفْع تَكُون النَّار فَاعِله، وَمَعْنَاهُ تَصْوِيت النَّار فِي بَطْنه، وَالْجَرْجَرَة هِيَ التَّصْوِيت، وَسُمِّيَ الْمَشْرُوب نَارًا لأَنَّهُ يَئُول إِلَيْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَال الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونهمْ نَارًا﴾ واختيار هذه الصيغة بوزنها، ومعناها له خصوصية، لأنها من جرجر على وزن (فعلل) مضعف الرباعي، وهو من الأوزان التي تصف الحركة، وتدلل على الاضطراب وهي تصف صوت الماء المندفع بقوة في بطن العاصي من إناء الفضة، والذي يحكي جرأته على إتيان ما نهي عنه رسول الله ﷺ، والتي تؤول به إلى أن يتجرع الحميم - والعياذ بالله -، وإضافة النار إلى جهنم تصعيد للترهيب الوعيد.

والأسلوب النبوي بذلك يجعل تعاطي الشراب في هذه الآنية هو نفسه العقاب بعد أن طوى الزمن، وانتقل به إلى العقاب في الآخرة، ويصوره، وقد حل به فهو يتجرع النار في كل مرة يرفع فيها إناء الفضة إلى فيه مما يشعره برعب ينسيه متعة الشراب في هذه الآنية.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطر الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة.

ثالثًا: من مهام الداعية: تحذير المدعوين مما يوردهم المهالك.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم"؛ حيث أخبر عن عذاب من يشرب في آنية الفضة.

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يخبر بها الداعية المدعوين، بما تتضمنه الدعوة من حقائق تفيدهم في الدنيا والآخرة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خطر الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث خطر الشرب في آنية الفضة. يظهر ذلك في قوله ﷺ: "الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم"، وفي رواية

لمسلم: "إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الفضة والذهب"، وفي رواية له: "من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه نارًا من جهنم".

أي: (تصوت النار في بطنه، والجرجرة هي التصويت، وسمى المشروب نارًا لأنه يؤول إليها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًاۖ﴾[1])[2].

قال ابن عثيمين: (وفي حديث أم سلمة: دليل على أن الأكل في آنية الذهب والفضة من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ توعد على ذلك بأن من فعله؛ فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم، الجرجرة: صوت الطعام والشراب وهو ينحدر في البلعوم، فإذا أكل أو شرب في إناء الذهب والفضة، فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم، وهذا يدل على أنه من كبائر الذنوب، لأن فيه الوعيد، وكل ذنب فيه وعيد، فإنه من كبائر الذنوب) [3].

وقد استحق العذاب من أكل أو شرب في آنية الذهب والفضة لوقوع النهي عنها[4].

فعن البراء بن عازب ﷺ قال: ((أمرَنا رسولُ الله ﷺ بسَبعٍ، ونهانا عن سَبعٍ: أمرنا بعيادةِ المريض، وأتباع الجنازةِ، وتشميتِ العاطس، وإجابةِ الداعي وإفشاء السلام، ونصر المظلومِ، وإبرارِ المُقسمِ. ونهانا عن خواتيم الذهب، وعن الشربِ في الفضة))[5]؛ فالأكل والشرب في آنية الفضة حرام، فإذا أكل أو شرب فيها المسلم، فيكون ارتكب أمرًا يستحق عليه العذاب، فكان في ذلك خطورة عليه يجب عليه أن يتجنبها.

ثالثًا - من مهام الداعية: تحذير المدعوين مما يوردهم المهالك:

يظهر ذلك في تحذير النبي ﷺ من الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة، وأن

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٨٤.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٨/٨.

(٥) أخرجه البخاري ٥٦٣٥.

من يشرب فيها تجرع النار في بطنه، وذلك لأنه يخشى على أمته الوقوع فيما يعذبون عليه، وذلك يدل على حرصه ﷺ على مصلحة المسلمين، وحرصه على تحذيرهم مما يوردهم في المهالك، وقد قال ﷺ ((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ))[1].

فينبغي على الداعية الاقتداء بالنبي ﷺ ويحذر المدعوين عن الأشياء التي توردهم عذاب الله، وأن يحرص على مصلحتهم، فإن ذلك يرقق القلوب له، ويجعل الناس يستجيبون لدعوته.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في ترهيب النبي ﷺ الذي يأكل أو يشرب في أواني الذهب والفضة بالتجرع في بطنه نار جهنم.

وأسلوب الترهيب من الأساليب الدعوية، التي يستخدم فيه الداعية كل ما يخيف وكل ما يحذر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه[2].

والآيات الكريمة التي بينت لنا وصورت ما أُعد من ألوان العذاب يوم القيامة كثيرة جدًا، حيث ورد ذكر "جهنم" في القرآن الكريم أكثر من سبعين مرة، وورد ذكر العذاب أكثر من ثلاثمائة مرة، وهذا لاشك تذكير عظيم ومؤثر في النفس البشرية إضافة لما ورد في السنة المطهرة من بيان لألوان العذاب يوم القيامة، ووصف جهنم وخزنتها وما فيها من خزي وتنكيل بالذين استحقوا أن يكونوا من أهلها، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٢٦، ٦٤٨٣، ومسلم ٢٢٨٤.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩.

(٣) سورة الجن، آية: ٢٣.

(٤) سورة النساء، آية: ١٤.

وهذه صورة للعذاب النفسي في جهنم يوم القيامة توضحها لنا آيات من سورة المؤمنون: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[1].

وهكذا الآيات المباركات الأخرى التي تبين حال أهل النار يوم القيامة، إنها صورة مؤثرة ومحزنة ومخيفة، إذا ركز عليها الداعية، فإنه يصل إلى ما يريد من تأثير على المدعو؛ لأن النفس البشرية لا تطيق ذلك ولا بعضه، فالترهيب بالآخرة وعذاب النار له أثره الكبير[2].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٦-١٠٨.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٥١، ٤٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تقوم التكاليف الشرعية على اليسر ورفع الحرج، وإذا كان نهي التنزيه قد ورد في بعض الأحاديث فإن دلائل الإباحة قد وردت في أحاديث أخرى إلا ما حرم ومن المضامين التربوية في هذا الباب ندرك:

أولاً-التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الإسلامية الناجحة التربية بالمواقف والأحداث، ومما يدل على ذلك من أحاديث الباب حديث أنس رضي الله عنه قال: "حضرت الصلاة فقام مَنْ كان قريب الدار إلى أهله وبقي قوم فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فصغر المخضب أن يبسط فيه كَفَّه.." وفي رواية "أن النبي ﷺ دعا بإناء من ماء فأتي بقدح رَحْرَاح فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه...".

ففي هذا الحديث تتضح التربية بالمواقف والأحداث ببيان جواز الشرب والاستعمال لجميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة.

إن المربي الناجح هو الذي يستغل الموقف والحدث في توصيل القيم والمبادئ التربوية إلى المتربي حيث يكون المتربي شريكًا في الموقف والحدث مما يؤدي إلى ثباته في الذهن.

(والأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان، فالأحداث وسيلة فعالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية، والمربي حقًا لا يترك الأحداث تذهب سدىً بغير عبرة وبغير توجيه، والتربية بالأحداث تعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما عن طريق الحس إن كان هذه الظاهرة خارجية، وعن طريق التأمل إن كانت داخلية، والحديث الشريف كله ممارسات تربوية في المجتمع الإسلامي الذي عاشه الرسول المربي ﷺ في شتى مجالات الحياة)[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٢٨.

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية من خلال الممارسة العملية حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية لما يوجِّهه ويرشد إليه مما يساعد على اقتناع المتربي، ونجاح العملية التربوية، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث عبدالله زيد ﷺ قال: "أتانا النبي ﷺ فأخرجنا له ماء من توْر من صُفْر فتوضأ" وحديث جابر بن عبدالله ﷺ "أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحبٌ له فقال رسول الله ﷺ: إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنَّة وإلا كرعنا".

ففي هذين الحديثين تتضح الممارسة العملية لجواز استعمال إناء الصفر وهو النحاس ونحوه في الوضوء وغيره كما في الحديث من هذين الحديثين، وجواز الكرع وهو الشرب بالفم بغير إناء كما في الحديث الثاني، والممارسة العملية لها دور رئيس في نجاح العملية التربوية لأن المربي يمثل دور القدوة أمام المتربي.

(لقد كان من أسلوب رسول الله ﷺ أن يعلم الصحابة ﷺ بالممارسة العملية، ومن ذلك تعلم الصحابة وضوء الرسول ﷺ وتصحيح الرسول لهم، أو تصحيح بعضهم لبعض، وقد نقلت إلينا كتب الحديث جانبًا من هذه الأساليب التربوية مثل أحاديث تعليم الوضوء والصلاة وغيرها فلم يكتف الصحابة ﷺ بحكاية أقوال الرسول ﷺ بل قلدوا لنا أعماله وحركاته، وفي ذلك عبرة للمربي، وأن عليه أن يتوضأ مثلاً أمام طلابه وضوءًا سابغًا وهم ينظرون إليه -وقد طالبهم مسبقًا بالانتباه ليرى أيهم سيكون أشد تقليدًا لوضوئه أو وصفًا له- ثم يطلب منهم أن يتوضؤوا مثل وضوئه، أو يصفوا جميع حركاته، وفي هذا اقتداء بأسلوب من أساليب التربية الإسلامية نقل إلينا عن أصحاب رسول الله ﷺ بتوجيه منه)[1].

ولا شك أن أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج وشعور

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١٤، ٢١٥.

الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور وترك الكسل والتواكل، ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساساً للنجاح أو الخسران، في الدنيا والآخرة فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح وإن كان شرًا فشر وخسران. ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة أو ما يتعلق بشؤون الحياة الدنيا)[1].

ثالثًا-التربية بالترهيب:

تعتبر التربية بالترهيب من أساليب التربية الإسلامية التي لها أثر كبير في توجيه المتربي وإرشاده وما يشير إلى ذلك من أحاديث الباب حديث حذيفة رضي الله عنه قال: "إن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة...".

وحديث أم سلمة رضي الله عنها "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم". وفي رواية "من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه نارًا من جهنم".

ففي جملة هذه الأحاديث ترهيب ووعيد من استعمال آنية الذهب والفضة في الأكل والشرب ويقاس على ذلك سائر الاستعمالات (والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو اجتراح ذنب قد نهى الله تعالى عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي؛ فالترهيب هو العنصر الذي يمثل القوة الصادة عن الانحراف إلى سبيل الشر التي ينهى عنها الإسلام وذلك لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تضعف من قوته، وتجعله قلقًا حذرًا حتى ولو غامر في الأمر واستهان بالمخاوف إلا أن محاذير سلوك سبيل الشر

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

عواقب وخيمة لا يستهين العقلاء بها بحال من الأحوال متى تبصروا بها حقًا، وعلى مقدار نمو الحذر من جهة من الجهات تخبو جذوة الأطماع والأهواء المتأججة نحوها، وبالتكرار والمعالجة المتتابعة تنصرف النفس انصرافًا نهائيًا، وإن هناك طائفة من الناس لا تكفي لإصلاحهم وسيلة الترغيب وإنما أنجح علاجات الإصلاح بالنسبة إليهم إنما هي وسيلة الترهيب)[1].

رابعًا- التربية على تقديم الآخرة على الدنيا:

وهذا واضحٌ من حديث حذيفة ﷺ قال: إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: "هي لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة.

فمما لا شك فيه أن النفس تهوى لبس الفاخر من الثياب كالحرير والديباج واستعمال الأواني المصنوعة من الذهب والفضة وغير ذلك من الشهوات التي قال عنها: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[2] ولكن لما نهى الشرع عن بعضها كما في الحديث فإن على المسلم أن يطيع ويمتثل ويمتنع فلا يلبس الحرير ولا الديباج ولا يشرب في أواني الذهب أو الفضة حتى لا يحرم منها في الآخرة "هي لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة" وليس هذا فحسب بل تكون أيضًا سببًا لعذابه، كما قال النبي ﷺ: "من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم".

لذا كان على المسلم أن يقدم الآخرة على الدنيا، ولا يفعل كما يفعل أغلب الناس فيقدمون الدنيا على الآخرة كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[3]، لذا كان الفَطِن من عمل للآخرة وسعى لذلك أشد السعي، فحبس

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٠، ٢٥١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٣) سورة الأعلى، آية: ١٦-١٧.

نفسه عن الشهوات الزائلة التي تجعله يخسر الآخرة من أجل دنيا زائلة، يقول ابن القيم: (طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته. وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات.

فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين، وفرّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا، فكل خارج من الدنيا، إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس)[1].

إذا كان من المهم جدًّا أن يُربى الناشئة وغيرهم على تقديم الدنيا على الآخرة، ولا نعني بذلك أن نهمل الدنيا ونتركها، لا نعنى ذلك، وإنما نعني أن تصلح الدنيا بالدين فيكون تعمير الدنيا طريقاً لتعمير الآخرة.



(١) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٨٣.